تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الثالث

دار المعراج

دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الثالث

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429. سورية. دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

دار جوامع الكلم
للطباعة والنشر والتوزيع

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

سورة النساء [الآيات ١١٤ - ١٢١]

[١١٤] ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

النجوىٰ: هي الكلام الخفي الذي تناحي به صاحبك، وهناك شخص ثالث؛ لا يسمع ما تقولانه، والنجوىٰ لا تكون أدنىٰ من ثلاثة: اثنان يتناجيان، والثالث لا يشارك في النجوىٰ، وتتم النجوىٰ عادة بخفض الصوت حتىٰ يصعب علىٰ القريب سماعه.

والنجوىٰ قد تكون بين أكثر من اثنين (ثلاثة، أو أربعة...)، والآخرون الحاضرون في المجلس لا يسمعون ما يتناجىٰ به إخوانهم.

والنجوىٰ مشتقة من: نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع في الجبل، وحين تناجي أحداً، فكأنك ترفع من تناجي عن غيره من الحاضرين في المجلس. ارجع إلىٰ سورة المجادلة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾:

﴿لَّا﴾: النافية للجنس.

﴿خَيْرَ﴾: لا فائدة، ولا نفع.

﴿فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: أيْ: كثير من النجوىٰ، لا فائدة منها، ولا نفع، وهناك نجوىٰ قليلة، فيها خير، وتعين علىٰ الحق، مستثناة من النجوىٰ السابقة،

وهي التي تدور حول صدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس، وهي ما ذكره الله تعالىٰ بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من النجوىٰ المحرمة النجوىٰ التي تدور حول صدقة، أو إصلاح، أو معروف. أمر بصدقة: أيْ: حث علىٰ صدقة.

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: المعروف تعريفه: هو كل ما أمر به الشرع، واستحسنه العقل والعرف الصحيح.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: الإصلاح: يشمل العقيدة، والأخلاق، وعمارة الأرض، وتربية النفوس، والأعمال الصالحة، والإصلاح ضد الفساد.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو عاطفة. من: شرطية للعاقل، وتشمل الواحد، أو الاثنين، أو الجماعة.

﴿يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة، يشير إلىٰ الصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس.

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾: سوف: تدل علىٰ التراخي في الزمن، وتدل علىٰ الأجر العظيم، وهو جنات النعيم؛ أيْ: سيكون في الآخرة، ولو قال سنؤتيه: السين تدل علىٰ الاستقبال القريب؛ أيْ: سنؤتيه في الدنيا الأجر العظيم.

[١١٥] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: أيْ: يخالف الرسول ﷺ، ويعاديه؛ أيْ: يخالف سنته

في التوحيد، أو الحدود، وما أمر به، ونهى عنه ﷺ، وهناك فرق بين يشاقق ويشاق؛ انظر في نهاية الآية للبيان.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾: الإسلام، والحق.

﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الكتاب، والسنة، وهما السبيل الوحيد. والواو في ويتبع: واو العطف انظر كيف عطف اتباع غير سبيل المؤمنين على مشاقة الرسول ﷺ، وللدلالة على أهمية الوحدة الإسلامية.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نتركه لكفره، وضلاله، ونخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه من الضلال.

﴿وَنُصۡلِهِۦ﴾: ندخل، ونحرقه بجهنم، يقال: صليت اللحم؛ أيْ: شويته، وأصليته: حرقته.

﴿جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٢)؛ للبيان.

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾: ساء فعل ذم، ساءت مرجعاً يُصار إليه.

ونعود إلى كلمة يشاقق الرسول: فيها فك للإدغام، بينما يشاق الرسول فيه إدغام، وفك الإدغام هو الأصل، ولكن يجوز كلا الأمرين: فك الإدغام، أو الإدغام، وقد لوحظ في القرآن أنه سبحانه إذا فك الإدغام يصاحبه بذكر الله، وذكر الرسول ﷺ، وإذا لم يفك الإدغام: (كقوله: يشاقّ): يأتي بذكر الله جل جلاله وحده فقط.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت في حق طعمة بن أبيرق؛ لما هرب إلى مكة، ومات على الشرك وهذا قول الجمهور.

وقيل: كما روي عن ابن عباس ﷺ: أن شيخاً من الأعراب جاء إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: إني منهمك في الذنوب إلّا أني لم أشرك بالله منذ عرفته، وإني لنادم مستغفر، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد نزول الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣].

ولا بد من مقارنة هذه الآية (١١٦) في سورة النساء مع الآية (٤٨) في نفس السورة لنجد تشابه الآيتين والاختلاف في نهاية كل آية؛ فالآية (١١٦) يقول الله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، وأما الآية (٤٨) يقول الله تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾؛ فالآية (٤٨): نزلت في سياق اليهود وتحريفهم للتوراة، وافترائهم علىٰ الله فكانت خاتمة الآية: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وأما الآية (١١٦): نزلت في سياق كفار مكة وضلالهم، وعبادة الأصنام فكانت خاتمة الآية: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

وتختلف نهاية هذه الآية عن الآية (٤٨) بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿فَقَدْ﴾: فالفاء: رابطة لجواب الشرط. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: ابتعد عن طريق الحق إلىٰ غاية الابتعاد قليلاً ما يُرجىٰ لصاحبه الاهتداء، والرجوع من الضلال. وضل: مصدرها الضلال، وأضل: مصدرها الإضلال، وضلالاً: جمعت المعنيين الإضلال والضلال، ومعنىٰ ذلك: أن الشيطان يريد أن يضلهم، وأن يشاركوا هم بأنفسهم في الضلال، وأن يسلكوا سبل الضلال المختلفة.

[١١٧] ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾:

إن: حرف نفي بمعنىٰ ما، والنفي بـ(إن) أقوىٰ من النفي بما.

النفي بـــ(إن): تفيد زيادة في توكيد النفي، وتنفـــي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿يَدْعُونَ﴾: ما يعبدون، أو ما يدعون.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿إِنَٰثًا﴾: جمع أنثىٰ؛ أيْ: أصناماً آلهة، سمّوها إناثاً (مثل اللّات، والعزىٰ، ومنـــاة الثالثة الأخرىٰ)، فكان لكل قبيلة صنم يمثلها، أو إناثاً تعني الملائكة كانوا يسموها إناثاً، وفي قراءة أخرىٰ: إن يدعون إلا أوثاناً: جمع وثن.

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: أيْ: ومـــا يدعون مـــن دون الله إلا شيطاناً مريداً؛ من مرد، والمتمرِّد لها معانٍ عدة:

الخارج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ.

البالغ الغاية في الشر والفساد.

أو عتا، وتجبر.

أو الأملس الذي يتملَّص من أتباعه.

[١١٨] ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾:

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: اللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في كلمة اتخذنَّ: لزيادة التوكيد.

﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: حظـــاً معيناً؛ أيْ: حصة معلومـــة؛ أيْ: حظاً افترضته لنفســـي فيهم، والفرض هنا تعني القطع الذي قطعه إبليس علىٰ نفســـه، وهـــو لا يعني الفرض الذي فرض الله علىٰ عباده، وقد قيل: في حديث مســـلم: «وكان نصيبه من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون».

[١١٩] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: الواو واللام والنون: للتوكيد؛ ثلاثة توكيدات.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: يعني: لأضلنهم عن سبيل الهدىٰ، أو عن الحق، أو لأغوينَّهم بالوساوس والتزيين، والنزغ.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: فيها ثلاث توكيدات كما في لأضلنَّهم.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: الأماني الباطلة التي لن تحصل؛ مثل: افعل ما تشاء سيُغفر لك وطول العمر، وليس هناك بعث، ولا حساب، ولا جنة ولا نار، وأخِّر التوبة، وركوب المعاصي.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: البتك: هو القطع، وقيل: الشق؛ أيْ: قطع، أو شق الآذان، آذان الأنعام: وهي الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، كالبحيرة والسائبة والوصيلة، والبتك: يعني: أصبحت منذورة للأصنام، فلا تركب، أو تذبح.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾: ليغيرن دِين الله بالكفر، وتحريم ما أحل الله، وإحلال ما حرم الله، أو تغيير خلق الله؛ يعني: بالوشم، والاستنساخ البشري، وتزينه في عقول العاملين في علو الجنين والوراثة.

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ﴾: والفاء، والنون: للتوكيد.

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية. من: للعاقل، وتشمل الفرد والجماعة.

﴿يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾: الشيطان: كلمة الشيطان مشتقة من شطن. ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَلِيًّا﴾: عوناً: يقتدي به، ويتبع خطواته، ويطيعه.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: ظاهراً في الدنيا والآخرة، وهو دخول النار؛ أيْ: خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

﴿مُّبِينًا﴾: ظاهراً لكل إنسان، وخسران مظهر لنفسه لا يخفى.

وهناك فرق بين الخُسر، والخسارة، والخسران:

الخُسر: مطلق الخسارة، سواء كانت خسارة صغيرة، أو كبيرة.

أما الخسارة: فما زاد عنه الخُسر خسارة، أو خسار؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر:٣٩].

أما الخسران: فهو أعظم الخسارة، أو أشدها. ارجع إلى الآية (٢٢، ٦٣) من سورة هود لمزيد من البيان، ومعرفة معنى الأخسرون، وتخسير.

[١٢٠] ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

﴿يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: يعد أولياءَه، بالباطل، وبالفقر، والفحشاء، ويعدهم: بالمعونة، والنصرة يوم القيامة.

﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾: التمني: معنىٰ في النفس قد يقع علىٰ المستقبل، أو الماضي، ويتعلق هذا التمني بالأماني الباطلة الكاذبة لا دليل عليها؛ بأنهم هم الفائزون، وطول العمر، وأن الله سيغفر لهم ويرحمهم مهما عملوا من الآثام والكبائر.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: وما: الواو: حالية، وما: نافية.

﴿يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: تكرار يعدهم: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿غُرُورًا﴾: الغُرور بضم الغين؛ يعني: الخداع، والباطل، أو هو إظهار خلاف ما يُبطن، يظهر لهم النفع وهو في الحقيقة ضرر. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٨٥)، وسورة فاطر، آية (٥).

[١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلىٰ الذين يتخذون الشياطين أولياء.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مقرهم، ومكان إقامتهم، واستقرارهم جهنم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٢).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ المحيص: اسم مكان، وهو المفر والمهرب؛ أيْ: لا يجدون مكاناً يفرون، أو يهربون إليه مما حاق بهم ونزل.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ
ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ
بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

سورة النساء [الآيات ١٢٢ - ١٢٧]

[١٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾: السين للاستقبال القريب.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾: الخلود الاستمرار، والبقاء إلىٰ ما لا نهاية، والخلود يبدأ من زمن، وهو زمن دخولهم الجنة بعد الحساب، ويوم القيامة.

﴿أَبَدٗا﴾: المستقبل الذي ليس له نهاية، وقد تعني دخولهم الجنة من دون حساب، ولا انتظار، يدخلون الجنة بعد البعث مباشرة.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾: الوعد: يحمل معنىٰ الخبر، والشيء السار غالباً، وإذا جاء في معنىٰ الشر يعني: التوبيخ والتقريع.

أما الوعيد: فيحمل معنىٰ الشر دائماً.

﴿حَقّٗا﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير؛ أيْ: وعداً من الله تعالىٰ لا يتغير، ولا يتبدل، وعد الصدق.

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾:

﴿وَمَنۡ﴾: الواو: استئنافية. من: استفهام تقريري.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾: معناه: أيوجد أصدق من الله تعالىٰ؟ والإجابة: لا يوجد حاشا لله.

﴿قِيلًا﴾: مصدر سماعي لفعل قال يقول قيلاً؛ أيْ: قولاً؛ أيْ: ومن أصدق (علىٰ وزن أفعل) من الله قولاً، وللتفريق بين: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٧) من نفس السورة.

[١٢٣] ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ۙ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: يأتي قوله: ليس بأمانيكم متعلق بقوله: ويُمنيهم.

والتقدير: ليس الفوز بالجنة، أو النجاة من النار أمراً متعلقاً بأمانيكم، أو أماني الشيطان، أو أماني أهل الكتاب، أو أيِّ أحدٍ، وإنما الأمر متعلق بالإيمان، والعمل الصالح، فلا تغرنَّكم الأماني الكاذبة.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾:

﴿لَّيْسَ﴾: للنفي؛ تنفي الحال، وغير الحال.

﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والخطاب موجَّه إلىٰ المؤمنين.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: النافية؛ لتأكيد النفي السابق.

﴿أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارىٰ الذين يقولون: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة:١١١].

وكذلك قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران:٢٤].

ولم يذكر أماني الكفار؛ كالذي يقول: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦].

﴿مَن﴾: شرطية استغراقية تشمل الإنس والجن.

﴿يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: جاءت كلمة سوء نكرةً؛ لتشمل كل أنواع السوء: الظلم، والشرك، وكل أمر منهي عنه، والذنب، والقبيح، والمعصية، والسيئات.

وقيل: السوء: هو كل ما يسيء إلى النفس، وإلى الغير، أو يسوء إظهاره.

﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة.

الجزاء: وهو مقابل العمل، فالجزاء منوط بالعمل؛ أيْ: يعاقب عليه.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَلَا﴾: نافية؛ أيْ: من يعمل سوءاً لا يجد له من دون الله، من غير الله تعالى.

﴿وَلِيًّا﴾: الولي: القريب المعين.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا: يفيد توكيد النفي، وفصل الولي عن النصير.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدافع عنه وينصره، أو يدفع عنه عذاب الله سبحانه.

والولي غير النصير، فلو وجدت ولياً قد لا يكون قادراً على نصرك، أو وجدت نصيراً قد لا يكون قادراً على ولايتك، أو قد لا تجد لا هذا، ولا ذاك.

[١٢٤] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو: عاطفة. ومن: شرطية ابتدائية للعاقل، وقد تعني المفرد أو الجمع.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ولم يقل: يعمل الصالحات، وإنما قال: من؛ التي تدل على التبعيض؛ أيْ: بعض الصالحات؛ لأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يعمل كل الصالحات.

والصالحات: قيل تشمل كل الفروض، والأركان، والنوافل، وغيرها من العبادات بما فيها العبادات القلبية.

﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: من: استغراقية؛ تشمل كل ذكر، وأنثى، وهو مؤمن، لا فرق بين ذكر، أو أنثى ما دام مؤمناً.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد. أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب؛ تشير إلى الذين يعملون الصالحات.

﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: لا يظلم، ولا ينقص من حقه مقدار النقير.

والنقير: نقرة في ظهر نواة التمر.

وأما الفتيل: فهو الخيط في بطن النواة.

وأما القطمير: فهو غلاف النواة الرقيق.

أيْ: لا يظلمون حسنة، ولا سيئة.

[١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾:

﴿ وَمَنْ ﴾: الواو: استئنافية. من: استفهام تقريري.

الجواب: لا أحد أحسن ممن أسلم وجهه لله، واتخذ الإسلام دِيناً، وهو محسن، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً؛ فليس ثمة أحسن دِيناً ممن أخلص وجهه لله، وآمن بتوحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

لنقارن قوله تعالىٰ: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾، وهناك آية: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [لقمان:٢٢].

أسلم وجهه لله: أيْ: وصل مرحلة من الإيمان، والتقوىٰ هي القمة والغاية.

بينما أسلم وجهه إلىٰ الله: لا زال في طريقه إلىٰ الغاية، وهي إسلام الوجه، فهو ما زال بحاجة إلىٰ عمل، وتقوىٰ، وإخلاص.

فالذي أسلم وجهه لله أفضل من الذي أسلم وجهه إلىٰ الله.

وإسلام الوجه عملية شاقة تحتاج إلىٰ جهد كبير، وسيطرة علىٰ الشهوات، ومحاربة الشيطان؛ أيْ: أخلص نفسه، وتوجه بعبادته لله وحده.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: وهو ضمير منفصل يفيد الحصر، والتوكيد، والإحسان: يتضمن إحسان الكيف، وإحسان الكم. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾: ملة إبراهيم: شريعة إبراهيم الحنيفية.

﴿حَنِيفًا ﴾: مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلىٰ الحق.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾: خليلاً من الخلة، والخلة: هي الصداقة، والمودة مع التكريم، المودة التي لا مشاركة فيها.

وقيل: الخلة من الخِل، وهو طريق في الصحراء، أو طريق ضيقة في الرمل حين يسير فيه اثنان يتكاتفان، هذا التكاتف القريب جداً يمثل مقدار الود بينهما، فكلاهما متخلل للآخر بالحب والإسرار له.

[١٢٦] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾:

﴿ وَلِلَّهِ ﴾: الواو: عاطفة.

لله: جار ومجرور، لفظ الجلالة، وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أيْ: ما في السموات وما في الأرض لله وحده لا شريك له في الملك والحكم.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: نفسها كظرف، وما فيها كمظروف: ملكاً، وخلقاً، وملائكة.

وله ما في الأرض: نفسها كظرف، وما فيها كمظروف: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً.

﴿وَمَا فِي ﴾: للعاقل، وغير العاقل.

فهو المالك مالك الملك، والحاكم معاً.

وبما أنه سبحانه له ما في السموات، وما في الأرض؛ فطاعته واجبة؛ لأنه جل وعلا هو المعبود الحق، والخالق الحق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، كان ولا زال، وسيظل منذ الأزل إلى الأبد.

بكل شيء: الباء: للإلصاق. شيء: نكرة مهما صغر، أو كبر، وكان نوعه وشكله: هو ملكه سبحانه.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾: علماً، وقدرة، وتدبيراً، وسيطرة، وعالماً بأعمال عباده، فهو مجازيهم على خيرها، وشرها، لا يفوته شيء مهما كان.

[١٢٧] ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾: الواو: استئنافية؛ أيْ: ما زالوا يطلبون منك الفتيا في شأن النساء، ما يحل لهنَّ، أو ما يحرم عليهنَّ.

والفتيا: هي الإخبار بحكم الله عن دليل لمن سأل عنه في أمر نازل، وإذا نظرنا إلىٰ الآية (١٧٦) في نفس السورة يقول تعالىٰ: (يستفتونك) بدون الواو، وذلك لأن يستفتونك هذه عامة؛ أي: فيما يخطر علىٰ بالهم من الأمور من الكلالة وغير الكلالة.

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾: قل لهم أيها الرسول: الله يفتيكم فيهنَّ مباشرة، ومن دون تأخير، أو تأجيل؛ لاستنباط الحكم، أو قل لهم يا رسول الله: الله يفتيكم من جديد، فربما أخبروا بالفتوىٰ سابقاً، وما يتلىٰ عليكم في الكتاب في القرآن من الأحكام، كذلك يُعد فتوىٰ لكم.

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾: انتبه إلىٰ ما طلبوا؛ هم طلبوا الفتوىٰ في النساء عامة؛ أيْ: عامة النساء: صغيرات، أو كبيرات، يتيمات، غير يتيمات، فجاء الرد خاصاً في اليتامىٰ من النساء، والمستضعفين من الوالدين فقط، لماذا؟

لأن الله سبحانه قد أفتاهم في النساء بما فيه الكفاية سابقاً؛ بما بين لهم من الأحكام في كتابه الكريم (القرآن).

فقد ذكر لهم أحكام الميراث، والطلاق، والزواج، والخطبة، والرضاعة.

فجاء الرد في هذه المرة في يتامىٰ النساء؛ لأن اليتيمة ضعيفة، وتحتاج إلىٰ عون.

أما النساء الأخريات؛ فلهنَّ القدرة علىٰ الوصول إلىٰ الفتوىٰ الخاصَّة بهنَّ.

﴿ٱلَّٰتِي﴾: اسم إشارة تعود علىٰ يتامىٰ النساء.

﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: ما كتب لهنَّ؛ أيْ: ما فرض لهنَّ من الميراث، أو المهر.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: ترغبون: من الرغبة وهي الطلب بحرص، والرغبة قد تكون (في) أو (عن)؛ في: تعني الطلب بحرص، وعن: تعني عدم الطلب وتركه، وهنا عندنا احتماليـن: الأول: ترغبون عن أن تنكحوهنَّ؛ لأنهنَّ غير جميلات مثلاً، فلا تعضلوهنَّ أن ينكحن؛ أيْ: يتزوجن بغيركم؛ (فقد كان لا يسمح لها بالزواج من غيره؛ كي لا يخسر مالها، ويصبح زوجها أولىٰ بمالها).

الاحتمال الثاني: ترغبون في أن تنكحوهنَّ؛ لأنهنَّ جميلات، وذوات مال (فالوصي كان ينكحها، ويستمتع بمالها، ويستولي علىٰ مالها، ولا يعطيها حتىٰ مهرها)، فالله يفتيكم ألا تفعلوا ذلك.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: وهذا هو الصنف الثاني: المستضعف، وهو اليتيم الذي لم يبلغ الحلم بعد، والذي فقد (مات) أباه؛ حيث كانوا لا يورثون الصغير من الغلمان، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه، وللذكر مثل حظ الأنثيين.

﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: وأن: للتوكيد.

﴿تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل؛ أيْ: تعاملوا اليتامىٰ بالعدل، كما ذكر في أول السورة.

والقِسط: هو الحكم بالعدل، وتنفيذ الحكم، وليس مجرد الحكم.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بكسر القاف.

أما القَسط بفتح القاف؛ فيعني: الجور والظلم؛ ارجع إلىٰ الآية (٣) في نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ما: شرطية.

﴿تَفْعَلُوا۟﴾: تقوموا به.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق كل خير.

﴿خَيْرٍ﴾: نكرة تشمل كل خير، والخير: هو الشيء الحسن النافع؛ مثل: الإحسان، والعدل إلىٰ المرأة، واليتيم، ومراعاة حقوقهما.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد.

إن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل. يعلم النيات، والأعمال، والخفايا، وما يفعل بهؤلاء الضعفاء من خير، أو غدر، أو مكر، والله يعلم ذلك حتىٰ قبل وقوعه، وفي كل زمان ومكان، فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض، ولا في السماء.

❖ ❖ ❖

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ
ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا
مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

سورة النساء [الآيات ١٢٨ - ١٣٤]

[١٢٨] ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَإِنِ﴾: الواو: استئنافية.

إن: شرطية تدل على قلة الحدوث، أو الاحتمال مقارنة بـ(إذا) التي تدل على كثرة الحدوث.

﴿ٱمْرَأَةٌ﴾: نكرة؛ أيُّ امرأةٍ، ولم يقل: زوجة؛ لأن هناك اختلافاً في المعنى بين امرأة وزوجة. الزوجة: تعني هناك توافق بين الزوجين؛ أيْ: متكافئين في العقيدة، والدِّين، إذا حدث بينهما شيء من الاختلاف يزول.

امرأة: كلمة امرأة تستعمل حين يوجد ما يخل بالحياة الزوجية مثل هناك اختلاف مثل: عدم الاستقرار الأسري والنشوز والإعراض أو اختلاف في العقيدة؛ كقوله: امرأة فرعون، امرأة نوح، وامرأة لوط، بين الزوجين، أو قد تكون عاقراً، أو فيها مرض ما يطلق عليها القرآن امرأة. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾:

والخوف: هو توقع الضر المشكوك في وقوعه، وهو خلاف الطمأنينة.

وهناك فرق بين الخوف والحذر؛ فالحذر: هو توقي الضرر المتوقع، سواء كان ظناً، أو يقيناً، والحذر: لدفع الضرر، والحذر: لا يدفع الخوف.

وأما الخشـــية: فهي خوف حقيقي؛ أي: الشيء الذي تخافه هو حقيقة، مع الشعور بعظمة الذي تخافه، مع العلم به.

والخوف: إذا اشتدّ أصبح خشية، وإذا اشتد أكثر أصبح وجَلاً.

﴿مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾: البعل: وهو الزوج، والســـيد، والقائم عليها (والمنفق عليهـــا)، والمباعلة تعني: في طياتها المحبة، والمعاشـــرة الزوجية. وقوله تعالىٰ بعلها، ولم يقل زوجها؛ لوجود الاختلاف بين الزوجين بســـبب النشـــوز وعدم الاســـتقرار الأســـري، وكذلك ليذكرها بكلمة البعل الحامل لمعنىٰ المعاشـــرة الزوجية لعلها تحن وترجع عن النشوز وتصبح زوجة.

نشوزاً: مصدر ســـماعي لفعل نشز ينشـــز، وهو مأخوذ من النشز، وهو ما ارتفع وظهر من الأرض.

والمفـــروض: أن الأرض أن تكـــون مبســـوطة؛ فـــإن وجد فيهـــا ارتفاعاً فهذا يســـمَّىٰ نشـــوزاً، ويعني: تكبر وارتفاع من الزوج عن زوجته؛ أي: التباعد، والكراهية، وترك مضاجعتهـــا، والتقصير في نفقتها، والرغبة في تركها، وفراقها، وحب غيرها، سواء لكبر سنها، أو مرضها.

أو إعراضـــاً: أيْ: عدم الكلام إليها وتجنبها؛ كأن يكون إعراضاً بالوجه، أو إعراضاً بالبدن، ومنعها نفسه والكراهية لها.

والنشوز: قد يحصل من الزوجة، وليس من الزوج، كما قال تعالىٰ في نفس السورة، آية (٣٤): ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ

﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾: بأن تتكبر عليه، وتهمل واجباتها، فلا بُدَّ من علاج النشـــوز بمجرد وقوعه، وعدم الانتظار حتىٰ يصعب علاجه.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: الفاء: للتوكيد.

لا جناح؛ أيْ: لا أثم.

وجنـــاح من جنح؛ أيْ: مال عن القصد، وسُـــمِّيَ الجناح إثم؛ لأنه ميل عن الحق. عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً: الزوج والزوجة. ارجع إلىٰ الآية (١٠١) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿أَن يُصۡلِحَا﴾: أصلهـــا يتصالحا، ثم أدغمت التاء فـــي الصاد، وقد تعني: يصلحـــا من أصلح، والإصلاح: يبدأ بمجرد ما تشـــعر الزوجة بنشـــوز زوجها، تبحث عن الأســـباب؛ فإذا كانت هذه الأسباب تعود إليها مثل: تقصيرها في حق زوجها، أو معاملتها الســـيئة، أو غيره تحاول أن تتجنب ذلك، وإن كانت أسباب قاهرة، مثل: كبرها، أو مرضها، أو جمالها؛ فيمكن أن تتنازل عن شيء من حقوقها من قبيل الإحســـان، مثلاً: تتنازل له عن حقها في الفراش، أو النفقة، أو غيرها، أو تســـمح له بالزواج، وتبقىٰ كزوجة له، ولها حق النفقـــة والصحبة مثلاً، بدلاً من الطلاق، أو الفضيحة.

﴿صُلۡحًا﴾: تقديره فيصلح الأمر صلحـــاً، بأي نوع من أنواع الصلح يمكن القيام به، أو التوصل إليه خير من الدوام علىٰ العشرة بالنشوز؛ أي: الإعراض.

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾:

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾: خير من الفرقة، والطلاق، أو استمرار النشوز والإعراض، وسوء المعاشرة والخصومة.

﴿ٱلشُّحَّ﴾: هو أشد البخل مع شدة الحرص علىٰ منع الخير.

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾: يعني: الشح كان في الأنفس، ولم يقل: النفوس. النفوس تعني: كل نفس، أما الأنفس: فلا تعني كل نفس قبل أن تحضر، أو تجيء للصلح، أو قبل النشوز، أو هي مطبوعة عليه، أو جُبلت عليه لا يغيب عنها، أو هو يسيطر عليها.

وكلمة الأنفس: تدل على أن الشح يشمل الجنس البشري من: رجال، ونساء، وأطفال، وشيوخ.

وموجود في معظم الأنفس البشرية: فالمرأة تشح على زوجها، والزوج يشح على زوجته، وكلاهما بخيل على الآخر.

وهذا ليس فرضاً من الله، أو هو خلقها سبحانه كذلك، وإنما هي اختارت أن تكون شحيحة، وهو سبحانه شاء لها ذلك أيضاً، فهناك نفوس كريمة تعفو وتصفح، ونفوس شحيحة، فالشح يؤدِّي إلى عدم تنازل أحد الزوجين للآخر عن أيِّ شيءٍ من الحقوق، والكل يطمع أكثر فأكثر، فيؤدِّي ذلك إلى الطلاق، وتفكك الأسرة، وإهانتها.

﴿وَإِن﴾: إن: شرطية؛ تدل على الاحتمال، والندرة في الحدوث.

﴿تُحْسِنُوا۟﴾: معاشرتهن وتصبروا، وتحسنوا إلى بعضكم بعضاً، كما أوصاكم الله سبحانه، وتتركوا النشوز وعدم نسيان الفضل بينكم وكيف أفضى بعضكم إلى بعض.

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: الظلم، والجور من كلا الطرفين.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: تفيد الماضي، والحاضر، والمستقبل، وكون ذاته خبيراً: فهي صفة ملازمة لذاته من الأزل.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأفعال، والأقوال، وقدَّم كلمة تعملون على كلمة (خبيراً)؛ لأن السياق في أعمال العباد.

وما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى الذي.

﴿خَبِيرًا﴾: يعلم نواياكم وبواطن أموركم، وخبير بذات الصدور، وأحاط علمه بكل شيء، وبخلقه وكونه.

[١٢٩] ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو: استئنافية. ولن: حرف نفي، ينفي المستقبل القريب والبعيد، وليس النفي المؤبد.

﴿تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾: الاستطاعة: تعني القدرة، ولكن الاستطاعة أخصّ من القدرة، فكلّ مستطيع قادرٌ، وليس كل قادر بمستطيع، والقدرة من الاستطاعة، والاستطاعة هنا هي الاستطاعة المعنوية القلبية، وليست الاستطاعة المادية (كالنفقة، والمأكل، والمشرب، والكسوة، وقضاء الوقت عند هذه، أو تلك).

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: من العدل، ويقصد بالعدل هنا: العدل العاطفي القلبي؛ أي: الحب، فهذا الأمر صعب، أو مستحيل، ولذلك لا يطالب

به الشرع، أمّا العدل في النفقة، والموآنسة، والملبس، والمعاملة الحسنة، فهذا ما يطالب به الشرع.

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد. لا: النافية للحال، والاستمرار والاستقبال.

﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾: ميلاً عاطفياً قلبياً، لا تستطيعون السيطرة عليه، رغم أن الميل العاطفي مباح لكم، ولكن لا ينبغي أن يكون الميل العاطفي القلبي سبباً إلىٰ الإخلال بالنفقة، أو سبباً للمعاملة السيئة، أو الظلم للزوجة الأخرىٰ.

﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: أيْ: كالعازبة من دون زوج، فتتزوج أو المتزوجة لها زوج، ولكن لا يُحسب زوجاً لها؛ لأنه لا يعاملها كزوجة له.

﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: وإن: الواو عاطفة. إن: شرطية.

﴿تُصْلِحُوا﴾: معاشرتهن وتعاملوهن بالعدل، ورفع الظلم، وتتجنبوا الأسباب التي أدت بها إلىٰ كونها كالمعلَّقة؛ فتصلحوها.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله سبحانه، وتطيعوا أوامره بالمعاملة بالمعروف والإحسان، وتتجنبوا نواهيه من الظلم، والجور.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد، إنّ: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: تفيد الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: أي: يغفر لكم ميل القلب، وما ليس باستطاعتكم؛ لأنه سبحانه غفوراً رحيماً؛ ارجع إلىٰ الآية (٢٥) في سورة النساء لمزيد من البيان.

[١٣٠] ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تدل على احتمال الحدوث، أو قلة.

﴿يَتَفَرَّقَا﴾: من الفرق خلاف الجمع؛ أي: يتفرقا الزوجان بالطلاق بعد فشل الصلح، وكل المحاولات.

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾: من رزقه وفضله، يرزقُ كليهما، ويغني أحدهما عن الآخر، بحيث لم يعد يحتاج أحدهما إلى الآخر، ويذهب كلٌّ في سبيله، ويعوض الله الزوجة بما هو خيرٌ لها منه، ويعوض الله الزوج بما هو خير له منها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾: و(كان): تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

الواسع: الذي وسع كل شيء علماً، ووسع خلقه برزقه، وعفوه، ورحمته؛ كرماً، وحلماً، واسع الملك، والفضل، والإحسان، عظيم الجود، والكرم.

﴿حَكِيمًا ﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وكل شيء، ذو الحكمة البالغة، فهو الحاكم، والحكيم، وهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾:

﴿ وَلِلَّهِ ﴾: الواو: استئنافية. لله: جار ومجرور اسم الجلالة، يدل التقديم عليه قصراً، وحصراً، وتوكيداً، له: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: واللام: في لله: تفيد الملكية.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي في السموات، والذي في الأرض؛ للعاقل، ولغير العاقل، فهو المالك، والحاكم، والملك الحق؛ أيْ: له (السموات)، (وما في السموات) خلقاً، وملكاً، وجنداً.

وله: الأرض، وما في الأرض، فالظرف والمظروف؛ ملكه سبحانه، لا يشاركه فيه أحد.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ﴾: لم يقل شرّعنا، أو فرضنا، وصينا فيها إشعار بقرب الموصي للموصىٰ إليه؛ أيْ: عهدنا. ارجع إلىٰ الآية (١١) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أيْ: أهل التوراة، والإنجيل (اليهود، والنصارىٰ)، وسائر الكتب، والكتاب: اسم للجنس يشمل كل الكتب السماوية من قبلكم؛ أيْ: وسائر الأمم المتقدِّمة.

﴿وَإِيَّاكُمْ ﴾: ضمير منفصل معطوف علىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: أن: مصدرية، تفيد التوكيد.

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: أيْ: أطيعوا أوامر ربكم، واجتنبوا نواهيه، وقيل: ﴿أَنِ ﴾: هي المفسرة للوحي، والتي هي اتقوا ربكم ووحّدوه بما أوصاكم به، وإن تكفروا نِعَمُهُ وإحسانه، وأن تعرضوا عن طاعته، وتتجنبوا نواهيه، فإن لله ما في السموات، وما في الأرض.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾: عنكم، وعن عبادتكم، وطاعتكم، ولا تضروه شيئاً، فهو ذو الغنىٰ والحمد؛ لأن له كلَّ ما في السموات والأرض.

﴿حَمِيدًا ﴾: المحمود: من جميع صفات الحمد كلها، ومحموداً في صنعه

سواء حمدتموه، أم لم تحمدوه، فهو صاحب الحمد، ومستحقه في كل الأحوال، حميداً من الأزل إلىٰ الأبد.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾:

في هذه الآية كرر تعالىٰ فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد، والغنىٰ، وأنه المعبود الحق؛ لأنه مالك كل شيء، ما في السموات، وما في الأرض، ولقيوميَّته عليها، وهو في الحقيقة ليس تكرار، كما سيأتي بعد قليل.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: بالله: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

الوكيل: هو الكافي يفوض إليه الأمر كله، والمتولي تدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته، وحكمته الذي يكفيكم، ويغنيكم عن كل ما سواه؛ أيْ: هو المعين علىٰ كل شيء، والقادر المقتدر علىٰ فعل ذلك وحده؛ لأنه مالك كل شيء، والقائم عليه، وهو الحفيظ. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

وتكرار هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الآية (١٢٦)، والآية (١٣٠)، والآية (١٣١)، والآية (١٣٢): له دلالات بيانية مختلفة:

ففي الآية (١٢٦): فيها تحذير وإنذار بأن تعلموا بأن: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: محيطاً بما تقولون، وتفعلون.

وفي الآية (١٣٠): ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾؛ لأن لله ما في السموات وما في الأرض، فهو قادر علىٰ إغناء الزوج والزوجة من سعته إذا حدث الطلاق، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾.

وفي الآية: (١٣١): فهي استجابة أو رداً علىٰ قوله تعالىٰ: أن اتقوا ربكم

وإن تكفروا فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم؛ لأن: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

وفي الآية: (١٣٢): هي استجابة، أو رداً على قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أفضل منكم؛ لأنه سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[١٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾:

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿يَشَأْ﴾: من المشيئة، وهي المرحلة التي تسبق الإرادة. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٢٧)؛ للبيان.

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: يهلكّم، أو يميتكم، أو يقضي عليكم.

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾: أفضل منكم، أو خلق جديد مغاير لخلقكم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: (كان) تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعيد، تشير إلى الذهاب بكم، وإلى فنائكم.

﴿قَدِيرًا﴾: صيغة مبالغة من قادر؛ الذي لا يعجزه شيء، كامل القدرة. القادر: ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:١٩-٢٠].

[١٣٤] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾:

﴿مَّن﴾: شرطية، وجواب الشرط جملة: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

﴿كَانَ يُرِيدُ﴾: للتأكيد.

﴿يُرِيدُ﴾: جاء بفعل مضارع، ولم يقل: أراد، من أراد ثواب الدنيا؛ ليدل على استمراره في إرادة الدنيا وطلبها، فهو لا يشبع منها.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: الثواب: المكافأة على عمل معين في الخير، أو الشر، وكلمة الثواب تشير غالباً إلى الخير والثواب، قد يأتي بمعنى العقاب، ولا ثواب من دون عمل. ارجع إلى الآية (١٠٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: أيْ: نعيمها بالمال، والجاه، والزينة، والشهرة، وغيرها.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: يُبين الله سبحانه لمن يرجو فقط ثواب الدنيا، أنه يمكن له أن يحصل على ذلك، وعلى ثواب أعظم من ذلك، وهو ثواب الدنيا والآخر معاً.

وهذا من عظمته سبحانه وتعالى، وفضله، ورحمته: أن جعل ثواب الدنيا جائزة لمن يعمل للآخرة، وأما من أراد أن يكتفي بثواب الدنيا فله ذلك، ولكنه من الحماقة أن يُعطى له ثوابين، ثم يُقصر جهده، وعمله على جزاء واحد، أو ثواب واحد، وهو أدنى الثوابين، وهذا ما يقوم به عادة الكافر، والمشرك، والمنافق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: (كان) تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿سَمِيعًا﴾: لكل ما يقوله عباده وخلقه، ويسمع ما في الكون من سر وعلن.

﴿بَصِيرًا﴾: يبصر كل شيء مهما دقَّ، أو صغر، أو كبر، أحاط بصره بجميع المبصرات، وبصير بما تعملون.

❖ ❖ ❖

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

سورة النساء [الآيات ١٣٥ - ١٤٠]

[١٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء من الله للذين آمنوا بتكليف جديد، وهو: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

﴿قَوَّٰمِينَ﴾: جمع قوّام (وليس قائم)؛ قوّام: صيغة مبالغة لقائم، فلم يقل: كونوا قائمين، بل ﴿قَوَّٰمِينَ﴾: ومن قام بالشيء فعله، وقوامين: تدل على كثرة القيام؛ أيْ: كونوا: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾: بالقسط؛ بكثرة، واستمروا على ذلك، وابذلوا جهدكم.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: لغةً: هو الحظ والنصيب، ويستعمل في سياق الموازين، وكذلك القسط: هو الحكم بالعدل، وإزالة ورفع الظلم عن المظلوم. ارجع إلى الآية (٣) في نفس السورة.

أما العدل: فهو الحكم بالحق، والمساواة في الأحكام: إعطاء كل ذي حق حقه؛ فلا يكفي الحكم، بل لا بُدَّ من تطبيق الحكم، وهذا يعني: بالقسط.

فهناك فرق بين العدل، والقسط: كلاهما يعني: المساواة والإنصاف، ولكن العدل: هو الحكم بالعدل، والقسط: هو إظهار العدل؛ أي: تطبيق العدل، وتنفيذه باستعمال الميزان وغيره من الوسائل، وعدم الاكتفاء بإصدار الحكم.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾: جمع شاهد، شهداء بالحق، دون تحريف، أو زيغ ابتغاء

مرضاة الله. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لمزيد من البيان في معنى شهداء، وقدم في هذه الآية قوامين بالقسط على شهداء لله، بينما في الآية (٨) في سورة المائدة قدم قوامين لله على شهداء لله؛ انظر في نهاية تفسير الآية إلى الفرق بين الآيتين.

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: الواو: عاطفة، لو: حرف شرط.

﴿وَلَوْ﴾: تفيد البعد؛ لأن الإنسان أبعد شيئاً أن يشهد على نفسه، وانتبه إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: ولم يقل: لأنفسكم؛ تعني: لمصلحة أنفسكم، فقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أيْ: وإن كانت الشهادة ضدكم، ولغير مصلحتكم.

﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: أيْ: حتى لو كانت الشهادة؛ أيْ: شهادتكم ضد أبويكم، أو ضد أقاربكم، أو أقرب الخلق إليكم؛ فإياكم أن تشهدوا مودةً، أو تعصباً.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾:

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿يَكُنْ﴾: المشهود عليه، أو المشهود له.

﴿غَنِيًّا﴾: فلا يراعى لأجل غناه، أو طمعاً في ماله، أو استجلاباً لمنفعة، أو دفعاً لمضرة، فيترك الشهادة عليه.

﴿أَوْ فَقِيرًا﴾: كذلك لا يراعى لأجل فقره، أو رأفة به، وإشفاقاً عليه، فلا تشهد عليه.

﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: أيْ: أنت أيها العبد، لم تخلق أحدهما، فالله أحقُّ بهما؛ أيْ: بالنظر إليهما من ناحية الغنى والفقر؛ أيْ: هذه إرادة الله في أن يكون غنياً،

أو فقيراً، فلا تتأثر بحالهما، بل اشهد بالحق، وأما بالنسبة للصدقة؛ فهذا موضوع آخر.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾: فتنحازوا إلىٰ الغني، أو إلىٰ الفقير، فلا دخل للشهادة بالغنىٰ، أو الفقر، والهوىٰ تعريفه: هو:

﴿الْهَوَىٰ﴾: هو ميل النفس إلىٰ شيء تحبه وتهواه، بغض النظر عما أمرَ الله تعالىٰ، أو نهىٰ عنه، والهوىٰ يختلف من شخص إلىٰ آخر، فالأهواء مختلفة، والهوىٰ غالباً ما يكون مذموماً، أو باطلاً؛ أيْ: بعيداً عن الحق، وبلا دليل.

﴿أَن تَعْدِلُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد؛ أيْ: تقيموا الشهادة بحق وإخلاص، وتتجنبوا الزيغ والهوىٰ.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: أو: تفيد في تصريف المعنىٰ علىٰ أربعة أوجه:

الأول: الخصم الأول: غني، والخصم الثاني: غني.

الثاني: الخصم الأول: فقير، والخصم الثاني: فقير.

الثالث: الخصم الأول: فقير، والخصم الثاني: غني.

الرابع: الخصم الأول: غني، والخصم الثاني: فقير.

وتصريف آخر:

الأول: الله أولىٰ بغنىٰ الغني، وفقر الفقير، مهما كانت درجة غناه، ومهما كانت درجة فقره.

الثاني: أيُّ غني، أو أيُّ فقير (نكرة)، فالله كذلك أولىٰ بهما.

﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية.

﴿تَلْوُۥٓاْ﴾: في الشهادة، والتي هي التحريف؛ أيْ: وإن تحرِّفوا الشهادة، أو تعمدوا إلى الكذب.

﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾: من الإعراض؛ أي: الامتناع عن أداء الشهادة؛ لكونه يخاف من المشهود عليه، أو يمتنع عنها؛ ضراً بالمشهود له، والإعراض يعني: كذلك الكتمان، أو يعرض عن الشهادة؛ لكون الشهادة ترجح الطرف الذي يعاديه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٨].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: كان، وما زال، وسيظل تشمل كل الأزمنة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأفعال، والأقوال.

﴿خَبِيرًا﴾: عليماً بكل شيء، ببواطن الأمور وظواهرها، يعلم ما تسرونه، وتقولونه، وتفعلونه.

وقدَّم كلمة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ على كلمة: ﴿خَبِيرًا﴾: لأن السياق في الشهادة والأعمال.

لنقارن آية سورة النساء، آية (١٣٥): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

مع الآية (٨) من سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾:

في النساء قدَّم: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾.

وفي المائدة قدَّم: ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

لأن الآية في سورة النساء جاءت في سياق نشوز الرجال، والإصلاح بين الزوجين، ومعاملة اليتيم، والمستضعفين من الولدان، وقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: إذن السياق والحديث هنا عن القسط، والعدل، فناسب ذلك تقديم القسط؛ أيْ: كونوا قوامين بالقسط بين الأزواج، واليتيم، والمستضعفين من الولدان، وعند الصلح.

أمّا الآية في سورة المائدة: فسبقها ذكر ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾، والعهود، والدَّين، والمحرمات.

وقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾.

إذن جاءت في سياق العقود، والعهود، والمواثيق؛ فناسب ذلك الوفاء بما أمركم الله تعالىٰ، وتجنب ما نهاكم عنه، ولذلك قدَّم قوامين لله؛ أيْ: بالوفاء بالعهود، والعقود، والمواثيق أولاً، وهو الأهم، وأخر القيام بالقسط.

وهناك فرق بين ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾، و: ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾: هناك فرق بين أن تكون أنت المتهم، أو الجاني؛ أي: المشهود عليه، كما في سورة النساء، وبين أن تكون أنت الشاهد، كما في سورة المائدة.

[١٣٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء للذين هم على درب الإيمان بأمر جديد، أو تكليف، أو حكم، والهاء: للتنبيه.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: انتبه هنا! ناداهم بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ثم يقول لهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لا تعني هنا: الإيمان الأول، وإنما تعني: استقيموا على إيمانكم، وارتقوا في درجاته، والثبات عليه.

والباء: ﴿بِٱللَّهِ﴾: للإلصاق. آمنوا بوحدانيته، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أي: القرآن الكريم نزل على رسوله ﷺ؛ أيْ: منجَّماً على دفعات استمرت ٢٣ عاماً.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: الكتاب: اسم جنس، يشمل كل الكتب السماوية الأخرى التي نزلت قبل القرآن، مثل: التوراة، والإنجيل، والزبور، والصحف.

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: بدلاً من الكتب؛ إشارة إلى أن الكتب كلها تعتبر واحدة، وتمثل كتاباً واحداً، ورسالة واحدة.

﴿أَنزَلَ﴾: تعني: جملة واحدة، دفعة واحدة، وفي هذه الآية كذلك دعوة لأهل الكتاب بالإيمان الصحيح؛ أيْ: آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، والقرآن.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو: عاطفة. من: شرطية.

﴿يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾: جاء بالفعل المضارع، ولم يقل: ومن كفر بالماضي؛ لأن الذي كفر ربما تاب من كفره وانتهى، وأما من يكفر؛ فإنه يستمر في كفره، أو يكفر من جديد، أو يعود إلى الكفر.

﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أركان الإيمان الخمسة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٧٧)؛ للبيان.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٦) في نفس السورة؛ للبيان.

[١٣٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾:

اختلفوا فيمن نزلت: قالوا نزلت في اليهود الذين آمنوا بالتوراة، وبموسىٰ، ثم كفروا بالإنجيل، وبعيسىٰ، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ، وبالقرآن، وقيل: هم المنافقون الذين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا وهم كفار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: لم تبين الآية من هؤلاء الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا، وذلك سواء أكانوا من المسلمين أم المنافقين أم اليهود أم النصارىٰ، ويعني: آمنوا بهذا وكفروا بذلك؛ أي: آمنوا بموسىٰ أو بعيسىٰ وكفروا بمحمد، أو آمنوا بالتوراة أو الإنجيل وكفروا بالقرآن، و آمنوا ثم ارتدوا عن دينهم، أو أظهروا الإيمان وأخفوا الكفر، أو آمنوا ببعض وكفروا ببعض ولم يستقيموا علىٰ الهدىٰ؛ ثم ازدادوا كفراً: وكانت هذه محصلة حياتهم وماتوا وهم علىٰ الكفر.

﴿لَّمْ يَكُنِ﴾: لم: حرف نفي، ينفي عنهم الغفران، ولم: تنفي الحال، والمستقبل، وثم: تفيد الترتيب العددي.

﴿ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: اللام: في ﴿لِيَغْفِرَ﴾: تفيد توكيد النفي؛ ليغفر لهم، ويمحو عنهم سيئاتهم.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: نافية أقوىٰ بالنفي من (لم)، وتنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿لِيَهْدِيَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، سبيلاً وطريقاً إلىٰ الهداية.

ويبدو أن هؤلاء ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم، ولا يهديهم سبيلاً إلّا طريق جهنم، أو هم من الذين ضرب الكفر علىٰ قلوبهم، وارتدوا عن الإسلام أكثر من مرة، ولم يستحقّوا المغفرة، وتمادوا في كفرهم، أو من طبقة المنافقين الذين أعلنوا الإيمان، وأبطنوا الكفر حتىٰ ماتوا، وهم علىٰ هذه الحالة من النفاق.

وقوله: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: بدلاً من: ولا ليهديهم طريقاً، كما ورد في الآية (٦٩) من نفس السورة.

فكيف استعمل كلمة ﴿سَبِيلًا﴾: التي تحمل معنىٰ الخير غالباً بدلاً من (طريقاً) التي تحمل معنىٰ الشر في القرآن؛ لأنَّ هؤلاء عرفوا السبيل مرتين، آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا.

فالله سبحانه لن يهديهم مرة أخرىٰ إلىٰ سبيل مثل السبيل الذي عرفوه سابقاً، حين عادوا إلىٰ الإيمان، ثم عادوا إلىٰ الكفر، أو تحمل معنىٰ: التقريع، والتوبيخ، أو السياق في الآيات حيث ذكرت كلمة سبيلاً في هذه السورة حوالي (١١) آية، وسبيل حوالي (١٦) آية.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾: بشِّر: البشارة عادةً تحمل أو تأتي بخير، أو خبر يُسر، ولأول مرة، واستعملت مع المنافقين في أسلوب تهكمي.

وكان يمكن القول: أنذر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً.

المنافقين: جمع منافق: وهو الذي يتظاهر للناس بالإيمان، ولكنه يبطن الكفر، ويخشىٰ أن يكشفه الناس، فهو يقول بلسانه ما لا يعتقده قلبه، وهو أشد كفراً وشراً من الكافر نفسه.

كلمة المنافق: مشتقة من نافقاء اليربوع، وهو حيوان يشبه الفأر، ويسكن في الصحراء، يحفر لنفسه نفقاً في الأرض، له بابان لا تدري من أي باب يخرج؛ كالمنافق له وجهان، يظهر الإيمان، ويبطن الكفر.

﴿بِأَنَّ﴾ الباء: للتوكيد، وأن: لزيادة التوكيد.

﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: اللام: لام الاستحقاق. عذاباً أليماً: في نار جهنم، شديد الإيلام، لن يقدروا على طاقته.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم إشارة، نصب يفيد الذم، ويجوز أن يرفع بمعنى هُمُ الذين.

﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: يتَّخذون: من اتّخذ، والاتّخاذ: هو الجعل، والتصيير، وفيها معنى الاستمرار؛ أيْ: هم يستمرون في اتّخاذ الكافرين أولياء، وكذلك فيها معنى الاختيار والاصطفاء؛ أيْ: هم يجعلون الكافرين أولياء بمحض إرادتهم، واختيارهم، ولا أحد يجبرهم على ذلك.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي: وهو الذي يليك؛ أي: المعين.

﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: من غير المؤمنين، أو بدلاً من اتّخاذ المؤمنين أولياء؛ اتّخذوا الكافرين.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

﴿أَيَبْتَغُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ﴾: يلتمسون عندهم؛ أيْ: عند الكافرين.

﴿الْعِزَّةَ﴾: ولها أنواع: القوة (الغلبة والنصر)، والحماية، والمنع، والقهر.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: تعليلية. إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: عزة القوة، وعزة القهـــر، والغلبة، والمنعة، كلها لله وحده سبحانه، وجميعاً: تفيد التوكيد.

في هذه الآية قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

وفي سورة المنافقون، آية (٨): ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِـزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فلا تعارض بين هذه الآية، وبين الآية في سورة النساء.

﴿ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: لأنه هو مالكها، ولله سبحانه وحده العزة جميعاً، حصراً، وقصراً، لكنه ســبحانه وتعالىٰ يُؤتي العزة لعباده بفضله عليهم، أو تفضلاً عليهم، ولمن يشـــاء منهم، ولكن عزتهم عزة زائلة، ومحـــدودة تنتهي بانقضاء آجالهم، وليس كعزة الله سبحانه الدائمة.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: أيْ: في القرآن الكريم.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنىٰ: حين، وتحمل معنىٰ الحتمية، وكثرة الحدوث.

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آيات القرآن.

﴿يُكْفَرُ بِهَا﴾: يجحدون بها، أو ينكرونها.

﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾: أيْ: يحقرونّها ويستخفونّها.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد. لا: الناهية.

﴿تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾: فلا تجلسوا معهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أيْ: حتىٰ يخوضوا في حديث آخر.

﴿يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾: حتىٰ يتحدثوا بحديث آخر؛ لأنكم إذا لم تنكروا عليهم كنتم كالراضين عنهم، و﴿يَخُوضُوا﴾: مشتقة من الخوض في الماء، وحين تخوض في المـــاء لا تعلم إن كانت هناك حفرة، أو تـــزل قدَمُك، والخوض قد يكون في الباطل.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾:

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب يفيد التوكيد، جالســـتموهم علـــىٰ ما هم عليه، ولم تنكروا عليهم أقوالهم وأفعالهم، وقعدتم معهم؛ فأنتم مثلهم.

﴿إِذًا﴾: تعني: أيْ: مثلهم.

فأنتم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾: والمماثلة: في العصيان، والنفاق، والكفر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ﴾: في جهنم: اسم من أسماء النار. ارجع إلىٰ الآية (٩٧) من هذه السورة؛ للبيان.

وقدَّم المنافقين؛ لأنهم أشد كفراً، وسوءاً من الكافرين.

❖ ❖ ❖

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

سورة النساء [الآيات ١٤١ - ١٤٧]

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: تعود على المنافقين.

﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: التربُّص: هو الانتظار (طول الانتظار)، مع المراقبة، والرصد؛ لما يحدث لكم، أو يحل بكم من مكروه، أو فتح.

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية.

﴿كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لكم: الخطاب للمؤمنين؛ نصر (من دون قتال) وغنيمة؛ لأن النصر من عند الله مهما كانت العدَّة والعدد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ﴾: الهمزة: استفهام، وتعجب.

﴿نَكُن مَّعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، مؤيدين، فأسهموا لنا في الغنيمة؛ أيْ: أعطونا من الغنيمة.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿نَصِيبٌ﴾: قسم من الغنيمة، والنصيب يكون في الخير أو الشرع، ويعني: قسم من الغنيمة، أو الظفر، أو مجرد غلبة مؤقتة.

ويجب الانتباه هنا! كيف عبَّر الله سبحانه عن انتصار المؤمنين بالفتح، وعن انتصار الكافرين بأنه نصيب وحظٌّ لن يدوم طويلاً.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: المنافقون؛ قالوا للكافرين.

﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة: للاستفهام، فيه تعجب، لم: نافية.

﴿نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: من استحوذ على الشيء؛ أيْ: حازه، أو جعله في حيزه، وملَكَهُ، ألم نتمكن من قتلكم، فأبقينا عليكم؛ أيْ: كان باستطاعتنا أن نخرج ونحارب مع المؤمنين، ونتمكن من قتلكم، والقضاء عليكم، ولكننا لم نفعل ذلك، حفظاً لأرواحكم.

﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أن يظفروا بكم، أو يقتلوكم بعدم مظاهرتهم، أو تثبيطهم من الخروج إليكم وقتالكم.

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أيْ: بين المؤمنين والمنافقين؛ فيجازي كلاً على عمله.

﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو: عاطفة. لن: لنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالظهور، أو الحُجَّة، أو الاستيلاء، أو الاستئصال.

وإذا حصل للكافرين ظفر، أو نصر، فهو مؤقت، وعلى شرط أن يتمسك المؤمنون بدينهم، وكتابهم، وسنتهم.

يجب الانتباه إلى أن كلمة ﴿سَبِيلِ﴾: تكررت في سورة النساء (١٦) مرةً، وكلمة ﴿سَبِيلًا﴾: تكررت في سورة النساء (١١) مرةً.

[١٤٢] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: الخداع: هو نوع من الحيلة والمكر، بحيث تظهر للآخر خلاف الحقيقة، أو تستر عنه الصواب؛ لكي يجلب لنفسه منفعة، ويدفع مضرةً، وتكون عادة في الخفاء.

كيف يخادعون الله تعالىٰ، وهم في الحقيقة يخادعون المؤمنين؟

لأن خداعهم للمؤمنين يعتبر خداعاً لله ﷻ، فهم في تصورهم يخادعون المؤمنين بإظهار إيمانهم، والجلوس مع المسلمين، والذهاب إلىٰ المساجد، واستماعهم للقرآن، والحديث.

وكلمة يخادعون: مشتقة من يخادع، بوزن يفاعل؛ تدل علىٰ شدة المخادعة، والمفاعلة، وكثرتها، والعزم علىٰ تكرارها، ولم يقل: يخدعون، وإنما يخادعون.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: جملة فعلية، تدل علىٰ التجدّد، والتكرار بعكس يخدعون التي قد تدل علىٰ عدم القصد، وعدم التكرار.

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: أيْ: مجازيهم علىٰ خداعهم، وهو خادعهم جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت، وعدم التغيير، والجملة الاسمية أقوىٰ من الجملة الفعلية، فالله سبحانه أقوىٰ منهم.

والسؤال هنا: هل الله سبحانه يخدع؟ أو يحتاج إلىٰ ذلك؟

والجواب: حاشا لله أن يخدع، وليست من صفاته الخداع، ولا حاجة له به. إذن فكيف ينسب الخداع، أو المكر له ﷻ، كما في قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]؟

الجواب: هذا الأداء البياني يسمّى المشاكلة في اللفظ، والله سبحانه لا يضرُّه كيدهم شيئاً، بل بالعكس، ويؤخر عنهم العقوبة؛ ليزدادوا إثماً، ومأواهم الدرك الأسفل من النار.

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: إذا: شرطية زمانية؛ تدل على كثرة الحدوث.

﴿كُسَالَىٰ﴾: من الكسل: هو التراخي في أداء المهمة، فهم يُصلون بتثاقل ورياء، وكراهية.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يصلون لكي يراهم الناس، وللسمعة فقط، وليس لوجه الله، ولكي يحمدوهم، ويثنوا عليهم.

﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: فهم لا يصلّون، ولا يذكرون الله إلّا أمام الناس فقط، أما إذا كانوا غائبين عن أعين الناس فهم نادراً ما يصلّون، أو يسبحون الله، أو يحمدونه، أو يذكرونه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ﴾: لا: النافية.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾: أي: العدد القليل منهم من يذكر الله ﷻ، أو أن كمية ذكرهم لله تعالى قليلة جداً.

[١٤٣] ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾:

﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾: متردِّدين بين المؤمنين، وبين الكافرين؛ أي: الجانبين أقوى؛ لكي يميلون إليه.

﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾: المذبذب: كالمعلّـق في خيط متدلٍّ غير ثابت، تقذفه الريح من ناحية إلىٰ أخرىٰ.

أيْ: كالبندول: وهو رقّاص الساعة (الذي نراه في الساعات القديمة).

وتدل الكلمة علىٰ التحرك والاضطراب، وعدم الاستقرار، وهذه هي حالة المنافق المضطرب نفسياً، لا يستقر علىٰ الكفر، أو علىٰ الإيمان.

أو المذبذب: مشتقة من ذب، ومذبة الذباب.

والمذبـذب الذي يذب عـن كلا الجانبين؛ فيحرك يده أمـام وجهه يمنة ويسـرة؛ كي يمنع عودة الذباب، وهذه حالة المنافق لا ينسب إلىٰ المؤمنين، ولا ينسب إلىٰ الكفار.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ﴾: ومن: الواو: استئنافية.

﴿وَمَن﴾: اسم شرط جوابه: فلن تجد له سبيلاً.

﴿يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾: الله سـبحانه، لا يضل عبداً أبداً، بل يرسل الرسل والكتب، ويبين له طريق الهدىٰ، وطريق الضلال، وميّزه بالعقل، وترك له الخيرة، فمن يصر علىٰ عدم الإيمان يتركه علىٰ ضلاله وعماه، والله قادر علىٰ أن يجبره علىٰ الإيمان قهراً، ولكنه ﷻ لم يشـأْ ذلك، وترك له حرية الاختيار؛ فإن اختار طريق الإيمان أعانه علىٰ ذلك؛ لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧]. وأما إذا اختار طريق الضلال فتركه في تيه الضلال، وسيطرة الشيطان والهوىٰ.

﴿فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد. لن: حرف نفي، ونصب، واستقبال؛ لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: أيْ: لا تجد لهدايته، وعودته إلىٰ الإيمان ﴿سَبِيلًا﴾: أيْ: طريقاً.

هذه الآية: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

ترسم صورة فنية رائعة للمنافقين الذين هم في اهتزاز، وعدم استقرار دائم في الدنيا، وأما في الآخرة فسوف يستقر بهم الحال في الدرك الأسفل من النار!!

[١٤٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾:

نداء إلىٰ الذين آمنوا بأمر، وتكليف آخر.

﴿لَا﴾: الناهية؛ أيْ: لا تكونوا كالمنافقين.

﴿تَتَّخِذُواْ﴾: أيْ: لا تجعلوا، و﴿تَتَّخِذُواْ﴾: فعل مضارع فيه معنىٰ الاستمرار، وكذلك التعب، والمشقة بموالاة الكافرين، مقارنة بلا تأخذوا. ارجع إلىٰ الآية (١٣٩) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: جمع ولي، والولي: هو الذي يليك؛ أي: القريب؛ أيْ: خلفك بجانبك، تلجأ إليه وتفزع إليه فيعينك (من العون)، ويسمع منك وينصحك، وينصرك إذا كان قادراً علىٰ ذلك.

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: من غير المؤمنين، وقد حدّد القرآن هؤلاء الذين نهىٰ الله ﷻ عن موالاتهم من الكافرين في آية أخرىٰ من سورة الممتحنة، آية (٩)، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿أَتُرِيدُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.

﴿أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بموالاتهم وبطانتهم.

﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حُجَّة بينة في عدم الطاعة، فيما نهاكم الله عنه، والسلطان نوعان: سلطان حُجَّة وإقناع، أو سلطان قوة وقهر.

الولاء والبراء: من لوازم العقيدة، وهي جزء من الشهادة، والآيات التي جاءت في الولاء والبراء كثيرة، وهي قضية سِيءَ فهمها من قبل الكثير، فمنهم من فرط، فأطلق لنفسه العنان، ومنهم من غالىٰ فيها، ونسي كلا الطرفين الوسطية التي ميّزنا الله سبحانه بهما؛ لحمل الرسالة إلىٰ الأجيال، فلا بُدَّ من الفهم الكامل للولاء والبراء؛ فلا يفتي كلٌّ بما يراه.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبّه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾: الدرك، أو الدرك بفتح الراء، أو تسكين الراء، قيل: النزول إلىٰ أسفل: هو الدرك، والصعود إلىٰ أعلىٰ: هو صعود التدرُّج، ومستوىٰ البحر هو المقياس.

قال المفسرون: النار دركات، كما أن الجنة درجات.

وقالوا: إن النار سبع دركات، وهي: جهنم، ثم لظىٰ، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وهي قعرها، أو هي سبع أسماء للنار.

وكلمة جهنَّم؛ قد تطلق علىٰ أيٍّ من هذه الدركات السبع.

﴿وَلَن﴾: الواو: استئنافية. لن: نافية مؤكدة، تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: ولن يجدوا يوم القيامة من ينقذهم، أو يمنع عنهم العذاب، أو حتىٰ من يخفِّف عنهم العذاب، ولننظر إلىٰ من هم أشدُّ الناس

عذاباً يوم القيامة هم عدة منهم المنافقون؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وآل فرعون: و﴿ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧]، أو: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣]، و:﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٧٤].

[١٤٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

في هذه الآية يفتح الله باب التوبة، حتى لهؤلاء المنافقين الّذين كان مصيرهم الدرك الأسفل من النار؛ ليكونوا مع المؤمنين، فهل هناك رحمة أوسع من هذه الرحمة؟!

وحدد الله سبحانه أربعة شروط للنجاة: أن يتوب، ويصلح، ويعتصم بالله، ويخلص دِينه لله.

أولاً: ﴿تَابُوا۟﴾: التوبة بأركانها الأربع: الإقلاع عن النفاق، والندم، وعدم العودة إليه، والإكثار من العمل الصالح.

ثانياً: ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: أيْ: صلحوا ما أفسدوا بنفاقهم في الأرض، أو بين الناس.

ثالثاً: ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أيْ: ليكن اعتصامهم بالله وحده، وابتغاؤهم العزة عند الله، وليس عند الكافرين، والاعتصام بحبل الله ودينه.

رابعاً: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: مقارنة بالقول: وأخلصوا لله دينهم: تقديم دينهم؛ أي: تقديم الأهم لهم، وهو دينهم، وانظر إلى سياق الآية فرغم توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله فكل ذلك لا يكفي؛ فلا بد من إخلاص الدين لله أيضاً حتى تقبل توبتهم وأعمالهم الصالحة، والالتجاء إلى الله، وذلك لأن

المنافق قلبه منغمس في النفاق، فيحتاج إلىٰ مقدار أعظم من الإخلاص لغسل قلبه وتطهيره وشفائه، والإكثار من الأعمال الصالحة التي تدل علىٰ إخلاص النية، والإنابة إلىٰ الله وحده.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة يفيد البعد، ويحمل معنىٰ المدح.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ﴾: سوف: حرف استقبال للبعد، أو التراخي، وفيه معنىٰ التوكيد.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: وهو الجنة ونعيمها.

لنقارن هذه الآية بالآية (٧٤) من سورة التوبة، يقول سبحانه: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾: فهذه الآية تتحدث فقط عن أول شرط للعودة إلىٰ صف المؤمنين، أما في الآية (١٤٦) من سورة النساء: فقد حددت شروطاً أربعة.

[١٤٧] ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾:

﴿مَّا﴾: للاستفهام، والتقرير؛ أيْ: أنتم أجيبوا عن هذا السؤال.

﴿إِن﴾: شرطية جواب الشرط محذوف، والباء: للإلصاق.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾: أيها الناس؛ أيْ: منفعة يحققها سبحانه بعذابكم بسبب عصيانكم، أو عدم طاعتكم، أو نفاقكم، أو كنتم علىٰ أفجر قلب رجل منكم؟

الجواب: هو لا شـــيء، أو: أيُّ فائدةٍ يحققها إن أنتم آمنتم وشكرتم وتبتم، وكنتم على أتقى قلب رجل منكم: لا شيء.

ولا نقص من ملكه من شيء، ولا زاد في ملكه شيء.

فتعذيبه لعباده لا يزيد في ملكه شـــيئاً، وترك تعذيبهم لا ينقص من سلطانه شيئاً؛ لأنه سبحانه متصف بصفات الكمال قبل أن يخلق خلقه.

﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾: إن: شرطية؛ تدل على قلة الحدوث، أو الاحتمال.

ولم يقل: إذا شكرتم التي تدل على حتمية الحدوث وكثرته.

﴿شَكَرْتُمْ﴾: من الشكر: وهو إســـداء الثناء إلى المنعم باللسان والقلب، وذكـــر نعمه عليك، وطاعته، والإكثار من العمل الصالح، وســـجود الشـــكر له، والصدقة، وغيرها من مظاهر الشكر. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَءَامَنتُمْ﴾: بالله وحده، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

والسؤال لماذا قدَّم الشكر على الإيمان؟

لأن الشكر متعلِّق بالنعمة، والإيمان متعلِّق بالذات التي وهبت النِّعم؛ فهو ســـبحانه أعطاك النعمة أولاً لتسأل من أين جاءت هذه النعمة، ومن أعطاك إياها، ثم تدرك أنها منه ﷻ؛ فتشـــكره أولاً، ثم تؤمن به ثانيـــاً، وقيل: إن العبد لن يوفَّق للإيمان إلَّا بالشكر.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

كان ســـبحانه منذ الأزل، والآن، وإلى الأبد شاكراً عليماً، فهذه من صفات ذاته العلية.

﴿شَاكِرًا﴾: أيْ: راضياً عنهم، والرضا يؤدِّي إلىٰ الثواب، فشكره لعباده يعني يثيبهم علىٰ طاعتهم، ومعنىٰ يثيب العبد علىٰ طاعته؛ يجعل الحسنة بعشرة أمثالها إلىٰ (٧٠٠) ضعف، أو أكثر.

يقبل العمل القليل، ويعطي الثواب الكبير، فهذا من مظاهره، وشكره، وهذا الثواب هو من فضله، وإحسانه علىٰ خلقه؛ لأنه ليس للعباد حق واجب علىٰ الله تعالىٰ مهما كان، أو يكن عملهم.

وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فكل هذه من مظاهر شكره.

﴿عَلِيمًا﴾: يحيط بعلمه كل شيء، وكل مخلوق، ويعلم القول في السموات والأرض، وما يفعله كل مخلوق، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس إلا يعلمها، ولا يخفىٰ عليه خافية.

❖ ❖ ❖

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

سورة النساء [الآيات ١٤٨ - ١٥٤]

[١٤٨] ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾:

﴿لَّا﴾: الناهية.

﴿يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ﴾: هو رفع الصوت، والجهر هو عموم الإظهار والإشاعة.

﴿بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أيْ: إشاعة عيوب الناس، مثلاً: فلان يشرب الخمر، فلان يزني، فلان منافق، أو كافر، واللعن، والطعن، والسب، والشتم، والغيبة، والنميمة.

والسوء: هو كل ما يسيء إلىٰ صاحبه، أو إلىٰ الناس، وهو القبيح من القول الذي يؤدِّي إلىٰ إثارة البغضاء، والعداوة، والكراهية، وانتشار الفساد، والحقد، والحسد، وعدم الجهر، والصبر، والتريث، والكتمان أفضل عند الله تعالىٰ.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَن﴾: ابتدائية، أو استغراقية، تستغرق كلّ من ظُلم؛ أيْ: يباح للمظلوم أن يجهر بما في ظالمه من السوء؛ ليدفع عن نفسه الشر، أو أن يجهر لظالمه بالسوء؛ أيْ: يدعو عليه، أو أن يخبر الآخرين بما يفعله الظالم، أو بما يحدث له من شر، ويجوز أن يشتكي علىٰ الظالم، إذا ضاقت به السبل.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿سَمِيعًا﴾: ما يقال من الجهر من القول، وكل ما يقال خيراً، أو شراً، وفي السر والعلن، عليماً بظواهر الأمور وبواطنها، بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وعليماً صيغة مبالغة؛ تعني: كثير العلم، أحاط علمه بجميع خلقه، وبكل شيء.

وانتبه إلى الربط بين الآية (١٤٨)، والآية (١٤٩)، كما سيلي في نهاية الآية (١٤٩).

[١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾:

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو القلّة.

﴿تُبْدُوا خَيْرًا﴾: أيْ: تظهروا، أو تخبروا، أو تعلنوا خيراً من قول، أو فعل، مثل: أعمال البرّ، والإصلاح بين الناس، وصيام النفل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: فلا يعلم به إلا الله سبحانه، أو القليل من الناس.

﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾: العفو: هو ترك العقوبة على الذنب، والسيئات.

والسوء: يشمل القول، والفعل، مثل: الشتم، والتقبيح، والغيبة، والنميمة، والعفو هنا مقرونٌ بالقدرة؛ أيْ: قادرين على أن تعفوا، أو لا تعفوا، وتعاقبوا المسيء.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ كَانَ﴾: كان ولا يزال، وسيظل عفواً قديراً، فهذه هي صفات ذاته منذ الأزل لا تتغير.

﴿عَفُوًّا﴾: ذكر ﷻ هذا الاسم (العفو) خمس مرات في القرآن؛ أربع مرات مع الاسم الغفور، والخامسة والوحيدة مع الاسم (القدير)؛ أيْ: ليمحو الذنوب،

ويتجاوز عن السيئات، يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام منه، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله وتعفوا.

﴿قَدِيرًا﴾: لا يعجزه شيءٌ في السموات، ولا في الأرض، ذو القدرة العظيمة على مخلوقاته إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن؛ فيكون، وهو على كل شيء قدير، وتعني: أن يعفو عن مقدرة، وليس عن عجز، فهو عفوٌّ، ويقدر أن يعاقب، ولكن قدرته اقترنت مع العفو، فهو قادرٌ على العفو، وقادرٌ على العقاب. ﴿قَدِيرًا﴾ على أن يعفو، ﴿قَدِيرًا﴾: على ألا يعفو.

وهذه الآية تحث الناس أن يتخلّقوا بهذا الخلق الحسن؛ وهو العفو عن مقدرة، لا عن عجز، ولا ضعف، ولا احتياج.

لو نظرنا إلى الآية (١٤٩): لوجدناها مرتبطة بالآية (١٤٨)، أو تتمة لها، كما يلي:

الربط الأول: في الآية (١٤٨) قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾؛ أي: استثنى المظلوم.

وفي الآية (١٤٩) قال تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾: فالربط يكون: لا يحب اللهُ الجهر بالسوء من القول، ويحب أن تعفو عن السوء.

الربط الثاني: لا تجهر بالسوء الآية (١٤٨)، واعفوا عنه الآية (١٤٩).

وأما الخير فأبدوه، أو أخفوه فلكم الخيار، آية (١٤٩).

الربط الثالث: في الآية (١٤٨): ذكر السوء، وفي الآية (١٤٩): ذكر الخير.

ولنقارن هذه الآية مع آية (٥٤) من سورة الأحزاب:

في سورة النساء، الآية (١٤٩) قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

في سورة الأحزاب، آية (٥٤) قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

في سورة النساء قال: ﴿تُبْدُوا خَيْرًا﴾، وفي سورة الأحزاب: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا﴾.

وفي الأحزاب: شيئاً (نكرة)، شيئاً من الخير، أو شيئاً من الشر، وفي النساء ذكر السوء في الآية (١٤٨)، وذكر الخير في الآية (١٤٩).

إذن كلمة شيئاً عامة تشمل الخير والشر.

لننظر في السياق في سورة الأحزاب في نساء النبي، ودخول المنازل، والسؤال من وراء الحجاب، وعدم إيذاء النبي؛ فالآية تخاطب عامة الناس. الجميع: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، واستعملت كلمة شيئاً كلمة عامة تشمل: الخير، والشر، وانتهت بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾، بينما سورة النساء جاءت في سياق الخطاب للمؤمنين وحدهم، فهي تتحدث عن جانب الخير غالباً، وانتهت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾:

المناسبة: بعد ذكر المنافقين، وصفاتهم، ومنزلتهم، ومن تاب منهم، يذكر بعض صفات الكفار حقاً فيقول:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾: يكفرون (جاءت بالمضارع): ليدل على التجدُّد، والاستمرار في كفرهم، ويشمل: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، واقتصر اللهُ الكفر بالله ورسوله في هذه الآية: الكفر بالله؛ بأن لا يؤمن، ويصدق أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، وأنه هو المعبود وحده، ولا يؤمن بوحدانيته في الألوهية، والربوبية، والصفات، والكمال، والمنزه عن كل نقص.

﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾: ورسله تشمل الأنبياء والرسل، والكفر برسول واحد يعني الكفر بهم جميعاً، وتصديق رسالاتهم فرض من فروض الإيمان.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: أيْ: أن يؤمنوا بالله، ويكفروا برسله، وكفرهم بالرسل: هو كفر بالله تعالىٰ.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾: أيْ: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، أو نؤمن برسول واحد، ونكفر بالآخرين؛ أيْ: لا نصدقهم، كما فعل اليهود؛ إذ آمنوا بموسىٰ عليه السلام، وكفروا بعيسىٰ، وبمحمد عليهم الصلاة والسلام، وكذلك النصارىٰ آمنوا بعيسىٰ، وكفروا بمحمد ﷺ، أو يؤمنوا ببعض الفرائض، ويكفروا ببعضها، أو يؤمنوا بالقرآن، ولا يؤمنوا بالسنة.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾:

ويريدون أن يتّخذوا بين الإيمان والكفر طريقاً وسطاً؛ أيْ: يأخذون من الدِّين ما يشاؤون، وتهوىٰ أنفسهم، فيؤمنون ببعض الأحكام، والأوامر، ويرفضون الأخرىٰ.

﴿وَيُرِيدُونَ﴾: بصيغة المضارع: تدل على استمرار إرادتهم، وقيامهم بذلك، فهم لم ينتهوا بعد.

[١٥١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التأكيد على أنهم الكافرون حقاً.

﴿حَقًّا﴾: أيْ: يقيناً لا شك فيه. حقاً: تفيد التأكيد.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: لهم: هيأنا وأعددنا، واستعمل ضمير الشأن (نا): للدلالة على سوء عاقبتهم، والتحذير مما يفعلون.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: جهنم، والعذاب المهين يعني: الأليم، مع الإهانة؛ لكونه أمام الآخرين، وعدم الاستجابة لهم، وهم يصرخون فيها: ربنا أخرجنا نعمل غير الذي كنا نعمل، أو مخاطبتهم مثل: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، وغيرها من أنواع الإهانة.

[١٥٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: أيْ: صدقوا، وآمنوا بالله سبحانه، وأقرُّوا بجميع الرسل والأنبياء، وآمنوا بهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٨)؛ للبيان.

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: أيْ: لم يؤمنوا ببعض الرسل، ويكفروا ببعضهم كما يفعل الكافرون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، يشير إلىٰ الذين آمنوا بالله ورسله، وارتفاع منزلتهم.

﴿سَوْفَ﴾: حرف للاستقبال، وتدل علىٰ البعد، أو التراخي، والتوكيد؛ لإيتائهم أجورهم.

﴿أُجُورَهُمْ﴾: الأجر يكون مقابل العمل، وتعني هنا: ثواب أعمالهم.

﴿وَكَانَ﴾: ولا يزال، وسيظل غفوراً رحيماً؛ لأن هذه صفة ذاتية لا تزول أو تتغير.

﴿غَفُورًا﴾: يغفر الذنوب جميعاً، كثير الغفر، يستر الذنوب، ويغفر الذنوب مهما كبرت أو كثرت.

﴿رَّحِيمًا﴾: اسم الرحيم ذكر (١١٤) مرة في القرآن، الرحيم: علىٰ وزن فعيل؛ أيْ: راحم، وفعيل للمبالغة، وكون رحيماً صفة ثابتة فيه، رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

[١٥٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: اليهود.

﴿يَسْـَٔلُكَ﴾: ولم يقل: يسألونك. يسألك السائل، وليس بالضروري أن يكون السائل أمامك ويسألك، ولو قال: يسألونك، السائل يقف أمامك ويسألك، هذا هو الفرق بين يسألك ويسألونك، وجاءت يسئلك بصيغة المضارع للدلالة

على تكرار السؤال المرة بعد الأخرى بقصد التحدي والإعجاز، وكذلك لحكاية الحال؛ أي: استحضار الماضي حتى يصبح كأن السؤال يحدث الآن لبشاعة السؤال أو كونه غريب أو مستحيل.

﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

١ - ﴿أَن﴾: للتوكيد، تؤكد حرصهم على هذا السؤال.

٢ - أن تنزل أنت (يا محمد)، وليس الله سبحانه؛ أيْ: يسألون محمد ﷺ بدلاً من سؤالهم الله سبحانه، وهذا يدل على جهلهم وغباوتهم.

٣ - ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾: ولم يقولوا: يُنزل عليك؛ لأنك أنت الرسول، بل عليهم مباشرة.

﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾: أيْ: أنت، وليس الله سبحانه، وكيف يمكن أن تنزل عليهم، والنزول يعني: من أعلى إلى أسفل، وأنت لست في السماء، وإنما معهم على الأرض؛ أيْ: هم يريدون كتاباً يُنزل عليهم مباشرة منك، وليس من الله سبحانه، وقد تعني: أن تسأل الله أن ينزل عليهم كتاباً، وقد ردَّ الله سبحانه عليهم حين سألوه سؤالاً آخر بأن ينزل عليهم آية بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١].

٤ - ﴿كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: كتاباً تاماً دفعةً واحدةً، جملةً واحدةً، ومن السماء.

وسؤالهم هذا سؤال من قبيل التعجيز، وليس سؤال استرشاد وهداية، وإنما سؤال جدل وعناد؛ أيْ: لا تتعجب من سؤالهم.

﴿فَقَدْ﴾: قد: للتحقيق.

﴿سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: أيْ: أرنا الله بأعيننا، وتمادوا في طغيانهم حتىٰ أرادوا رؤية الله جميعاً، الكل يريد أن يرىٰ الله سبحانه.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة بعد سؤالهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: أهلكتهم، وقضت عليهم.

﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: مثل رعد، وبرق فيه نار (تيار كهربائي) قضىٰ عليهم. ارجع إلىٰ سورة فصلت، آية (١٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، وقيل: باء السببية؛ أيْ: بسبب ظلمهم، أو بدل ظلمهم، الظلم: هو الخروج عن المنهج الرباني.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾:

كان يكفي ذلك الظلم، حين طلبوا رؤية الله ﷻ، وكان يكفي أنهم اتخذوا العجل الذي صنعه السامري لهم، وثم: هنا لا تدل علىٰ الترتيب والتراخي، وإنما فقط علىٰ التعداد الذكري.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: من: الابتدائية لابتداء الغاية والمباشرة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: اتخذوا العجل، فلم يكن هناك زمن طويل يدعو إلىٰ النسيان، والبينات مثل: فلق البحر، ونجاتهم من فرعون وجنوده، وغيره من الآيات، ولمقارنة جاءتهم البينات وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:٨٦]؛ ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٨٦) للبيان والفرق بين الآيتين.

﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقب.

﴿فَعَفَوْنَا﴾: عن عبادتهم العجل بعد توبتهم، وقتل أولئك الذين عبدوا العجل.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: اتخاذهم العجل، وطلبهم رؤية الله جهرةً وغيرها.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: وآتينا موسى عليه السلام، والإيتاء: هو أعم من العطاء وأوسع، وليس فيه تملك؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان في الإيتاء والعطاء.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: هو التوراة و ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: الحُجَّة القوية الواضحة.

﴿مُّبِينًا﴾: الواضح البيِّن لكل من قرأ التوراة، والذي لا يحتاج إلى تبيُّن من أحد، فهو واضح بنفسه؛ لما فيه من الأحكام، والأوامر الربانية.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ﴾: فوق بني إسرائيل.

﴿ٱلطُّورَ﴾: أقل من الجبل حجماً وارتفاعاً وطولاً.

﴿وَرَفَعْنَا﴾: وفي آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١].

والنتق: يكون أولاً، ثم الرفع ثانياً، والنتق: يعني: القلع من جذره. وذكر الجبل والنتق في سياق التهديد الأشد، وذكر الطور والرفع في سياق التهديد الأقل شدة.

حدث هذا النتق، ثم الرفع بعد أن امتنعوا من الأخذ والالتزام بتطبيق أحكام التوراة، وأعرضوا عن طاعة الله، وما جاء به موسىٰ عليه السلام، والاستجابة له بعد أن أخذ عليهم الميثاق من قبل أن يعملوا علىٰ تطبيق ما أمرهم الله به، ونهاهم عنه، فلما رفع فوقهم الطور وأيقنوا أنه واقع بهم، عاهدوا الله عهداً مؤكداً جديداً للعمل بما في التوراة، فقبل الله منهم عهدهم.

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: ادخلوا باب بيت المقدس سجداً؛ أيْ: خاضعين خاشعين لله، فرفضوا.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: عدم اصطياد الحيتان (السمك) في يوم السبت؛ فخالفوا واصطادوا. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: عهداً، موثقاً مؤكداً جديداً بالإيمان، والأخذ بالتوراة، بقوةٍ وجدٍّ، والعمل بها، وذكر الميثاق الغليظ في ثلاث آيات. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة.

❖ ❖ ❖

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

سورة النساء [الآيات ١٥٥ - ١٦٢]

[١٥٥] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿فَبِمَا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة؛ أيْ: لم يمضِ وقتاً طويلاً عليهم حتىٰ عادوا إلىٰ نقض الميثاق من جديد.

والباء: للإلصاق، والتوكيد (باب السببية)، وما: للتوكيد.

﴿نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: أيْ: بسبب نقضهم ميثاقهم (العهد المؤكد الذي أخذوه علىٰ أنفسهم بالالتزام بأوامر الله ﷻ).

ونقض الميثاق: يعني: حلّه؛ أيْ: رفض العمل به، أو التخلي عنه.

وما فع له الله بهم، لم يبيِّنه في هذه الآية، بل بيَّنه في سورة المائدة، آية (١٣): ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: كفروا بآيات التوراة، والآيات الدالة علىٰ صدق نبوة محمد ﷺ، وأنبياء الله ورسوله؛ الذين أرسلوا إليهم، أو المعجزات التي كانوا يشاهدونها بين الحين والآخر.

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: كزكريا عليه السلام، ويحيىٰ عليه السلام، وغيرهما من الأنبياء بغير ذنب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦١) للبيان المفصل بين الآيات المتشابهة في قتلهم الأنبياء، أو النبيين بغير حق، وبغير الحق.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: أي: ادعوا أن قلوبهم غلف، ذوات غلف؛ أيْ:

مغشـــاة بأغطية تمنع وصول أيِّ شيءٍ مما يدعو إليه من الإيمان والموعظة، أو لا تعي، ولا تفقه ما يقال لها من كلام الرســـل والأنبياء، أو لســـنا بحاجة إلىٰ العلم، عندنا ما يكفينا من الهدىٰ والرشـــاد الذي تركه آباؤنا، بسبب هذه الأمور الأربع؛ طبع الله علىٰ قلوبهم.

بل: للإضراب الانتقالي.

والحقيقـــة: أن الله هـــو الذي طبع علىٰ قلوبهم، ولعنهـــم بكفرهم؛ لأنهم تمادوا في كفرهم وطغيانهم.

والطبع أشـــد من الختم، والذي يطبع علىٰ قلبـــه يُفقد الأمل منه في غالب الأحوال، إلّا ما رحم الله، فلا يدخل قلبه ذرة أو شعاع إيمان، ولا يخرج من قلبه ذرة كفر.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بالله ورسله، وما أنزل الله علىٰ رسله.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: أيْ: فـــلا يؤمـــن منهم إلّا القليـــل؛ (أمثال: عبد الله بن ســـلام وأصحابـــه)؛ أي: العدد القليـــل، أو إذا آمنوا يكون إيمانهم قليـــلاً كيفاً أو كماً. ولمقارنة هذه الآية بالآية (٨٨) في ســـورة البقرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ ارجع إلىٰ الآية (٨٨) في ســـورة البقرة للبيان.

[١٥٦] ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: الواو: عاطفة. بكفرهم: الباء: باء السببية؛ أيْ: سبب كفرهم.

انتبه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: هذه ليس تكراراً لكفرهم الأول، وإنما يدل على نوع آخر من الكفر، فالكفر الأول بآيات الله والتوراة، والكفر الثاني بعيسى ابن مريم عليه السلام، والبهتان على مريم عليها السلام.

﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾:

﴿بُهْتَٰنًا﴾: البهتان: هو الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه ويدهشه، والبهتان: نوع من أنواع الكذب المذكورة في القرآن، ومنها: الإفك، والاختلاق، والافتراء، والظن، والخرص...

﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾: والبهتان العظيم: هو قذفهم مريم عليها السلام بالزِّنى.

﴿عَظِيمًا﴾: العظيم: صفة للبهتان، يمثل أعلى درجات البهتان.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾:

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾: أي: اليهود؛ قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، هم لم يؤمنوا بعيسى أصلاً، فكيف قالوا: رسول الله؟

له ثلاثة احتمالات:

الأول: قالوا: رسول الله على سبيل التهكم، والاستهزاء، مثل قول فرعون لموسى على سبيل التهكم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء:٢٧].

الثاني: أو اعترفوا بأنه رسول الله بعد قتله، تبيَّن لهم ذلك.

الثالث: أنه من قول الله سبحانه، وليس من قولهم، وهذا يدل على بشاعة ما فعلوه بعيسى عليه السلام.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: الواو: استئنافية، وما: النافية؛ تنفي قتل عيسى عليه السلام.

﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾: وما: للتأكيد، وللنفي بعدم القتل والصلب؛ أيْ: ما قتلوا عيسى، ولا صلبوه.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: أيْ: قتلوا، وصلبوا من أُلقي عليه شبهه، أو شبِّه لهم أنهم قتلوه، وفيمن ألقي عليه شبهه قولان:

أحدهما: أنه كان رجلاً منافقاً من أصحاب عيسى عليه السلام، خرج ليدل عليه، فألقى الله شبه عيسى عليه، فأُخذ وصلب.

والثاني: أنه كان رجلاً من أصحاب عيسى عليه السلام؛ لما علم عيسى أنه سيُرفع إلى السماء، سأل حواريه: أيكم يُلقى عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي، فقام شاب، وقال: أنا، ثم أعاد عيسى القول ثلاث مرات، وكل مرة كان يقوم الشاب، فتمَّ ذلك.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: أي: اليهود، أو النصارى.

فاليهود: اختلفوا في الذي ألقوا عليه القبض، هل كان هو عيسى حقيقة أم غيره، والنصارى اختلفوا فيه، هل هو إله أم هو ثالث ثلاثة، أم هو ابن الله ﷻ.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ﴾: أي: اليهود والنصارى الذين اختلفوا في عيسى؛ لفي: اللام: للتوكيد؛ في: ظرفية؛ شك: التردد بين الشيئين استوى طرفاه.

﴿مِّنْهُ﴾: أي: عيسى عليه السلام.

وقد اختلفت الروايات في هذه النهاية العجيبة لعيسى عليه السلام، كما كانت ولادته أمراً عجيباً، والقرآن يخبرنا بحقائق ثابتة هي أنهم ما قتلوه، وما صلبوه، بل رفعه الله إليه.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: شبه: أي: في الكيفية؛ أي: شبهه الله لهم بأنه عيسى، ولم يكن عيسى، وإنهم: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾: فتدل على اضطراب حالتهم الفكرية حينذاك، واختلاط الأمور عليهم؛ الظن: هو رجحان طرف الثبات على طرف النفي.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾: إعادة النفي، وتكرار كلمة ما قتلوه، تؤكد عدم قتلهم له، وهم أنفسهم كانوا غير متيقنين من قتله، بل شاكّين بمن قتلوا، وكان كل علمهم به ظناً.

[١٥٨] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿بَل﴾: للإضراب الإبطالي؛ أيْ: إبطال الكلام السابق أنهم قتلوه، أو صلبوه.

﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾: وقد ذكر الله سبحانه في آية (٥٥) من سورة آل عمران كيف تمت عملية الرفع والوفاة معاً، أو الوفاة والرفع.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾:

ورفع عيسى عليه السلام ليس أمراً عجيباً، بل أعجب من ذلك حادثة المعراج التي قام بها رسول الله ﷺ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: كان، وما يزال، وسيظل عزيزاً حكيماً، فالعزة، والحكمة: صفات لذاته، لا تنفك عنه، ولا تزول.

﴿عَزِيزًا﴾: الـذي لا يُغلب، ولا يقهـر، وغالب علىٰ أمـره إذا أرادوا قتل عيسىٰ عليه السلام.

﴿حَكِيمًا﴾: حكيـم فيما يدبره، ويقدره، وفيما يفعله من الأمور سـبحانه، لا يُسأل عمّا يفعل، وهم يسـألون، حكيم من الحكمة، وحكيم من الحكم، فهو أحكـم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من سـورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

وهناك احتمـال آخر: حينما ذهبوا لقتله؛ رأىٰ بعـض هؤلاء الذين دخلوا علىٰ عيسىٰ عليه السلام، وهو يُرفع إلىٰ السـماء، وخافوا أن يعلم الناس بذلك، فيؤمنوا به، ويفضح أمرهم، فأخذوا الذي دلّهم عليه مكانه وصلبوه، وسـواء أكان انتقاماً منه، أو خوفاً من أن يخبر الناس بحقيقة عيسىٰ عليه السلام، الله أعلم.

والبحـث هذا لا يهمنا، المهم أن الله رفعه إليه، ويكفينا أنه يقول الحق لنا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: إذن نؤمـن بذلك، وأنه سـوف يكون من علامات الساعة.

لقد وردت في الآية ثلاث كلمات معاً:

الشك، والظن، واليقين، ولكل منها معنىٰ يختلف عن الآخر.

الشك: هو التردد بين أمرين، أو طرفين علىٰ حد سواء.

أو تتسـاوىٰ فيـه كفة النفـي، وكفة الإثبـات؛ أي: النسـبتين كما نقول: (٥٠٪،٥٠٪)، وهو اضطراب نفسي.

أما الظن: التردد الراجح؛ أي: إذا رجحت كفة الإثبات، وأصبحت أكثر من (٥٠٪).

واليقين: هـو الأمر الثابت المعقود في الواقع، والقلب بحيث لا يطفو إلىٰ الذهـن؛ ليناقش من جديد، أو يتغير، أو هو العلـم بالحق، مع العلم أنه لا يكون غيره.

[١٥٩] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾:

﴿وَإِن﴾: تفسيرية؛ تفيد التوكيد.

﴿مِّنْ﴾: استغراقية تشمل كل ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ﴾: الـلام: لام التوكيـد، وكذلك النون في يؤمنـن به، أو من بعضية، بعض أهل الكتاب، وليس الكل إلا ليؤمنن به قبل موته، أقل احتمالاً من الاستغراقية.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: الهاء قبل موته: تعود إلىٰ عيسىٰ عليه السلام بعد عودته إلىٰ الأرض، وموته الحقيقي قبيل حدوث الساعة، وهناك من قال: الهاء تعود علىٰ من يموت من أهل الكتاب.

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: اللام: لام التوكيـد، والنون: لزيادة التوكيد؛ أيْ: ليصدقنه، ويؤمنن به رسولاً، وبشراً، وعبداً، وليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿بِهِۦ﴾: تعود علىٰ عيسىٰ عليه السلام.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: الهاء: تعود علىٰ عيسىٰ عليه السلام، أو إلىٰ الميت من أهل الكتاب، وهناك عدة احتمالات في التفسير:

الاحتمـال الأول: لا تخرج روح أو نفس أيِّ نصراني من ملَّة عيسـىٰ عليه السلام حتىٰ يشهد أن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

الاحتمال الثاني: قالوا: بعد موت عيسى عليه السلام الموتة الحقيقية؛ أيْ: بعد نزوله قبل الساعة، فكل نصراني في ذلك الزمن سيؤمن ويصدق بعيسى عليه السلام: أنه رسول الله، وعبده، وليس ثالث ثلاثة، أو إله، أو ابن إله.

الاحتمال الثالث: بعد نزول عيسى عليه السلام، وكسره الصليب، والحكم بالإسلام؛ عندها كل واحد من أهل الكتاب عند موته يشهد أن محمداً حق، والإسلام حق، ويؤمن بمحمد ﷺ، ويشهد أن عيسى هو رسول، وعبد، وليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾:

أيْ: يكون عيسى عليه السلام شهيداً على أهل الكتاب.

أنه بلغ رسالات ربه، ويشهد على الذين ادّعوا له بالألوهية وكفرهم، وعلى الذين كذّبوه من اليهود وغيرهم، ودين الإسلام هو الدِّين الحق، وتميل الأدلة وأقوال المفسرين إلى القول: ما من أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؛ إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وقبل موته، الهاء: تعود هنا إلى كل كتابي؛ أيْ: قبل أن يموت إلّا ليؤمن بأن عيسى رسول، وعبد، وليس إلهاً، أو ابن إله.

وقد تحمل الآية معنى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن عيسى عليه السلام سوف يكسر الصليب أمام أهل الكتاب، ويدين بالإسلام، ويصلي وراء أحد المسلمين.

[١٦٠] ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾:

بعض أسباب تحريم الطيبات على الذين هادوا:

السبب الأول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أيْ: بسبب ظلمهم بسبب ما ارتكبه اليهود من ذنوب، مثل نقضهم الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

حرَّم الله طيبات أحلت لهم سابقاً، وقد ذكرها الله في سورة الأنعام، الآية (١٤٦)، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

وحدث هذا في زمن موسى عليه السلام، ثم جاء عيسى عليه السلام، فأحلَّ لهم بعض الذي حرَّم عليهم.

السبب الثاني: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾:

فالتحريم كان سببه الظلم من جهة، وصدّ الناس كثيراً عن سبيل الله، من جهة أخرىٰ.

الباء: باء السببية، أيْ: بسبب.

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾: الصد: المنع والصرف؛ أي: منع الناس من الدخول في دِين الله، واتباع الحق، وقيل: عن سبيل الله؛ أي: الإسلام، وذلك بسبب كتمانهم البشارة بالنبي محمد ﷺ.

﴿كَثِيرًا﴾: تعني: الكثير من الناس، أو تعني: القيام بالصد المتكرر، والمتجدد، والمستمر، أو تعني: الوقت، يصرفون الوقت الطويل في القيام بالصد عن سبيل الله، أو تعني: الكل.

[١٦١] ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾:

وهذا هو السبب الثالث للتحريم؛ فهو: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: أخذهم الربا، وقد نهوا عنه؛ أي: التعامل بينهم بالربا والفائدة، وأكلهم له وهو محرم عليهم.

وقد: تفيد التحقيق والتوكيد، نهوا عنه في التوراة.

وأما السبب الرابع: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: فمثل الرشوة، السرقة، الغش.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا وأعددنا للكافرين، وأعتدنا: حالة خاصة من أعددنا؛ أعددنا: أعم وتشمل كثير من الإعدادات، وأعتدنا: غالباً ما يكون في العذاب.

﴿لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾: من البعضية منهم، وليس كلهم؛ لأن هناك فئة مؤمنة، سيأتي ذكرها بعد قليل.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: عذاباً شديد الإيلام ودائماً.

[١٦٢] ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

﴿ لَّٰكِنِ﴾: حرف استدراك.

تعريف الراسخ في العلم: هو الثابت على إيمانه، لا يتزحزح عنه، ولا تأخذه الأهواء، أو النزوات، وهو صاحب يقين. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْهُمْ﴾: من أهل الكتاب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: أيْ: ليس كل أهل الكتاب نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء، وأكلوا أموال الناس، هناك فئة منهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: وهو القرآن، أمثال: عبد الله بن سلام، وأصحابه.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من سائر الكتب الأخرىٰ.

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بدل من المقيمون الصلاة؛ لكونها معطوفة علىٰ مرفوع (المؤمنون)، فعطف بالنصب علىٰ المرفوع؛ أيْ: كسر الحق إعراب هذه الكلمة؛ ليلفتنا إلىٰ (أهمية الصلاة).

وإثارة الانتباه إليها وفضلها، وهناك في الشعر ما يقال له: كسر الإعراب بقصد المدح، فهي منصوبة علىٰ الاختصاص.

لأن إقامة الصلاة فيها دوام وإعلان الولاء لله، حيث لا ينقطع الولاء في أيِّ حالٍ من أحوال المسلم، ولا في أيِّ زمنٍ ما دام فيه العقل.

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: عاد إلىٰ الرفع، فقال: المؤتون، المؤمنون.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: قمَّة وبداية الإيمان، الإيمان بالله تعالىٰ، والإلوهية، والربوبية، والصفات، والأسماء، والتنزيه، والإيمان باليوم الآخر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، يدل علىٰ بعد المنزلة، وارتفاع مكانتهم.

﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾: السين حرف استقبال لاستقبال القريب.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: هو الجنة ونعيمها، وتنكير الأجر؛ للتفخيم والتعظيم.

❖ ❖ ❖

ربع الحزب ١١

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

سورة النساء [الآيات ١٦٣ - ١٧٠]

[١٦٣] ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾:

﴿إِنَّآ﴾: ضمير متصل بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: الوحي لغةً: هو إعلام بخفاء؛ أيْ: كلام خفي، لا يعلمه أحد سوىٰ الموحىٰ إليه، والوحي بالمعنىٰ الشرعي هو ما يُلقي الله تعالىٰ إلىٰ أنبيائه ورسله من آيات، ومن تكاليف، وتعاليم دِينية، ووعد ووعيد.

والوحي قد يكون بإرسال رسول؛ أيْ: ملك من الملائكة، كما هو الحال في جبريل، إلىٰ رسول من الرسل، أو التكليم من وراء حجاب.

والوحي قد يكون بالإلهام؛ أي: القذف بمعانٍ تلقىٰ في القلب في حالة اليقظة، أو المنام، كما حدث لإبراهيم حين رأىٰ في المنام أن يذبح ابنه، وكما حدث لأم موسىٰ بإلقاء موسىٰ في التابوت.

والوحي: أصله الإشارة السريعة، كما فعل زكريا حين أوحىٰ إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً، وكان الوحي يأتي رسول الله ﷺ بشكل خفي، ويبدأ مثل صلصلة الجرس، يبدأ بعدها الوحي، أو بشكل رجل، وكانت بعض علامات الوحي تظهر علىٰ رسول الله ﷺ مثل: يتفصد جبينه بالعرق، أو يشعر بالثقل في الحركة، والله سبحانه قادر أن يوحي السماء، أو الأرض، أو الجبال، أو الطير، أو الحيوان، أو غيرها بطرق غريزية، أو غيرها.

والخلاصة: الوحي بالمعنى الشرعي: يطلق على الإعلام بخفاء من الله تعالى لرسله، وبقية الإيحاءات تأخذها بالمعنى اللغوي. ارجع إلى سورة الشورى، آية (٥١).

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: والخطاب هنا إلى رسول الله ﷺ.

﴿كَمَآ﴾: الكاف للتشبيه، ما: مصدرية؛ أيْ: أوحينا إليك، كما أوحينا، كما ؛ أيْ: مثل ما أوحينا إلى نوح، والنبيين من بعده.

وبدأ بنوح، ولم يبدأ بآدم؛ لأنه أبو البشر، وأقدم الأنبياء، وأول أولي العزم من الرسل.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أمثال هود، وصالح، وشعيب: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: وأوحينا: هذا يسمَّى عطف الخاص على العام؛ لزيادة التنبيه على شرف هؤلاء الرسل، والنبيين الذين ذكر أسماءَهم، ومنهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٨٤) للبيان.

﴿وَعِيسَىٰ﴾: ارجع إلى الآيات (٤٥-٦٢) من سورة آل عمران.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٣-٨٤) من سورة الأنبياء.

﴿وَيُونُسَ﴾: ارجع إلى الآيات (٨٧-٨٨) من سورة الأنبياء، والآيات (١٣٩-١٤٧) من سورة الصافات.

﴿وَهَٰرُونَ﴾.

﴿وَسُلَيْمَٰنَ﴾: ارجع إلى الآيات (٣٤-٣٥) من سورة (ص)، والآيات (١٥-٤٤) من سورة النمل.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: الزبور: بفتح الزاي؛ يعني: الكتاب الذي أنزل على داود. وجمع الزبور: الزُّبر: بضم الزاي، إذن: الزَّبور كتاباً، والزُّبر: الكتب، والزَّبور: يمتاز بالحمد والثناء على الله سبحانه، وليس فيه أحكام، إنما أمثال وحكم (جمع حكمة)، والزَّبور: مشتقة من زبر البئر؛ أيْ: أصلحها بحيث لا ينهال التراب من أطرافها فتطمر، ويكون ذلك بالبنيان بالحجارة، وغيرها.

وزَبْرا: قد يعني العقل، وكما يسيطر العقل على أفعال الفرد، والحجارة على تراب البئر، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤].

[١٦٤] ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾:

﴿وَرُسُلًا﴾: جمع رسول، والرسل تشمل الرسل والأنبياء، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، وهناك فرق بين الرسول والنبي؛ فقد ذكر رسول الله ﷺ في حديث صحيح رواه الإمام أحمد في «مسنده»: أن عدَّة الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدَّة الرسل: ثلاثمئة وبضعة عشر رسولاً (٣١٤).

والتعريف العام، أو المختار: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، والكل مأمورون بالتبليغ....

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد، وتقريب؛ أيْ: قصصناهم عليك منذ زمن قريب.

﴿قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: أيْ: قصصنا عليك أخبارهم في القرآن، وعددهم (٢٥) رسولاً.

﴿مِن قَبْلُ﴾: إنزال سورة النساء؛ أيْ: في السور الأخرىٰ التي أنزلت قبل سورة النساء، وسورة النساء من أواخر السور ترتيبها في النزول (٩٢).

﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾: أيْ: رسلاً آخرين لا تعرفهم، وعليك الإيمان بهم جميعاً: ﴿لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦].

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: أيْ: من وراء حجاب، حين نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة من جانب الطور الأيمن.

﴿تَكْلِيمًا﴾: للتوكيد أنه تكليم مباشر ومن وراء حجاب، وليس عبر جبريل عليه السلام.

[١٦٥] ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾: من البشارة؛ وهي الأخبار بما يسر به المخبر به، ولأول مرة، والسرور يؤدِّي إلىٰ تغير، يبدو علىٰ وجه الإنسان وبشرته.

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾: المؤمنين الذين يعملون الصالحات، مبشرين بالجنة، والنجاة من النار.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: من الإنذار، وهو: الإعلام المصاحب بالتخويف، والزجر عن القبيح.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: الكافرين، والمنافقين، والمكذبين، والعاصين، وغيرهم منذرين بالنار، والحميم، وشجر الزقوم، وغيرها.

﴿لِئَلَّا﴾: اللام: لام التعليل. أن: حرف مصدري يفيد التوكيد، لا: النافية.

﴿يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: الحُجَّة: البينة، أو الدلالة، والحُجَّة: مشتقة من معنى الاستقامة في القصد.

﴿وَكَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[١٦٦] ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾:

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾: أيْ: إذا كان المشركون، وأهل الكتاب لا يشهدون بنبوّتك، وطلبوا بمن يشهد لك، فالله سبحانه يشهد لك بالنبوَّة، وبإنزال الكتاب إليك؛ أي: القرآن العظيم.

﴿بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، ﴿أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: هو القرآن يشهد على نبوتك.

﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾: فيها تأكيد للشهادة، والهاء في أنزله: تعود على القرآن العظيم، و﴿بِعِلْمِهِ﴾: تعني: بأنك رسوله إلى الناس كافة، وبعلمه الذي أراد أن يطلع عليه عباده.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: على نبوتك.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: أيْ: حتى شهادة الملائكة لا يُحتاج إليها.

ويكفي أن يكون الله شهيداً لك.

وحرف الباء بـ:﴿بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: تفيد التوكيد؛ أيْ: ولا تحتاج بعد شهادته إلىٰ أيِّ شهيدٍ. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لمزيد من البيان.

[١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالله، وبما أنزل، وجحدوا بنبوة محمد ﷺ، وكتبه ورسله.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الصد: المنع وصرف الغير؛ أي: صرفوا، أو منعوا الناس عند الدخول في الإسلام، واتباع الرسول ﷺ بشتىٰ الوسائل.

﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿ضَلُّواْ﴾: ابتعدوا بعيداً عن طريق الهداية والحق، ويصعب عليهم العودة إليه مرة أخرىٰ.

﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: أيْ: تعدَّوا الضلال (ضلال أنفسهم) إلىٰ الضلال البعيد؛ حيث أضلوا غيرهم، وامتدّ ضلالهم حتىٰ بعد موتهم إلىٰ إضلال الأجيال القادمة، ولم يقتصر ضلالهم علىٰ زمنهم، بل امتد أزماناً طويلةً. ارجع إلىٰ الآية (٦٠) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

[١٦٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السابقة؛ فهي آية يبيِّن الله فيها حُكمه في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: الذين ذكرهم الله في الآية (١٦٧).

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول فيه معنىٰ التحقيق.

﴿كَفَرُواْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٦٧)، من نفس السورة.

﴿وَظَلَمُواْ﴾: أيْ: أشركوا، وظلموا بارتكاب المعاصي، والآثام، والمحرمات، وظلموا بكتمان نبوة محمد ﷺ، وظلموا بصدِّ الناس عن دِين الإسلام، أو ظلموا أنفسهم بالخروج عن طاعة الله ورسوله، وغيرهم وبأوجه الظلم الأخرىٰ.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: اللام في كلمة ليغفر: للتوكيد (لام النفي)؛ أيْ: لم يكن الله ليغفر لهم إذا ماتوا وهم علىٰ الكفر والظلم، ولم يتوبوا إلىٰ الله ﷻ، ويكفوا عن ظلمهم.

﴿وَلَا﴾: لا: نافية مؤكدة لحرف لم؛ لنفي المغفرة لهم، ولنفي الهداية، ونفي كلٍّ منهما وحده، أو معاً.

﴿لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: طريقاً نكرة؛ تعني: أيَّ طريقٍ يوصل إلىٰ الهدىٰ.

وكلمة طريق ذكرت في القرآن في أربع آيات في سورة النساء الآية (١٦٨ - ١٦٩)، وفي سورة الأحقاف الآية (٣٠)، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وفي سورة طه الآية (٧٧)، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾، والطريق عادة يكون صعباً غير سهلاً أو وعراً إلا إذا اقترن بالمستقيم.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر؛ أيْ: لا طريق أمامهم يوم القيامة سوىٰ طريق جهنم.

﴿طَرِيقَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (١٦٨) للبيان.

﴿جَهَنَّمَ﴾: قيل: اسم من أسماء دركات النار، ارجع إلىٰ الآية (١٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: الخلود: المكث، الذي لا نهاية له، ويبدأ من زمن دخولهم فيها، ولا خروج بعده منها أبداً؛ لأن هناك من يدخل جهنم، ويخرج منها، وهؤلاء يقال لهم: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ من دون ﴿أَبَدًا﴾، وهم أصحاب الكبائر من المسلمين، فهؤلاء يمكثون فيها مدة، قد تقصر، أو تطول حسب مشيئة الله، ثم يخرجون منها.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير إلىٰ أن إدخالهم في جهنم أمرٌ سهلٌ هيِّنٌ علىٰ الله، وفي الحقيقة ليس هناك أيُّ أمرٍ يصعب علىٰ الله سبحانه، فهو لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وقوله: ﴿يَسِيرًا﴾: هو فقط لتقريبه من الأذهان.

[١٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه، نداء إلىٰ الناس كافة، ويراد به المشركون، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ٱلنَّاسُ﴾: مشتقة من النوس؛ أي: الحركة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، الآية (٢١)؛ لمزيد من البيان.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للتوكيد والإلصاق، الحقّ: وهو القرآن الكريم، أو الدِّين

الحق، والحق: هو الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، مهما تغيرت الأحوال والأزمان، ويعني الوحي.

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: فآمنوا بما جاءكم به؛ أيْ: صدقوه واتبعوه، وهو القرآن، خيرٌ لكم، وفي قوله إنذار.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَإِن﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿تَكْفُرُوا۟﴾: بمحمد ﷺ، وبما أنزل الله، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٢٦) من سورة النساء.

﴿وَكَانَ﴾: تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بخلقه، وبمن يستحق الثواب، أو العقاب، بالمسيء، والمحسن، وبأفعال، وأقوال خلقه.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وشرعه، وأقواله، وأفعاله. ارجع إلىٰ الآية (١٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء.

ووردت كلمة ﴿حَكِيمًا﴾: في هذه السورة سبع مرات.

وفي هذه الآية: تهديد ووعيد للكافرين.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

سورة النساء [الآيات ١٧١ - ١٧٥]

[١٧١] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾:

﴿يَٰٓأَهۡلَ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: النصارىٰ، واليهود، وناداهم بأهل الكتاب (أهل التوراة، والإنجيل)؛ فيه مدح لهم، وناداهم مباشرة، ولم يناديهم بالذين أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَغۡلُواْ﴾: الغلو: مجاوزة الحدّ، والغلو: إما إفراط، أو تفريط.

إفراط: كما فعلت النصارىٰ بعيسىٰ ابن مريم عليه السلام؛ إذ قالوا: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

تفريط: كما فعل اليهود حين اتهموا مريم عليها السلام بالزِّنىٰ، ولم يؤمنوا بعيسىٰ عليه السلام.

وقيل: الغلو: هو التشدد في الدِّين، والتنطُّع، والافتراء علىٰ الله.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، وتكرار لا: تفيد التوكيد.

﴿تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: لا تقولوا عيسىٰ ابن الله، أو له صاحبة، وإن الملائكة بنات الله، وغيرها من الافتراءات، أو له شريك (ثالث ثلاثة).

﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: أداة حصر، وقصر، فقط قولوا الحق، وهو الأمر الثابت الذي لا يتغيَّر. وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٧٧) في سورة المائدة وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾:

١ - نجد آية النساء جاءت في سياق القول: (لا تقولوا علىٰ الله إلا الحق)، ونجد آية المائدة جاءت في سياق اتباع أهواء قوم.

٢ - وإلا تفيد الاستثناء وغير تفيد المغايرة، فالآية: (لا تغلوا في دينكم غير الحق): تشمل معنىٰ لا تقولوا علىٰ الله إلا الحق، وقد تكون لمعنىٰ آخر هو عدم اتباع أهواء قوم؛ أي: لها مثال لا تعبد إلا الله؛ أي: الأمر بعبادة الله فقط، وقولك: لا تعبد غير الله: فيها نهي عن عبادة غير الله ومتضمنة الأمر بعبادة الله تعالىٰ وحده.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: انتبه إلىٰ قوله: عيسىٰ ابن من!! ابن مريم.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: ردٌّ علىٰ اليهود الذين أنكروا نبوة عيسىٰ، وردٌّ علىٰ النصارىٰ الذين قالوا: إن المسيح هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾:

أطلق عليه كلمته؛ لأنه خُلق بالكلمة، بكلمة كن فيكون عليه السلام، فعيسىٰ ليس كلمة بمعنىٰ الكلمة التي تقال، بل يأكل ويشرب، وهو بشر، وإنسان ككلِّ البشر.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

وعيسى هو نفس، أو ذات كأي نفس، أو ذاتٍ خلقها الله، وأضاف إلى الكلمة الهاء: فقال: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾: تشريفاً لعيسى عليه السلام، كقوله ﷻ: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾، وعيسى ذات بائنة وميته.

﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: أيْ: أعلمها، وأخبرها بها، وهي: كن؛ فكان بشراً من غير أب، أو أوصلها الله إلى مريم عليها السلام عن طريق جبريل عليه السلام.

ولنعلم: أن الله سبحانه لم يذكر في القرآن امرأة باسمها العَلم سوى مريم؛ فقد ذكرت في نحو ثلاثين موضعاً، مع أن العرب من عادتهم لا يذكرون اسم الزوجة، أو المرأة، ومع ذلك ذكرها الله ثلاثين مرة؛ لكونها مطهَّرة ومصطفاة، وأم عيسى عليه السلام، فلو كان لعيسى أبٌ لما ذُكر اسمها عليها السلام؛ لأنه سيقول آنذاك: ابن فلان.

﴿وَرُوحٌ﴾: أيْ: صار جسده عليه السلام بالكلمة، فنفخت فيه الروح بعدئذٍ، كما يحدث لأي جنين، حينما يتشكل في رحم أمه.

والروح خلق من مخلوقات الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥].

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: هذه العبارة هي التي أضلت الكثير؛ فضلُّوا، وأضلُّوا، ولذلك علينا الانتباه إلى ما يلي:

أولاً: من: لا تعني: بعضاً؛ أيْ: جزءاً من الله سبحانه.

وإنما هي للابتداء؛ أي: ابتدائية؛ كقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

ثانياً: روح عيسىٰ: هي روح من الأرواح التي خلقها الله سبحانه لا أكثر، ولا أقل.

ثالثاً: كونه سبحانه أضافها إليه، فقال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: من باب التشريف، وذلك بإضافة المخلوقة إلىٰ خالقها؛ كقوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، وهكذا، هذه الإضافة لا تعني أنها ناقة الله، فهي ناقة كغيرها من النوق، وشرفها الله بأن قال: ناقة الله، فقد كانت معجزة عظيمة لقوم صالح عليه السلام.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٥٢) من سورة النساء، وسورة البقرة، آية (٢٨٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾: الأب، والابن، وروح القدس، بل قولوا: إلهاً واحداً.

﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: أيْ: كفُّوا عن كلمات الباطل خيراً لكم، وأفضل لدنياكم وآخرتكم.

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: الله: مبتدأ، إله: خبر، واحدٌ: نعت لإله، مرفوع مثله.

﴿وَٰحِدٌ﴾: ولم يقل : أحد.

فالواحد يعني: لا يتجزأ، ولا يكون منه ولد، أو جاء من أب.

أما الأحد: فلا مثيل له أبداً. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيه لله عما لا يليق به من كل نقصٍ.

وسبحانه: اسم مصدر سماعي، تقديره: أسبح سبحانه أن هذا لا يكون (له ولد)، وأن الله منزّه عن ذلك. ارجع إلىٰ سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان في التسبيح، وسورة الحديد، آية (١).

والقاعدة: في القرآن إذا جاءت بعد كلمة ولد سبحانه، الأفضل الوقوف علىٰ ولد في التلاوة، ثم البدء بسبحانه.

﴿أَن يَكُونَ﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: له ما: اسم موصول؛ أي: الذي في السموات، والذي في الأرض ملكاً، وخلقاً، وعبيداً.

ولننتبه : إلىٰ أنه سبحانه حين يريد أن يتكلَّم عن أهل الأرض بشيء ما يخصهم، يكرِّر كلمة (ما في) فيقول: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلاً من قوله: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هذا يدل علىٰ غناه، فلا حاجة له بالولد، أو الشريك، وكل ما في السموات وكل ما في الأرض ملكه وحده لا يشاركه فيه أحد، ويشمل ذلك الظرف (السموات والأرض)، والمظروف؛ أيْ: (ما فيهنَّ من شيء).

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: كفىٰ بالله قيِّماً علىٰ خلقه، ومدبِّراً لهم، وتقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: ﴿بِٱللَّهِ﴾: تدل علىٰ الحصر والقصر؛ كفىٰ به وكيلاً، ولا تحتاج إلىٰ سواه. ارجع إلىٰ الآية (١٣٢) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان، وسورة الأعراف، آية (٨٩).

[١٧٢] ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾:

﴿لَّن﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَسْتَنكِفَ﴾: الاستنكاف: هو التكبر والامتناع؛ فهو أشد من الاستكبار من يأنف، وأصله في اللغة: النكف، ونكف الدمع، النكف: عملية حسية، تتمثل في مسح الدمع بأصبعه من خدِّه مخافة أن يراه الناس باكياً؛ لأن البكاء من الرجل يُعدُّ ضعفاً، أو عيباً، فيحاول عدم إظهار دمعه للناس، وقيل: الاستنكاف: عدم الإقرار بالعبودية، والاستكبار؛ أيْ: عدم القيام بالطاعة تكبراً.

فالمسيح عليه السلام لا يرىٰ في نفسه عيباً أن يكون عبداً لله، أو يأنف، أو يترفَّع عن عبوديته، وطاعته لله تعالىٰ. وعبداً لله: من جملة العبيد، أو العباد، ولم يقل: عبد الله؛ لدل ذلك علىٰ التشريف والتخصيص، كما قال تعالىٰ في سورة الجن آية (١٩): ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾؛ أي: رسول الله محمد ﷺ.

﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: لا يستنكفون، ولا يستكبرون أن يكونوا عباداً لله.

وهم: حملة العرش، أو الحافُّون حول العرش، ويطلق عليهم العالون، أو الكربيون.

وتكرار (لا) النافية: تفيد التوكيد في عدم الاستنكاف، والتكبر.

﴿وَمَن﴾: من: شرطية تشمل الواحد، أو الجمع، وللعاقل.

﴿يَسْتَنكِفْ﴾: أيْ: يظن أنه من العيب أن يعبد الله، أو لا يقر بعبودية الله في قلبه.

﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾: يطلب الكبر، ولا يملك مؤهلاته، مثل كونه غنياً، أو ذا جاه، أو من عائلة كبيرة، ولا يجب عليه أن يعبد الله، أو يطيعه.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتوكيد، والسين في سيحشرهم: للاستقبال القريب؛ أيْ: سيحشرهم قريباً.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾: الحشر: هو السوق والجمع، والضمير يعود على الكل الذين لم يستنكفوا ويستكبروا، والذين استنكفوا واستكبروا.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور، يفيد الحصر، سيحشرهم إليه وحده، حصراً لا إلى غيره.

﴿جَمِيعًا﴾: تفيد التوكيد.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. أما: حرف شرط وتفصيل.

انتبه! إلى ما طرأ هنا: هو أن الله سبحانه لم يواصل الحديث عن الذين استنكفوا، واستكبروا، وما هو مصيرهم، بل قدَّم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات، وذكر ثوابهم، وهذا يُعد تقديم تفضيل لهؤلاء المؤمنين على غيرهم من المستنكفين، والمستكبرين؛ فيوفيهم أجورهم، ويعطيهم ثواب أعمالهم الصالحة كاملة غير منقوصة، ولا يقف عند ذلك، بل يزيدهم على أجورهم من فضله وإحسانه.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو: عاطفة. أما: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: سبق توضيح المعنى في الآية السابقة؛ أيْ: لم يُقرُّوا بعبادة الله، وامتنعوا عن طاعة الله وعبادته؛ بسبب استنكافهم، وتكبرهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنى الاستكبار.

﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الآخرة؛ أيْ: عذاباً شديد الإيلام والدوام.

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾: لا: النافية. يجدون: لهم من دون الله من سواه؛ أيْ: من غيره.

﴿وَلِيًّا﴾: الولي القريب، الذي يليك، المعين، ويحفظك، ويتولى أمرك حين تكون عاجزاً، أو الحليف القائم بأمرك الذي يتوكل أمرك، وتحمل معنى المودة والشفاعة.

وتكرار حرف لا: يفيد التوكيد، وفصل الولاء عن النصر؛ فقد يكون هناك ولي، ولا يستطيع تقديم المساعدة والنصرة لك، ولياً في الدنيا.

﴿نَصِيرًا﴾: في الدنيا، أو الآخرة ينصرك حتى لا تدخل النار، أو يدافع عنك، أو يخفف عنك العذاب، أو يشفع لك، أو ينصرك في الدنيا. ارجع إلى

سورة العنكبوت، آية (٢٢)؛ لمعرفة الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، ﴿وَمَا لَكُم مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١٧٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: اليـاء: أداة نـداء للناس، الهـاء: للتنبيه؛ لكافـة الناس، وليس للمؤمنين فحسب. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١)؛ لبيان معنىٰ الناس.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: البرهـان: هو الحُجَّة، والبينة، والبرهان كما قال أكد المفسرون هو النبي ﷺ، والذي يشير إلىٰ ذلك قوله في الآية من سورة البينة: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: إليكم خاصَّة، أيها المؤمنون، وإلىٰ الناس عامة.

﴿نُورًا مُّبِينًا﴾: وهو القرآن، وسُمِّيَ نوراً؛ لأنه يهدي من ظلمات الضلال إلىٰ النور؛ أيْ: هادياً.

﴿مُّبِينًا﴾: جلياً، واضحاً؛ أيْ: كل من يطلع عليه يراه نوراً، وهو بنفسه نورٌ واضحٌ، لا يحتاج لأي برهان، أو دليل أن يشهد بذلك، فهو يشهد لنفسه أنه نورٌ.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية. أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾: به: تعود إما على الله سبحانه، وإما تعود على النور؛ أي: القرآن، أو كلاهما.

كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

فالاعتصام بالله: هو الاستمساك به، واللجوء إليه، دائماً وأبداً في الشدائد، وغيرها. والعصم: هو المنع؛ أي: المناعة، والمناعة من المرض تكون بأخذ اللقاح.

والاعتصام بالله: يعني : تجنب الوقوع في المعصية والآثام.

ويتم ذلك بتطبيق شرعه، وعدم مخالفة أوامره.

والاعتصام بالنور (بالقرآن): هو العمل به، أو تطبيق ما جاء فيه، وكذلك من يعتصم بالقرآن، يمتنع، يصبح عنده مناعة من الوقوع في المعاصي، ومخالفة أوامر الله؛ فهو شفاء ورحمة.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أيْ: عن قريب سيدخلهم ربُّهم في رحمته.

﴿فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾: وهل الرحمة مكان يحل به المؤمن الذي توافرت فيه الشروط السابقة؟

نعم! الرحمة منه؛ أي: الجنة.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ﴾: في رحمة منه؛ أيْ: في الدنيا. رحمة: جاءت بصيغة

النكرة، تشمل الكثير، وتعني: الرزق، والعافية، والأمن، والطمأنينة، وغيرها، وفي الآخرة يدخلهم في الجنة برحمة منه وليس بأعمالهم؛ أي: رحمة خاصة بهم وليس رحمة عامة رحمة تغمرهم ولم يقل فسيدخلهم في رحمته كما قال تعالىٰ في سورة الجاثية آية (٣٠) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ (رحمته العامة)، وأما آية النساء تشير إلىٰ الذين آمنوا واعتصموا أي زيادة الاعتصام بالله أدخلتهم في رحمته الخاصة.

﴿وَفَضْلٍ﴾: تعريفه: الزيادة علىٰ الأجر، قد يكون رضوان الله ﷻ في الجنة، أو المنزلة العالية، أو الدرجات العالية في الجنة.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: ويهديهم إليه حصراً.

﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: هو الإسلام الذي يوصلهم للغاية، وهي سعادة الدارين.

❖ ❖ ❖

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَةِ

ترتيبها ٥ آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ١١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآٰ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

سورة النساء [الآية ١٧٦]

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: يطلبون منك الفتيا في حكم شرعي، وهو وراثة الكلالة. ارجع إلى الآية (١٢٧) من سورة النساء؛ لبيان كلمة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ وعدم ذكر الواو كقوله تعالى: (ويستفتونك).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾: ارجع إلى الآية (١٢)؛ لبيان معنى الكلالة.

والكلالة: هنا في ميراث الإخوة، والأخوات من الميت الكلالة.

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، وندرة الحدوث.

﴿ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾: أيْ: مات، ليس له ولد، ولا والد له؛ لأن الكلالة تعني: ليس له ولد، ولا والد له.

﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾: من أبيه وأمه؛ الإخوة الأشقاء الذين هم من نفس الأم والأب، أو إخوته من الأب، أو أخت من أبيه، فلها نصف ما ترك، والنصف

الآخر يذهب إلىٰ الزوجة، أو الجد، أو غير ذلك. ارجع إلىٰ الآية (١٢) من نفس السورة؛ لمعرفة الفروق.

وهـو يرثها إن لم يكن لها ولد؛ أيْ: هو يرث أخته: إن لم يكن لها ولد، ولا والد (أب وأم).

إذن: هـذه الآية تخص الإخوة والأخوات من نفـس الأم والأب؛ الإخوة الأشقاء، أو من الأب فقط.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾: كانتا بالتثنية تشير إلىٰ اثنتين، واثنتين تشير إلىٰ كانتا.

فلماذا كرر ذكر اثنتين؟ كانتا: جاءت للوصف.

(وصف الاثنتين): صغيرتان، أو كبيرتان، أو صالحتان، أو طالحتان، فلهما الثلثان من تركة أخيهما الميت.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أيْ: إذا ورث الميت في الكلالة إخوته، وكانوا ذكوراً وإناثاً، فللذكر مثل حظ نصيب الأنثيين.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضِّح، ويفصِّل لكم الأحكام، والآيات، وما أنزل إليكم.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أيها المسلمون.

﴿أَن﴾: مصدريـة؛ تفيد التعليل، والتوكيد، وتعنـي: لئلّا تضلوا؛ كما قال بعض المفسرين.

﴿تَضِلُّواْ﴾: عن طريق الهدىٰ، والصراط المستقيم، وتسيروا في طريق الضلال.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تفيد التعظيم، والتفخيم؛ أيِّ شيءٍ مهما كان نوعه، وشكله، ومكانه.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ أيْ: كثير العلم. العليم: يحيط علمه بكل شيء، وبما تفعلونه في الميراث، والقسمة، والوصية.

❖ ❖ ❖

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ١١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآٰ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

سورة المائدة [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن السورة (٥)، وترتيبها في النزول السورة (١١٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا﴾: أداة نداء إلىٰ الذين آمنوا بتكليف جديد: هو الإيفاء بالعقود، والهاء في (أيُّها): للتنبيه.

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: العقد: ما يتعاقد عليه اثنان؛ أيْ: دائماً يكون بين طرفين، والعقد: هو الربط، وعلىٰ كل طرف أن يلتزم بما عليه.

وقد يكون العقد بين العبد وربه، أو بين العبد وعبد آخر، أو بين العبد ونفسه، ويسمَّىٰ ذلك: بالنذر.

والعقود لها أنواع كثيرة، مثل: عقود البيع، والشراء، والنكاح، والشراكة، ثُمَّ بيَّن الله بعض ما أحله، وبعض ما حرَّمه.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: أيْ: أحلّ لكم أكل لحم بهيمة الأنعام بعد الذبح.

﴿الْأَنْعَامِ﴾: هي ثمانية أزواج: من البقر اثنان، ومن الغنم اثنان، ومن المعز اثنان، ومن الإبل اثنان.

أما بهيمة الأنعام: تشمل الأنعام وكل ما يماثل الأنعام، مثل الغزلان، والضباء، وبقر الوحشي، وكل حيوان مجتر. قيل: من بهيمة الأنعام.

وبهيمة الأنعام أعمّ، والأنعام أخصّ!، وسمِّيت بهيمة الأنعام؛ لأنّ أسرارها، وأمورها لا زالت مجهولة، ويصعب إدارتها، أو لا نعرف الكثير عنها.

ولم تسمى بهيمة؛ لأنها لا تفهم؛ كما كان يعتقد الأقدمون.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: في القرآن، أو في السنة النبوية، مثل: الميتة، وكل ذي ناب، مثل: السباع، والكلاب، وكل ذي مخلب من الطير.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: أيْ: وحُرمَ عليكم الصيد، وأنتم حرم؛ أيْ: في زمن الإحرام، وفي الحرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: إن للتوكيد، يحكم ما يريد.

الإرادة: هي العزم على القيام بأمر ما أو تركه، ولم يقل: إن الله يحكم ما يشاء؛ لأن الإرادة: تكون بعد المشيئة؛ أي: المشيئة تسبق الإرادة، والمشيئة. قيل: هي ابتداء العزم على الفعل، ومتى حصلت الإرادة صدر الفعل لا محالة، والإرادة من الله، كذلك تعني: أنه يقع منه الفعل، أو الحكم، حسب ما يُريد (على وجه دون وجه).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: نداء جديد إلىٰ الذين آمنوا بتكليف جديد.

﴿لَا تُحِلُّوا ﴾: لا: الناهية.

﴿ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾: لا تستبيحوا، أو تحلوا شعائر الله (سائر ما فرض وأوجب) من الفرائض، والحرمات، لا تستحلوا بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومنها: مناسك الحج، والشعائر غالباً ما تطلق علىٰ ما نسمِّيه: مناسك الحج، ومن الشعائر؛ أي: العبادات: الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ورمي الحجرات؛ كل هذه تعد من شعائر الله.

والشعائر: جمع شعيرة، وقيل: العلامة، والإشعار: هو الإعلام، وشعائر الحج: هي معالمه الظاهرة للحواس؛ أيْ: مواضع النسك، أو العبادة، ونسمِّيها المشاعر؛ أي: المعالم المكانية، فنقول هنا: مطاف، وهذا مسعىٰ، مقام إبراهيم، الحجر الأسود، والمشعر الحرام، وغيرها.

مثال: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١٥٨]. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٥٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾: أيْ: ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه، أو تبدِّلوها بغيرها، وتأخير حرمة شهر إلىٰ غيره؛ أيْ: تقوموا بعملية النسيء.

وقال: الشهر الحرام، ولم يقل: الأشهر الحرم، وهي كما نعلم أربعة: ذو القعدة، وذو الحُجَّة، ومحرم، ورجب.

﴿الشَّهْرَ ﴾: اسم جنس، والمفرد يطلق علىٰ الجنس.

وحرمة أيِّ شهر تمثل حرمة الأشهر كلها، ولا يختلف عنها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: أيْ: لا تحلوا الهدي؛ أيْ: لا تتعرضوا للهدي بالسرقة، أو الحبس، ومنعه من الوصول إلىٰ محلها؛ أي: المواضع الذي يحل فيه إراقة دمه، أو تأكلونه في الطريق إلىٰ مكة.

﴿ٱلْهَدْىَ﴾: ما يُهدىٰ إلىٰ البيت الحرام؛ تقرباً إلىٰ الله تعالىٰ.

والهدي: جمع هدية، فالحرم المكي كان قديماً بواد غير ذي زرع، ولم تكن به حيوانات كثيرة، أو أطعمة متوافرة، فكانوا يأتون بالهدي؛ للطعام، وإطعام الآخرين، ويذبحون في منىٰ.

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: أي: الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها للبيت.

والقلائد: جمع قلادة، وهو ما يعلق بالرقبة؛ رقبة الهدي؛ ليُعلم أنها مهداة للبيت؛ إذ كانوا قديماً يضعون هذه القلادة في رقبة الهدي؛ حتىٰ يعلم أنه مهدىٰ إلىٰ الحرم، فلا يتعرضون له بالأذىٰ، والسرقة.

لا تحلوها: أيْ: لا تأخذوها غصباً، أو تزيلوا القلادة من رقبتها.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾:

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: أيْ: تمنعون القاصدين، والقادمين إلىٰ البيت الحرام للحج، والعمرة من الوصول إليه للعبادة، ولم يذكر مكة أو بكة؛ لأن قاصدين مكة قد يكون للتجارة أو غيرها، ولنعلم أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

إذن يستثنىٰ من ذلك أي مشرك، أو غير مسلم؛ فهؤلاء يمنعون من أن يقربوا المسجد الحرام، كما بيَّن رسول الله ﷺ.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: يعني: الحجاج، والعمار المسلمين، لا تمنعوهم من الحج، والزيارة، والعمرة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: قال: فضلاً من ربهم، ولم يقل: فضلاً من الله؛ لأن عطاء الربوبية يتمثل في الرزق، والأرباح، والتجارة، ويشمل الكافر، والمؤمن.

وعطاء الألوهية يتمثل في: افعل، أو لا تفعل، ولا يشمل إلّا المؤمن.

﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: أيْ: يلتمسون نيل رضوان ربهم بقيامهم بأعمال الحج، والعمرة في سبيل الله، إضافة للسماح لهم بالتجارة، وطلب الرزق في أيام الحج.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾: إذا: شرطية؛ تفيد الحتمية.

وإذا أتممتم أعمال الحج، وتحللتم من إحرامكم، فاصطادوا، كما تشاؤون، ولكن في غير أرض الحرم، والإجماع هنا للإباحة بالصيد، وليس للوجوب، وهناك قاعدة أصولية مفادها: كل أمر بعد حظر؛ فهو للإباحة.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية. لا: الناهية.

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: من جرم؛ كسب، ويعني: غالباً كسب مالاً، لا خير فيه؛ أيْ: لا يكسبنكم شنآن قومٍ.

وقيل: جرمه: حمله على فعل شرٍّ، أو إثم؛ أيْ: لا يحملنكم شنآن، ومنه الجريمة، والجرم: قطع الثمرة من الشجر.

والشنآن: هو البغض الشديد الذي يسبب التباعد وربما العداوة.

يقال: شنأه؛ إذا أبغضه، اشنأه؛ أيْ: أبغضه.

فمعنى الآية: لا يحملنكم، أو لا يكسبنكم بغض قومٍ، أو عداوة قوم أن

صدوكـــم، أن: مصدرية؛ للتعليل؛ لأجل أن صدوكم عن المســـجد الحرام، كما حدث يوم الحديبية: أن تعتدوا عليهم، والخطاب كان موجَّهاً للرسول والصحابة؛ إذ صدهم المشـــركون عن الدخول إلىٰ مكة للعمرة، وتم صلح الحديبية، فجاء الأمر بالنهي عن قتال هؤلاء، أو الاعتداء عليهم، وإياكم والعواطف أن تكون هي السبب للاعتداء عليهم.

ولنعلم ما هي مراحل البغض: تبدأ بالبغض، ثم القلىٰ، ثم الشنآن، ثم المقت.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾:

﴿ٱلْبِرِّ﴾: هو الإيمان الحقيقـــي الكامل لأصول الاعتقاد، وما يتقرب به إلىٰ الله من إيمان، وعمل صالح، واعتقاد، وأخلاق، ومعاملات، وباختصار: هو فعل الخير والتقوىٰ؛ أيْ: تعاونوا علىٰ فعل الطاعات، واجتناب المنكرات والمنهيات.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾:

﴿ٱلْإِثْمِ﴾: في اللغة: التقصير، وشـــرعاً: هو فعل الحرام، أو ترك واجب، وقيل: فعل القبيح الذي عليه تبعة. ارجع إلىٰ ســـورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

والعـــدوان: هو الظلـــم، والاعتداء، ويشـــمل: التعدي علىٰ حـــدود الله، وتعريف العدوان: إرادة السوء، أو الشر لمن تعاديه، والبعد عنه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: قيل: هي كفُّ النفس عمّا نهىٰ الشـــارع عنه، ســـواء حراماً كان، أم مكروهاً.

والطاعة: قيل: هي القيام بما أمر الشارع به، سواء أكان واجباً، أم مستحباً.

وباختصار: التقوىٰ: الالتزام بأوامر الله تعالىٰ، وتجنب نواهيه.

والتقوىٰ: مأخوذة من الوقاية من عذاب الله وسخطه، وبالتالي الوقاية من النار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: إن: تفيد التوكيد علىٰ ﴿ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

كلمة العقاب وردت في (٦٤) موضعاً من القرآن.

ولتعلم: أن العذاب نوع من العقاب، ولتعلم: أن العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يقع في الدنيا والآخرة، بينما العقاب يقع فقط في الدنيا.

﴿ٱلْعِقَابِ﴾: وسمِّي العقاب؛ لأنه يقع بعد الفعل، أو الذنب، والفاعل يستحق العقاب عقب فعله، وقد وردت الآيات الكثيرة في أن الله سريع العقاب، شديد العقاب، ولم ترد في القرآن أي آية بأن الله سريع العذاب.

الفرق بين العقاب والعذاب:

العقاب: نوع من العذاب.

١ - يكون فقط في الدنيا.

٢ - لا يؤخر.

العذاب: أعم من العقاب.

١ - يكون في الدنيا وفي الآخرة.

٢ - يؤخر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: صفة ثابتة وعامة.

وورد أن الله شديد العقاب (١٤) مرة في القرآن.

❖ ❖ ❖

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٣ - ٥]

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾:

﴿حُرِّمَتْ﴾: مبني للمجهول، مع العلم أن الله هو الذي حرمها؛ لأن الله هو المحلل، والمحرم وحده، وما حلل وحرم رسول الله ﷺ، يدخل فيما حلل وحرم الله .

الميتة: بسكون الياء التي ذهبت منها الحياة؛ أيْ: خرجت روحها منها وماتت، وانتهت، يستثنى من ذلك السمك والجراد، والميِّتة بتشديد الياء التي لم تخرج منها الروح؛ أي: لا زالت حية وعلى وشك الموت بعد فترة من الزمن.

﴿وَالدَّمُ﴾: أي: الدم المسفوح، الجاري من الأوردة والشرايين، عند الذبح، أو غير الذبح؛ أيْ: شربه، وغليه، واستعماله في الأكل، ويستثنى من ذلك الكبد والطحال.

﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾.

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي لم يذكر اسم الله عليه، أو ذكر اسم غير الله عليه؛ مثل: الصنم، أو الولي، أو الوثن؛ ففي هذه الآية قدم

اســم الله؛ لأن الآيات في سياق تعظيم شــعائر الله، وفي آية البقرة (١٧٣) قدم به؛ لأنها في ســياق الذبائح المحرمة؛ أي: الطعام. ارجع إلى ســورة البقرة، آية (١٧٣)؛ للمقارنة بين ما أُهلَّ به لغير الله، وما أُهلَّ لغير الله به.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾:

وحرمت عليكم: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: أي: التي ماتت خنقاً.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي ماتت ضرباً.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي وقعت من ارتفاع، ثم ماتت.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: التي نطحها حيوان، ثم ماتت.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: وما بقي من الحيوان بعد أكل السبع منه؛ أيْ: ما افترسه ذو ناب؛ كالأسد، والذئب، والضبع، والكلب.

﴿إِلَّا﴾: أداة اســتثناء، تعــود على المنخنقــة، والموقــوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل الســبع، ولا يشمل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهلَّ به لغير الله؛ لأن ذلك محرم تحريماً عُقدياً (بالعقيدة).

﴿مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي ذكّيتم.

التذكية: هي الإتمام، يقال: ذكَّيت النار إذا أتممت إشعالها، فهذه الحيوانات إذا ذكّيتموها، ولا زال فيها حياة، ثم أتممتم ذبحها وســال منها دم، وصدر عنها حركة، أو صوت، تدلّ على حياة، فيجوز أكلها.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: النُّصب: هي حجارة، كانت منصوبة حول الكعبة، يذبح عليها المشركون الذبائح تقرُّباً للآلهة، والأصنام.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾: الاستقسام: طلب القسم، والنصب: طلب معرفة ما قسم له؛ أيْ: نصيبه مما يقسم له بالأزلام.

والأزلام: أقداح مكتوب عليها: افعل، أو لا تفعل، أو أمرني ربي، أو نهاني ربي، يحرك هذه الأقداح، ويختار قدحاً، فيقرأ ما فيه، وهي عشرة أقداح، أو أقل، قدح يقول: خذ نصيباً، وآخر يقول: خذ نصيبين، وهكذا ثلاثة، أربعة...

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: تشير إلىٰ جميع ما حرَّم الله سبحانه.

واستعمل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، ولم يستعمل ذلك؛ لأن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: تستعمل لكثرة الأمور المذكورة، وتستعمل في التوكيد، أو الحكم العام المستمر، وذلك تستعمل للقلة، أو الأمر الواحد، والأقل توكيداً.

﴿فِسْقٌ﴾: خروج عن طاعة الله إلىٰ معصية، أو خروج عن شرع الله، ومن يفعل ذلك؛ يسمَّىٰ فاسقاً، واشتُقت الكلمة من فسقت الرطبة عن قشرتها؛ أيْ: خرجت عن قشرتها، وللفسوق درجات قد تصل إلىٰ الكفر، والفسق شيء عام، أعمُّ من الظلم، وكل ظالم، أو كافر هو فاسق، وليس كل فاسق ظالماً، أو كافراً، وفي سورة الحجرات آية (٧) يقول تعالىٰ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، فما هو الفرق بين الفسق والفسوق؟ الفسوق: عام وهو الخروج عن طاعة الله أو الدين. أما الفسق: أمر خاص بالأطعمة والذبائح.

﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمني في علم الفلك، يقدر (٢٤ ساعة).

وفي القرآن يقدر بـ:(١٢ ساعة) من شروق الشمس إلىٰ غروبها.

ويُراد به اليوم الذي نزلت به تلك الآية، وكان يوم عرفة، يوم الجمعة،

وحج الـوداع، حيث نزلت اليوم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وله معانٍ أخرىٰ، سنوردها في آيات أُخر.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: اليأس: هو انقطاع الرجاء في شيء.

﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: أيْ: يئس الذين كفـروا أن ترجعوا إلىٰ ما كنتم عليه قبل الإسلام؛ أيْ: ترتدوا؛ أيْ: ترجعوا عن دِينكم الإسلام إلىٰ الكفر؛ لما رأوه من قوته، ودخول الناس فيه أفواجاً.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾: الخشية: هي الخوف؛ المقرون بالعلم، والمهابة، والتعظيم، ولا: الناهية.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: أيْ: لا تخشـوا الكفار، أو المشـركين؛ أيْ: تخافونهم وتهابونهم.

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾: ولـم يقل: (واخشـوني) بزيادة اليـاء، زيادة اليـاء (زيادة المبنـىٰ يدل علىٰ زيادة المعنىٰ)، فزيادة الياء؛ تـدل علىٰ زيادة التوكيد، فجاءت مـن دون زيادة في هذه الآية؛ لأنها جاءت في سـياق الأطعمـة المحرمة، بينما جاءت (واخشوني) بزيادة الياء في سياق تحويل القبلة: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقـرة:١٥٠]؛ الذي أثار عقول المشركين واليهود، وضعاف الإيمان، وأدَّىٰ إلىٰ فتنة وإرجـاف في المدينة، وارتـداد بعض ضعاف الإيمان، فهـذا الحدث لا يقارن بالحديـث عن الأطعمة المحرمة؛ لذلك زاد اليـاء؛ للدلالة علىٰ عظم الحدث. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٥٠)؛ للبيان.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان، يعني: اليوم، يوم الجمعة، يوم عرفة من حَجَّة الوداع، معرف بأل تعريف؛ لتدل على عظمته، وكان ﷺ قد صلَّى راكباً على ناقته؛ حين نزول هذه الآية.

والسؤال هنا: ما مناسبة ذكر هذا اليوم في سياق آيات تحريم الأطعمة، وذكر الأطعمة المحرمة في سياق هذا اليوم؟ وما هو الفرق بين ﴿أَكْمَلْتُ﴾ ﴿وَأَتْمَمْتُ﴾؟

قيل في الرد على هذا السؤال: إن تحريم هذه الأطعمة والخبائث من خصائص هذا الدِّين الكامل، ومن النِّعم التامة، ومما ارتضاه الله سبحانه للمؤمنين، فجاء ذكرها مع ذكر اليوم العظيم.

والفرق بين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾:

أكملت: والكمال لا يزاد عليه؛ لأنه الحالة المثلى، وأكملت جاءت في سياق الدِّين قد اكتمل، والكمال يتجلى في أن أحكامه صالحة لكل زمان ومكان، وفيه كل ما تحتاجون من الأحكام، والشرائع، والحلال والحرام، والحق والباطل، إلى يوم القيامة؛ فهو الدين الخالد ختم الله به الشرع ونسخ ما قبله.

بينما: ﴿وَأَتْمَمْتُ﴾: من التمام، وجاءت في سياق النِّعم، والنِّعم يمكن أن يزاد عليها، ومن النِّعم: نصر الله تعالى عباده المؤمنين على الكفار، وفتح لهم البلاد، وأيَّدهم، ومكَّن لهم الدِّين.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾: أي: اخترته لكم، كدين خاص بكم إلى يوم القيامة، وليس هناك غير الإسلام دِيناً أصلاً. أما بقية الشرائع (اليهودية، والنصرانية): فهي ديانات، وليست دِيناً؛ أيْ: شرائع مختلفة تناسب كل أمة.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: استئنافية. من: شرطية.

﴿ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: المخمصة: هي خلاء البطن من الطعام، وأصله ضمور البطن من الجوع، يقال: رجل خامص؛ أيْ: ضامر، والمخمصة: جوع فردي، بينما المسغبة: مجاعة عامة، والسغب: هو الجوع.

ومراتب الجوع: السغب، ثم الفرث، ثم الطوىٰ، ثم المخمصة، ثم الضرم، ثم السعار.

ومراتب العطش: العطش، ثم الظمأ، ثم الصدىٰ.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: أيْ: من أُلجئ وأُكره ـ بحكم الضرر ـ علىٰ أكل الميتة، أو الدم المسفوح، أو لحم الخنزير، واستنفذ الأسباب كلها، وأخذ بها، وخاف علىٰ نفسه الهلاك، فلا مانع أن يأكل فقط ليسد جوعه.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: أيْ: غير مائل بأن يكون باغياً، ولا عادياً، غير مائل عن الحق، والجنف: هو الميل عن الحق، والباغي: هو الذي يأكل فوق حاجته، والعاد: هو الذي يأكل من المحرمات، وعنده أطعمة أخرىٰ، تسدُّ رمقه. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة؛ من غفر؛ أيْ: كثير الغفران، لا يعاقب علىٰ الأكل إذا كان الإنسان مضطراً، يغفر الذنوب جميعاً إلّا الشرك، والكفر.

﴿رَّحِيمٌ﴾: حيث أباح له أكل المحرمات، وإلّا هلك العبد.

رحيم: صفة ثابتة لذاته العليا، رحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلىٰ سورة الحمد، آية (٢)، وارجع إلىٰ الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل.

[٤] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ

تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر عشر محرمات؛ يسألونك ماذا أحل لهم، ولم يقولوا: ماذا أُحل لنا.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: بلفظ الغيبة، وفي السؤال معنىٰ القول؛ فإنهم يقولون: ماذا أحل لهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٥)؛ لمزيد من البيان عن معنىٰ كلمة يسألونك.

﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: استفهام حقيقي، ماذا: فيها مبالغة في الاستفهام، وهي أقوىٰ من (ما).

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ﴾: لتتذكر أنه كلما جاءت كلمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: جاء بعدها الجواب: ﴿قُلْ﴾ في كل القرآن؛ إلّا مرة واحدة في سورة طه، قال تعالىٰ: فقل؛ لأنهم لم يسألوا حينذاك السؤال بعد، وربما يسألوه في المستقبل.

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر؛ أيْ: أحل لكم الطيبات.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾: المقصود بها الحيوانات التي نُعلمها؛ أيْ: ندربها، كيف تصطاد لنا من كلاب، وصقور، وغيرها، وسمِّيت جوارح: جمع جارحة؛ لأنها تجرح ما تصيد؛ أيْ: تكسب.

﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: مكلّبين: جمع مكلب: هو الذي يحترف حرفة تدريب الكلاب للصيد، مكلّبين؛ أيْ: مدربو الكلاب.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: آداب الصيد؛ أيْ: يأتي بالصيد سليماً لم يأكل منه، إذا أكل منه يصبح غير معلم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: فكلوا مما أحضرن لكم (من خلال عملية الصيد)، لماذا قال: ﴿أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن الجوارح (الكلاب، والصقور المعلمة)

حين تمسك بالصيد لا تأكله، وتمنع الصيد عن نفسها، ولا تمسكه عن صاحبها؛ أيْ: لا تمنع صاحبها من أكل الصيد، وهي تمنع نفسها من أكله، رغم قدرتها على أكله.

﴿مِمَّآ﴾: من ما، من: للتوكيد. ما: زائدة.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: قولوا: بسم الله الرحمن الرحيم عند إرسالها وإطلاقها للصيد، حتى لا يقع في دائرة مما لم يذكر اسم الله عليه، وإذا لم يقل: باسم الله وأطلقها للصيد، وعاد الكلب بالصيد، وهو ميت عندها، لا يأكل منه، ويرميه، وأما إذا لا زال فيه حياة مثل: حركة، أو صوت؛ فعندها يقول: باسم الله ويذبح الصيد، ويأكل منه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أيْ: أطيعوا أوامره، واحذروا مخالفة أوامره، واتخذوا لكم وقاية من عذابه، وسخطه، وعقابه، واتقوا ناره.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: قيل: إنه قادر على أن يحاسب الناس جميعاً في لمحة بصر، أو في مقدار نصف يوم، أو أقل فقط؛ لتقريب ذلك من الأذهان، والحساب يعني في اللغة: العد، أو إطلاع الناس على أعمالهم، وما لهم، وما عليهم من الثواب والعقاب.

[٥] ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ارجع إلى الآية (٣).

﴿أُحِلَّ لَكُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، لكم خاصَّة.

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر، وما يستطاب ويشتهى، وتشمل الطعام، والشراب، وغيرها من المتاع، وقيل: هي كل ما لم يحرِّمه الكتاب والسنة، أو القياس، أو غيرها من مصادر الشريعة.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾:

كلمة الطعام: كلمة عامة، وهنا في هذه الآية؛ تعني: الذبائح، أو اللحم فقط، وهل كل طعام أهل الكتاب حل لنا؟

الجواب: لا؛ لأنهم يأكلون الخنزير، وبعض أطعمتهم تدخلها الخمور، أو لحم الخنزير، أو لا يذكرون اسم الله عليها.

إذن الذي يحل للمسلمين من طعام أهل الكتاب ما هو حلالاً في دِين الإسلام، وبما أن الطعام وسيلة لاستبقاء الحياة والتناسل، ووسيلة لاستبقاء النوع البشري، انتقل إلى ذكر الزواج: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾:

أحل لكم الزواج من المحصنات من المؤمنات.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: العفيفات الحرائر. ارجع إلى الآية (٢٤) من سورة النساء؛ لمعرفة معنى الإحصان. إذن المحصنة هنا تعني: التي تحصن فرجها، فلا تزني؛ أي: العفيفات الحرائر من المؤمنات، وإذا قارنا هذه بالآية (٢٥) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ فقد جاءت هذه الآية في سياق نكاح ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات (الإماء).

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

أي: العفيفات الحرائر (جمع حرّة).

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنصارىٰ، الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبلكم.

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾:

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾:

﴿إِذَآ﴾: ظرفية شرطية، تفيد الحتمية؛ أيْ: لا بُدَّ من إعطائهنَّ مهورهنَّ.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: الإيتاء: هو العطاء؛ أيْ: تعطي المهر، أو الصداق قبل الزواج.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: من الإحصان؛ أي: الزواج الشرعي، والإحصان له أربعة معانٍ: الزواج، والعفة، والإسلام، والحرية.

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: غير زناة، والسفح: هو صبُّ المني الملازم للجماع، وخصَّ به الزِّنىٰ، وقد يكون لمرة واحدة بأيِّ زانية، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٢٥) في سورة النساء نجد أن آية المائدة جاءت في وصف الرجال بالإحصان؛ فكلا الطرفين مطالب بالإحصان (أي العفة).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾: الخدن: الصديق، ذكراً أو أنثىٰ، يزني بها سراً، وهي تزني به باستمرار. ارجع إلىٰ الآية (٢٤) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

وتقديم المحصنات من المؤمنات علىٰ المحصنات الكتابيات؛ يدل علىٰ تفضيل الزواج بالمسلمات المؤمنات علىٰ المحصنات الكتابيات.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أيْ: يُحل ما حرم الله، أو يُحرم ما أحله الله، أو يكفر بشرائع الإسلام؛ أيْ: يجحد بها، وبالتوحيد، وبالشهادة، أو يؤمن ببعض، ويكفر ببعض.

﴿يَكْفُرْ﴾: يتجدَّد كفره، ويستمر، ولم يقل: من كفر.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾: بطل ثوابه، أو جزاء عمله.

﴿حَبِطَ﴾: اشتُقَّت من حبطت الماشية؛ أيْ: أصابها مرض الحبن؛ أي: انتفاخ البطن، ويظُن أنها نمت، وزادت شحماً ولحماً، وإنما هي في الحقيقة مريضة ومتورِّمة، ثم تموت، وكذلك أعمال الكافر؛ يظن أنها أعمال ضخمة، وحسنة (كانتفاخ البطن في الماشية)، ولحمها نتن، لا يباع، ولا يؤكل، ولا فائدة منه؛ كأعمال الكفرة.

وقد شبَّه الله عمل الكفار والمشركين في آيات أخرىٰ بالسراب، والرماد الذي اشتدّت به الريح، والهباء المنثور.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الخاسرين لنفسه؛ لأنه أدخلها النار، وقد تعني: الخاسرين لأهله كذلك. ارجع إلىٰ سورة الزمر، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ
أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

سورة المائدة [الآيات ٦ - ٩]

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء إلى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بتكليف جديد، استعمل فيها ياء النداء: للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تعني: حين، وتفيد حتمية الوقوع وكثرته؛ يعني: القيام إلى الصلاة والوضوء.

﴿قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أردتم ونويتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير وضوء.

﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾: غسل الوجه يشمل: غسل الجبهة، والذقن، وما بين الأذنين، والفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾: يشمل غسل الكفين، والذراعين، والمرفقين.

﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾: الباء: باء الإلصاق، وتعني: اللصق، والمسح

برؤوسكم، أو قيل: الباء تعني: امسحوا جميع الرأس، من مقدم الرأس إلى الخلف، ومن الخلف إلى الإمام.

ومنهم من قال: الباء تعني: التبعيض؛ أي: امسحوا بعض الرأس.

ومنهم من قال: الباء: للتوكيد، وغيرها من التفسيرات.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾:

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: قيل: معطوفة على أيديكم واللغة تسمح العطف على الأبعد أي: أيديكم؛ أي: اغسلوا أيديكم إلى المرافق، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنتُمْ جُنُبًا﴾: بجماع، أو احتلام إنزال المني، في نوم، أو يقظة.

﴿فَاطَّهَّرُوا﴾: أيْ: فاغتسلوا بالماء، ويسمَّى غسلَ الجنابة (التطهر يكون بالوضوء، وغسل الجنابة).

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: ويخاف الضرر، أو الأذى باستعمال الماء.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافرين.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾.

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كناية عن الجماع.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾: للوضوء، أو الغسل؛ فتيمموا.

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾:

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾: الصعيد: وجه الأرض؛ أي: التراب. لماذا التراب؟ أو الحكمة من التيمم بالتراب؟

فقد ثبت علمياً: أن التراب مادة معقمة تحوي على كثير من الكائنات الحية التي لها القدرة على إنتاج بعض المضادات الحيوية التي تعجز المضادات الحيوية المستعملة أن تقضي على مسببات الأمراض من الجراثيم، أو البكتيريا، أو الحمَّات الراشحة، وتعادل الماء في التطهير، وهناك من يعالج بالطين، فعلينا أن لا نظن أن التيمم عملية رمزية معنوية، بل هي معجزة إلهية حقيقية.

﴿طَيِّبًا﴾: أيْ: طاهراً من النجاسة (تراباً طاهراً).

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾: منه: تعود على الصعيد، فيضرب بكفيه وجه الأرض (الصعيد الطيب)، فيمسح بهما وجهه، وكفيه، ظاهراً وباطناً مرة واحدة.

وبعض المفسرين قالوا: منه: تعني: التراب وحده، وليس الحجارة، أو الرمل، أو الخشب، ومنهم من قالوا: منه تعني : ابتداء الغاية، وغيرها من الأقوال، فالوضوء فرضاً، ويعني: طهارة أربعة أعضاء: الوجه، واليدين إلى المرفقين، والرأس، والرجلين إلى الكعبين.

والتيمم: يعني: طهارة عضوين (الوجه واليدين).

والغسل: طهارة كل البدن. ارجع إلى الكتب الفقهية الأخرى؛ لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٣) في سورة النساء نجد في آية النساء حذف منها كلمة (منه) وهناك اختلاف بين الآيتين فآية المائدة جاءت عامة في

سياق الوضوء وفي سياق غير الجنب والجنب ذوي الأعذار، وأما آية النساء جاءت في سياق الجنب وذوي الأعذار فقط.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: جاء بالفعل المضارع يريد، ولم يقل: أراد الله؛ ليدل على التجدد والتكرار في التيسير، ورفع الحرج، وتكرار الثواب والأجر، وإتمام النِّعمة، ولو قال: أراد الله؛ تعني: مرة واحدة، لا تتكرر.

﴿لِيَجْعَلَ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: الحرج: هو الضيق، والمشقة، وكلمة حرج؛ مشتقة من الحرج، وهي الشجر الملتف؛ الذي لا يمكن الدخول فيه، ولا الخروج منه.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك؛ يفيد التوكيد.

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد. يطهركم: طهارة حسية، وكذلك معنوية، يطهركم من الذنوب والآثام ومن الشرك.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، يتم نعمته عليكم: بالترخيص في التيمم، والواو في وليتم؛ تعني: إضافة إلى النِّعم الأخرى التي أنعمها الله عليكم، وبالثواب على ما شرعه لكم، وعلى طاعتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلَّ: تفيد التعليل. تشكرون: تؤدُّون الشكر

الواجب عليكم، على هذه الرخص في العبادات، ولا تنسوا المنعم هو الله، والدوام على الشكر. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٧] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: نعمة الإسلام، والإيمان.

وتعني: النِّعم كلها، وفي هذا حثٌّ على الشكر.

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: وميثاقه: فيه عدة تفسيرات: واثقكم به؛ أيْ: عاهدكم به.

١ - الميثاق الذي أخذه من بني آدم، حين أخرجهم من ظهر آدم (ميثاق الذر). كما جاء في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾.

٢ - ميثاقه؛ عندما دخلتم في الإسلام، وأعلنتم الشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً ﷺ رسول الله.

٣ - وقيل: ما أخذ عليكم من عهود، ومواثيق على لسان رسوله ﷺ؛ بالوفاء، كما في الآية (١٠) من سورة الفتح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: إذ: ظرفية زمانية؛ تعني: حين قلتم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: بايعتموه على السمع والطاعة، في السرَّاء والضرَّاء، وفي المنشط والمكره.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بامتثال أوامره وطاعته، فيما أمر به، وما نهى عنه، سواء لتتَّقوا سخطه، وغضبه، وناره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة آل عمران.

[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

نداء للذين آمنوا بتكليف جديد، استعمل فيها ياء النداء: للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: قوّامين لله: جمع قوَّام، تدل على كثرة القيام؛ لأن قوَّام صيغة مبالغة لقائم، ولم يقل: كونوا قائمين، بل قوّامين.

﴿قَوَّٰمِينَ﴾: لله، بحقوقه، وواجباته، وطاعته، وبالإيفاء بالعقود، والعهود، والمواثيق، وما عاهدتم عليه الله، ورسوله ﷺ.

﴿لِلَّهِ﴾: لأجل مرضاة الله وحده، والإخلاص له، وليس لأجل السمعة والرياء.

﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾: شهداء: جمع شاهد، أو شهيد. شهداء بالقسط: تعني: الحكم بالعدل أولاً، وبتنفيذ ذلك الحكم ثانياً وقدم قوامين لله على شهداء بالقسط؛ لأن الآية جاءت في سياق الوفاء بالعقود وشعائر الله والحل والحرام. ارجع إلى سورة النساء آية (١٣٥) للمقارنة؛ حيث قدم القسط على شهداء لله؛ لأن الآية جاءت في سياق العدل والقسط لليتامى والمستضعفين، والإصلاح بين الأزواج.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢) من نفس السورة للبيان.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: أيْ: لا يحملنكم شنآن قوم؛ أيْ: بغضكم الشديد لقوم: أن يحملكم ذلك علىٰ الجور والظلم، وعدم تحرِّي العدل، واحترام العهود والمواثيق، وعدم الاعتداء علىٰ الآخرين؛ لأن المسلم يجب أن يكون قدوة للآخرين، مهما كانت عقيدتهم، وأن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالىٰ.

والشنآن: هو البغض الذي يسبب العداوة.

ولا يحملنَّكم بغض قوم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾: علىٰ أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل والتوكيد، وإذا نظرنا في هذه نجد أنه أضاف (علىٰ) مقارنة بالآية (٢) حيث قال أن تعتدوا بدون (علىٰ)، وعلىٰ: تفيد المشقة والعلو والمقارنة تشير إلىٰ أن الآية (٢) نزلت في صلح الحديبية حين صدوا رسول الله ﷺ والصحابة عنه العمرة وانتهىٰ الأمر، أما الآية الثانية (٨) فهي عامة ومحكمة؛ أي: وهي الأمر بالعدل إلىٰ يوم القيامة فهي أبلغ وآكد من الآية (٢).

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: اعدلوا في القريب والبعيد، والغني والفقير، والقوي والضعيف، ومهما كانت ملَّته.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد والحصر.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أيْ: إقامة العدل والقسط يقرِّبكم للتقوىٰ؛ أيْ: أقرب إلىٰ أن تكونوا من المتّقين.

﴿ٱعْدِلُوا۟﴾: هو تكرار لقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾: والتكرار يفيد التوكيد علىٰ أهمية العدل، وعدم الجور.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: تكرار، واتقوا الله: لا يدل على التكرار؛ لأن اتقوا الله في الآية (٧) جاءت في سياق إن الله عليم بذات الصدور نوايا الناس والآية (٨) اتقوا الله جاءت في سياق (بواطن الأمور).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ خَبِيرُۢ﴾: ببواطن الأمور وخفايا الصدور. خبير: بما تقومون به من عدل، أو جور.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعۡمَلُونَ﴾: أيْ: تقولون وتفعلون.

وقدَّم كلمة ﴿خَبِيرُۢ﴾: على كلمة: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ لأن السياق في الغيب، وخفايا الأمور، وليس أعمال العباد، ثم أوضح الله جزاء الفريقين: الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، والذين كفروا، أو كذبوا.

[٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: الوعد غالباً يأتي في سياق الخير، والوعيد: في سياق الشر دائماً.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قرن الإيمان بالعمل الصالح، فلا بُدَّ منهما، كلاهما معاً، فلا يقبل إيمان من دون عمل صالح، ولا عمل صالح من دون إيمان.

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، المغفرة تعني: التجاوز عن الذنب، وإسقاط العقاب، والأجر العظيم أو الثواب هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.

لنقارن هذه الآية من سورة المائدة، وهي: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، مع الآية (٢٩) من سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

الآية (٩) من سورة المائدة: تتحدث عن المؤمنين عامة، ولذلك قال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، بينما آية سورة الفتح: تتحدث عن الصحابة رضي الله عنهم، والذين كانوا مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية (في بيعة الرضوان)، ولذلك قال: ﴿مِّنْهُم﴾؛ أي منهم (خاصَّة بأصحاب رسول الله ﷺ المخلصين)؛ لأن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يكن حاضراً الصلح، ومنهم منافقين أيضاً؛ فلذلك قال: ﴿مِّنْهُم﴾: تميزاً، وتفضيلاً، ونصاً.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ
إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١١

سورة المائدة [الآيات ١٠ - ١٣]

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿كَفَرُواْ﴾: أيْ: سائرون على درب الكفر، والكفر: هو الستر، والجحود، وإنكار وجود واجب الوجود، والكفر يشمل: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: الكفر أعم من التكذيب، والكذب حالة جزئية من الكفر؛ أيْ: جحدوا بها، أو أنكروها.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: آيات القرآن، والآيات الكونية، والمعجزات، أو البينات.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويعني: سوء منزلتهم.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: سمّوا أصحاب؛ لمصاحبتهم الجحيم، (وهي النار)، صحبة ناشئة عن كونهم لا يفارقونها، وهي لا تفارقهم؛ أيْ: صحبة دائمة، لا تنقطع.

وكلمة الجحيم؛ مأخوذة من الجحوم (من جحم)، ومعناها النار شديدة التأجج، والتي لا تخمد.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا، وتذكير لهم بنعمة خاصَّة، حصلت لهم.

أسباب النزول: القوم قيل: هم بنو النضير، همّوا بإلقاء رحىٰ عظيمة من سطح أحد منازلهم علىٰ رسول الله ﷺ، عندما تآمروا علىٰ قتله، فجاء جبريل ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فانصرف ﷺ، وباءت مؤامرتهم بالفشل.

وهناك من قال: إن هؤلاء القوم هم بنو ثعلبة، وبنو محارب، حينما حاولوا قتل رسول الله ببطن نخلة، حين قام ﷺ لصلاة العصر، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك.

وقيل: نزلت هذه الآية عندما حاول رجل من بني محارب قتل رسول الله ﷺ، وهو نائم تحت الشجرة، وفشل في ذلك، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: حينئذٍ.

﴿هَمَّ﴾: الهم: هو حديث النفس؛ الذي يطرأ علىٰ فكر الإنسان، ولم يصل إلىٰ درجة العزم.

﴿قَوْمٌ﴾: يعني: بنو النضير، أو بنو ثعلبة، أو بنو محارب، والقوم يعني: الرجال دون النساء أحياناً.

﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: أن: للتوكيد، والبسط: هو مد اليد بالبطش، والفتك، أو الأذىٰ.

﴿إِلَيْكُمْ﴾: ولم يقل: إليه ﷺ؛ لأنَّ بسط اليد لإيذاء رسول الله ﷺ، هو بسط اليد إلىٰ المؤمنين كافة.

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: أيْ: منع أيديهم أن تصل إليكم (كناية عن عدم القتل)، وتشمل رسول الله ﷺ والصحابة.

وعصم رسول الله ﷺ، وعصمكم من الأذىٰ والقتل، وهذه نعمة من نعمه عليكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢) من نفس السورة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: تقديم الجار والمجرور: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: تفيد الحصر؛ أي: التوكل، لا يكون إلا علىٰ الله وحده؛ لأنه هو الوكيل؛ أي: الكفيل بالخلق القائم بأمورهم، والكافي. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

المناسبة في نزول هذه الآية: تذكير للمؤمنين بأن لا تكون عهودهم ومواثيقهم؛ كمواثيق بني إسرائيل، ويسيرون علىٰ سيرهم:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الميثاق: هو العهد المؤكد. ارجع إلى الآية (٨٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

بعد نجاة موسى، وبني إسرائيل من فرعون وجنوده ومن الغرق، أمر الله موسى بالسير إلى الأرض المقدسة، التي كان يسكنها الكنعانيون (القوم الجبارون).

وقبل التوجه لقتال الكنعانيين، أمر الله موسى بأن يختار (١٢) نقيباً من كل سبط، ويأخذ عليهم الميثاق، ووعدهم الله بأن يدخلوا الأرض المقدسة، وأخذ منهم الميثاق على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل، والتعزير، والقرض الحسن.

ولكن هؤلاء النقباء حين دنوا من أرض كنعان، ورأوا القوم الجبارين، رفضوا القتال، ونقضوا الميثاق، وقالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

والنقيب: هو كبير القوم، القائم بأمورهم، ينقب عنها، ويرعاها؛ أي: المندوب عن قومه، والممثل لهم، مشتقة من التنقيب: وهو البحث عن مصالح القوم، وتحمل معنى: أنه لا يكتفي بظواهر الأمور، بل يكشف بواطن الأمور، ويعلم الكثير عن قومه.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾: ينتقل الله سبحانه من التكلم بصيغة الغيبة إلى صيغة المخاطب؛ للفت أسماعهم، والاهتمام بما سيقول لهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾: بالعون، والنصرة؛ أيْ: ناصركم، ومعينكم، وحافظكم.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: اللام: للتوكيد، إن شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة؛ أيْ: إقامتها بفروضها، وأركانها، وشروطها.

﴿وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ﴾: دفعتم زكاة أموالكم.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾: أيْ: صدقتموهم بما جاؤوكم به من الوحي؛ أيْ: أطعتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أنفقتم في سبيل مرضاته؛ أيْ: إضافة إلىٰ الزكاة، والقرض الحسن. ارجع إلىٰ الآية (٢٤٥) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنىٰ القرض الحسن.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾:

أيْ: لئن أطعتم ما أمرتكم؛ لأنصرنكم علىٰ عدوكم.

و﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ﴾: التكفير؛ يعني: الستر، والمحو.

﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: الصغائر، والكبائر.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾:

﴿فَمَن كَفَرَ﴾: الفاء: استئنافية، فمن كفر؛ أي: نقض الميثاق، وترك العمل بما فيه، ولم يطع اللهَ فيما أمر ونهىٰ عنه.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد الميثاق.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. قد: للتوكيد، والتحقيق.

﴿ضَلَّ﴾: تاه، وأخطأ، وابتعد عن الحق والهدىٰ.

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: السواء: هو الوسط، ومن يمشِ في الوسط يصعب عليه أن يتيه ويضل.

﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الطريق السهل، الواضح، الموصل إلىٰ الغاية، وهي رضوان الله تعالىٰ وجنته، والنجاة من النار.

[١٣] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿فَبِمَا﴾: الفاء: استئنافية، الباء: سببية؛ أيْ: بسبب نقضهم الميثاق: ﴿لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، وما: للتوكيد.

﴿نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: النقض ضد الإبرام، والنقض؛ يعني: عدم العمل بالميثاق؛ أي العمل بالتوراة.

والميثاق: هو العهد المؤكد، ورفضوا تطبيق بنوده، فماذا حلَّ بهم؟

﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: أبعدناهم، وطردناهم عن رحمة الله.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: أيْ: صلبة قاسية؛ كالحجارة، والصلابة مذمومة حين تصيب القلوب؛ أيْ: لا تتأثر بموعظة، ولا تقبل الحق، ولذلك هم اعترفوا حين قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة:٨٨].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾:

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾:

التحريف: يكون بتغيير المعنى؛ أيْ: تحميل الألفاظ على غير ما وضعت له، والتحريف يكون بالتغيير، والتقديم، والتأخير، والزيادة، والنقص، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤١) في نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ نجد أن الآية (١٣) جاءت في سياق التحريف الأول الذي حدث من اليهود بعد موسى، وأما الآية (٤١) جاءت في سياق التحريف الثاني الذي حدث من اليهود في زمن رسول الله ﷺ.

﴿ٱلْكَلِمَ﴾: جمع كلمة: وهو كلام الله تعالى في التوراة. ارجع إلى سورة النساء آية (٤٦) لمزيد من البيان في معنى الكلم.

﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: نسوا، من النسيان: وهو الترك عن عمدٍ، وعدم الاهتمام بما هو مكتوب في التوراة، أو نسوا حظاً مما ذكروا به بسبب عدم قدرة عقولهم على استيعاب ما يوعظون به، وبسبب عدم الكتابة والنسخ،

ويختلف النسيان عن السهو؛ لأن النسيان يكون عما كان، والسهو يكون عما لم يكن.

﴿حَظًّا﴾: نصيباً جزءاً، ممَّا ذكروا به في التوراة، والحظ: يكون في المحبوب أو يستعمل في الخير أو الفضل، فكل ما جاء في التوراة كان خيراً.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: الخطاب إلى النبي ﷺ، وأمته؛ أيْ: لا تزال تظهر خيانة منهم لك وللمؤمنين، وخيانتهم لك ولغيرك لن تتوقف، سوف تتوالى، فهذا دأبهم.

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: خيانة، واختار كلمة خائنة؛ لأنها مستوعبة لكل مصادر الخيانة.

خائنة: إما اسم فاعل خائن، والتاء: للمبالغة؛ أيْ: شخص، أو أشخاص خائنين، أو تعني: طائفة خائنة، أو نفس خائنة، أو مصدر، وتقرأ بدلاً من خائنة: خيانة، فخائنة: تشمل كل تلك المعاني.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: إلّا: أداة استثناء؛ أيْ: هناك القليل منهم، لا تبدر منهم خيانة، ويلتزمون بمواثيقهم وعهودهم.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: العفو: هو ترك العقوبة على الذنب.

﴿وَٱصْفَحْ﴾: الصفح: أبلغ من العفو، فالصفح: ترك العقوبة، وترك اللوم، والمن، وعدم التذكير بما حدث (ترك التثريب).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن

تراه؛ فهو يراك. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان عن الإحسان.

والذي يعفو، ويصفح يصل إلى درجة الإحسان.

فهذه مراحل الترقي من العفو إلى الصفح إلى الإحسان.

لنقارن هذه الآية (١٣) من سورة المائدة، مع الآية (٤١) من السورة نفسها:

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

وقال في الآية (٤١) من سورة المائدة: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾:

ما هو الفرق: لنعلم أن هناك تحريفين للتوراة: الأول: حدث بعد نزول التوراة، وهي قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: قام به اليهود الأوائل من بعد موت موسى، وتحريف ثانٍ: حدث في زمن الرسول ﷺ، وهو يمثل قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

❖ ❖ ❖

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۖ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

سورة المائدة [الآيات ١٤ - ١٧]

[١٤] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾:

بعد أن ذكر كيف نقض اليهود ميثاقهم، وماذا كانت عاقبة أمرهم.

يذكر الآن النصارىٰ، وميثاقهم، وماذا كانت عاقبة أمرهم.

﴿وَمِنَ﴾: ابتدائية.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾: نسبة إلىٰ قرية الناصرة في فلسطين، كان عيسىٰ ينزلها.

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾: ميثاقهم: الإيمان بالله، والرسل، وطاعة الله، فيما أمر، والتوحيد، والعمل بما أمر الله علىٰ لسان عيسىٰ .

﴿فَنَسُواْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة.

﴿فَنَسُواْ حَظًّا﴾: عمداً، ارجع للآية السابقة (١٣)؛ لبيان معنىٰ الآية.

ممّا ذكروا به في الإنجيل، ومن الإيمان، وتركوا العمل به، ونقضوا العهد، ومما ذكروا به: هو اتباع محمد ﷺ.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾:

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: أصلها من الغراء: وهو المادة الصمغية المستعملة للصق الخشب على بعضه. والإغراء هنا يعني: الحث على فعل ما، وتحسينه في نظر الذي يراد إغراؤه واستخدم أغرينا ليدلنا على عظم العداوة والبغضاء التي انتشرت بينهم.

﴿بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: أيْ: أوقعنا بين طوائف، وفرق النصارى العداوة والبغضاء، بسبب اعتقاداتهم الفاسدة؛ مثل: كون عيسى إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وتحريفهم الإنجيل، وكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن، فأصبحت كل فرقة منهم تُكفر الأخرى، وتعادي الأخرى.

﴿وَسَوْفَ﴾: سوف للتراخي، والاستقبال؛ أيْ: في الآخرة.

﴿يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: ينبئهم في الآخرة، بما: الباء: للإلصاق.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: في الدنيا، واختار كلمة ﴿يَصْنَعُونَ﴾: بدلاً من يعملون، أو يفعلون؛ لأنهم امتازوا بصنعة التحريف، والنسيان، والكتم، وأصبحوا ذوي خبرة، وترك ما أمروا العمل به؛ فتحول من فعل عادي إلى صناعة (تعني: الجودة، في التحريف والكتم).

هذه الآية (١٤) لا بُدَّ من مقارنتها بآية أخرى، وهي الآية رقم (٦٤) من نفس السورة، وهي قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾.

فمع النصارىٰ استعمل كلمة: ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾، ومع اليهود استعمل كلمة ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾: ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: أشد قوة وتأكيداً من ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾.

أيْ: أغرينا بين طوائف وفرق النصارىٰ العداوة والبغضاء؛ أيْ: جعلنا عداوتهم وبغض بعضهم لبعض أشد بكثير ممّا جعلناه بين فرق وطوائف اليهود؛ والسبب في ذلك: أن الحروب، والخلافات بين طوائف النصارىٰ أشد من الخلافات والحروب بين طوائف اليهود، وكلاهما اختلفوا وتفرقوا من بعد ما جاءتهم البينات؛ والسبب في ذلك اعتقاد النصارىٰ أن عيسىٰ إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة وغيرها، هي اعتقادات باطلة وفاسدة، إضافة إلىٰ تحريفهم الإنجيل، وأما اليهود؛ وإن كانوا قد حرفوا التوراة مرتين، لكن اعتقاداتهم لا ترقىٰ إلىٰ اعتقادات النصارىٰ من جهة الوحدانية.

[١٥] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: (نداء إلىٰ اليهود والنصارىٰ)، نداء مباشر، والياء: للبعد، وهذا النداء أفضل من النداء بالذين أوتوا الكتاب أو أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ، وقوله: ﴿رَسُولُنَا﴾: هنا؛ للتشريف، والتعظيم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: يُبيِّن؛ أيْ: يُظهر الكتاب؛ أي: التوراة والإنجيل، وما كنتم تخفون في صفات ونعت

محمد ﷺ، وبعض الأحكام؛ مثلك آية الرجم، وذكر وصفة الرسول ﷺ، وقصة أصحاب السبت، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وبشارة عيسى بمجيء محمد ﷺ كما في الآية (٦) في سورة الصف وهي قوله تعالى على لسان عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: أيْ: يُعرض، ولا يذكر الكثير ممّا تكتمونه.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿نُورٌ﴾: محمد ﷺ، أو الإسلام، أو المنهج، أو الإيمان.

﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾: القرآن الكريم، مبين ظاهر، ومظهر لنفسه، يُبيِّن لكم الحق من الباطل، ظاهر لكل إنسان يقرؤه.

[١٦] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾: بالقرآن.

﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: من: اسم موصول للعاقل؛ بمعنى: الذي اتبع رضوانه (أيْ: شرعه ودينه).

أيْ: يهدي بالقرآن أي إنسان يريد الحصول على رضا الله، بأن يتبع سبل السلام؛ أي: الطرق المؤدّية للنجاة من النار.

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: سُبلُ: جمع سبيل، سُبلُ السلام؛ أي: السبل المؤدية إلى السلامة والنجاة من عذاب الله، طرق الخير، وطرق العبادة، والذكر، والتقرب من الله تعالى.

وسبل السلام متعددة: مع الله، ومع النفس، ومع الجماعة، ومع العالم،

ومع الكون، ويقابلها: سبل الضلال. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١٥٣)، وسورة يوسف، آية (١٠٨)؛ لمزيد من البيان؛ لمعرفة الفرق بين سبل السلام، وأن هذا صراطي مستقيماً، قل هذه سبيلي.

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾: إما أن تعود علىٰ الله، أو علىٰ رسوله، أو علىٰ القرآن، أو علىٰ الكل.

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾: أي: المُتَّبعين رضوان الله.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾: من ظلمات الكفر، والشرك، والجهل، والشك، إلىٰ نور الإيمان بإذنه ، فالظلمات متعددة، والنور واحد.

﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾: ويهديهم تعود علىٰ الله، أو الرسول، أو القرآن، أو الكل معاً.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الدِّين القيم: وهو الإسلام (دِين الحق)، والصراط المستقيم: هو أسهل، وأقصر، وأسرع، وأوسع السبل المؤدية إلىٰ الغاية.

[١٧] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق (للتوكيد).

﴿كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: قيل: هم فرقة من فرق

النصارىٰ؛ تسمَّىٰ اليعقوبية، وساد مذهبهم هذا بعدئذٍ بين جميع المسيحيين، وهو: أن اللهَ سبحانه هو المسيحُ ابن مريم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: ، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٥) من سورة آل عمران.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿فَمَن﴾: الفاء: للتوكيد، من: استفهامية؛ تفيد الإنكار، والتوبيخ.

﴿يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: من: استغراقية.

﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة؛ للتهويل، والشيء: هو أقل القليل؛ أيُّ شيء مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه.

﴿يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أيْ: يدفع، ويمنع من عذاب الله شيئاً، إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم عليهما السلام، وجواب الاستفهام: لا أحد يملك ذلك.

﴿وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾:

﴿وَمَن﴾: استغراقية.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

واستعمل ﴿أَرَادَ أَن﴾: أن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والندرة.

﴿أَرَادَ﴾: ولم يقل: يريد؛ لأن الإهلاك لا يحصل إلَّا مرة واحدة.

وفي هذه الآية: دليل علىٰ أن عيسىٰ ليس إلهاً، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة.

وفي هذه الآية: إنذار لمن قالوا: إن الله هو المسيح عيسىٰ ابن مريم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

فالألوهية إذن لمن!! الجواب: لمن له ملك السموات والأرض، وما بينهما؛ أي: المُلك والحكم، حصراً لله وحده، وتقديم ﴿وَلِلَّهِ﴾: الجار والمجرور ولفظ الجلالة: يفيد الحصر.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: قادر أن يخلق آدم من تراب، وعيسىٰ من أم، وحواء من آدم، وأنتم من أب وأم، فإذا أراد شيئاً: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

يخلق من الخلق، وهو الإيجاد من لا شيء، أو من شيء، والخلق هو التقدير.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، يعود علىٰ الله سبحانه وحده، وقادر علىٰ عقاب العاصي، وثواب المطيع، وقادر علىٰ نصر نبيه، ودينه، وإعلاء كلمته. ارجع إلىٰ سورة البقرة؛ آية (٢٠)؛ لمزيد من البيان.

وإذا نظرنا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: وقارنّا هذه بقوله تعالىٰ في سورة الفتح، الآية (١١): ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، أضاف كلمة: ﴿لَكُم﴾.

﴿لَكُم﴾: تعني: هؤلاء المذكورين خصوصاً وليس غيرهم؛ أي: الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ حين دعاهم للخروج إلىٰ العمرة، وحدث صلح الحديبية.

وفي هذه الآية من سورة المائدة، لم يضف: ﴿لَكُم﴾؛ لأن الخطاب عام لكل الناس، وليس إلىٰ فئة خاصَّة معينة.

❖ ❖ ❖

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

سورة المائدة [الآيات ١٨ - ٢٣]

[١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾:

قالوا ذلك افتراءً، أو ظناً أنهم أبناء ذرية إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام؛ أيْ: أنهم أبناء الرسل، وقيل: إنهم وجدوا في التوراة آية يا أبناء أحباري، فظنوا أو ادعوا أنهم بذلك أصبحوا أبناء الله، وأحباؤه، أو حين ظنوا ظن الباطل: أن المسيح ابن الله، قالوا: معنا ابن الله، فنحن أبناء الله؛ أيْ: هو كالأب لنا في الحنو والعطف، أو نحن أشياع وأتباع ابني الله، المسيح وعزير، فردَّ الله عليهم عن طريق نبيِّه، وليس مباشرة.

قل لهم يا محمد: إذا كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناء الله وأعزته، فلم يعذبكم الله بذنوبكم؟! لأن الأب لا يعذّب ابنه، والحبيب لا يعذّب حبيبه، فلستم أبناءَ الله، ولا أحباءَه.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: من جملة ما خلق، أو من عامة خلقه.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي، ﴿أَنتُم﴾: للتوكيد.

﴿أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: فلو صحَّ أنكم أبناء الله؛ لما عصيتموه، ولما عاقبكم، بل أنتم بشر: أي: خلقاً ممن خلق، وبشر قد تأتي للمفرد أو الجمع كقوله تعالىٰ في سورة القمر آية (٢٤): ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: لمن يستحق المغفرة، وهم أهل الطاعة.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: من يستحق العذاب، وهم العصاة، ومن يفترون على الله الكذب، أو يكفرون بالله تعالى.

وقدَّم المغفرة على العذاب في هذه الآية، وكما هو الحال في جميع القرآن، إلا في آيتين اثنتين فقط، قدَّم العذاب على المغفرة، وهما الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ من سورة المائدة، الآية (٣٨)، وجاءت في سياق التحذير من السرقة، والآية (٢١) من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾؛ التي جاءت في سياق الإنذار، إنذار إبراهيم لأبيه وقومه على عبادة الأصنام، والشرك بالله، وهي أمور توجب العذاب؛ فقدَّم العذاب أولاً، وأخَّر المغفرة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليه المنتهى والعودة، وحصراً وقصراً، لا إلى أحد غيره للمحاسبة والجزاء، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

[١٩] ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: نداء مباشر إلى أهل الكتاب (أهل التوراة، والإنجيل، و(يا): للبعد. ارجع إلى الآية (١٥) في نفس السورة للبيان، وهذه الآية ليست تكرار للآية (١٥) لكل منهما سياق مختلف عن الأخرى انظر في الشرح.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: أيْ: محمد ﷺ، وقوله: رسولنا: للتشريف، والتعظيم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: يُبيِّن: يُظهر لكم على حين فترة من إرسال الرسل.

الفترة: هي من فتر الشيء: سكنت حدته؛ أي: السكون والفتور؛ يعني: الضعف؛ أي: انقطاع من الوحي، وهي الفترة ما بين عيسىٰ ، ومجيء الرسول محمد ﷺ حوالي (٥٦٩ عام).

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: كثيراً من الشرائع التي أنزلت إليكم، ويُظهر لكم ما أنزل إليكم من ربكم، وما تحتاجون إليه من أمور العقيدة والتوحيد.

وقيل: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مئة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسىٰ عشرة قرون، وبين موسىٰ وعيسىٰ (١٧٠٠ سنة)، وبين عيسىٰ ومحمد ﷺ حوالي (٥٦٩ سنة) خمسة إلىٰ ستة قرون.

﴿أَن تَقُولُواْ﴾: أن: مصدرية للتعليل؛ تعني: لكيلا تقولوا.

﴿مَا جَآءَنَا﴾: ما: النافية. جاءنا: أتانا من بشير.

﴿مِنۢ﴾: الاستغراقية.

﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾: أيْ: ما جاءنا أحد من جنس الرسل.

﴿بَشِيرٍ﴾: الذي يجيء بأخبار سارة، أو بما يسرُّ، ولأول مرة.

﴿نَذِيرٍ﴾: من الإنذار، وهو الإعلام مع التخويف والتحذير. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَآءَكُم﴾: المجيء عادةً يكون بمشقَّة، وتعب، والمجيء؛ يعني: وصل إليكم رسولنا محمد ﷺ.

﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: البشير والنذير معاً؛ فقد أرسل إلىٰ الثقلين بشيراً ونذيراً.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء في السموات، ولا في الأرض. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠)؛ للبيان.

[٢٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾:

﴿ وَإِذْ ﴾: أيْ: (واذكر إذ قال موسىٰ لقومه)، أو (اذكر حين قال موسىٰ لقومه).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾: هم بنو إسرائيل، بعد نجاتهم من فرعون، وجنوده، وفلق البحر.

﴿يَٰقَوْمِ ﴾: يا: النداء، فيه نوع من التحبُّب واللين، وأبلغ وأفضل من القول لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدون يا قوم.

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ عَلَيْكُمْ ﴾: اسم جنس، وتعني: النِّعم الكثيرة؛ اذكروا النِّعم الكثيرة، التي أنعمها الله عليكم.

﴿إِذْ ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿جَعَلَ فِيكُمْ ﴾: أيْ: بعث فيكم.

﴿أَنۢبِيَآءَ ﴾: فيكم: ظرفية زمانية؛ أي: الماضي، والحاضر.

﴿فِيكُمْ ﴾: أنبياء من لدن إبراهيم إلىٰ زمن موسىٰ وهارون؛ أيْ: أصبح من ذرية إبراهيم وإسرائيل أنبياء.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾: أحراراً بعد أن كنتم عبيداً، مملوكين، مستعبدين من فرعون وملئه؛ أيْ: كالملوك في التمكين، ورغد العيش، والحرية، والأمان، أو ملوكاً في حرية التصرف بأنفسكم كما تشاؤون.

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أيْ: عالمي زمانهم؛ من النِّعم مثل المن، والسلوىٰ، وفلق البحر، وغيرها.

[٢١] ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾:

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: جاء هذا الأمر الإلهي بدخول الأرض المقدسة، بعد نزول التوراة على موسى، وعبادتهم العجل، ورفع الطور.

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: الأرض المباركة المطهرة، قيل: هي بيت المقدس، أرض الشام، وفلسطين، والأردن.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أيْ: فرض الله عليكم دخولها.

﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: فسّرت هذه الكتابة:

كتابة مؤقتة، كتابة موقوتة بزمان محدد، حينما كانوا مؤمنين؛ فإن الله قد كتب لهم الأرض المقدسة؛ لكنها ليست كتابة دائمة حتى قيام الساعة، وإنما كتابة موقوتة، كتبها لهم عندما كانوا مؤمنين موحِّدين، وكان غيرهم في ذلك الزمن كافرين ووثنيين، ولكنهم حينما ارتكبوا المعاصي، وغضب الله عليهم، ولعنهم؛ فقد فقدوا حقَّ تملُّك تلك الأرض المقدسة.

أو كتبها كتابة تشريعية؛ أيْ: أن يكون للمريد أو المدعو اختيار في أن يفعل أو لا يفعل؛ أيْ: يدخلها فينال الثواب والأجر، أو لا يدخلها؛ فيعاقب على ذلك.

أو كتابة كونية؛ أيْ: إن الدخول لا اختيار فيه، أو إرادة، يجب أن يحدث رغم أنف الإنسان.

ويُرجَّح أنها كتابة تشريعية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾؛ أيْ: لهم الخيار بالدخول، أو الارتداد، وعدم الدخول.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ﴾: تتراجعون، أو تنهزمون، ولا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: في دنياكم وآخرتكم.

[٢٢] ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾: الكنعانيون: (جبارين): جمع جبار، والجبار: الرجل القوي، عظيم الجسم، الذي يُجبر ويكره الناس؛ لقوته، وقهره لهم (رجل عملاق).

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، نفوا دخولها نفياً مؤقتاً؛ حتىٰ يخرج منها القوم الجبارون.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والندرة.

﴿فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، والتعقيب مباشرة.

داخلون: جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت، وعلىٰ شرط أن يخرج منها القوم الجبارين.

[٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾:

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾: أغلب الروايات ترجح أنهما: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف ، وكالب بن يوقنه، وهو من سبط يهوذا، وقيل: كانا ابني يوسف ، وقيل: هما من القوم الجبارين، أسلما مع بني إسرائيل.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: يخافون الله وحده، يخافون معصية الله، ومخالفة أمره تعالىٰ، قيل: يخافون الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق.

﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾: وقيل: بالإسلام، أو الصلاح، والفضل، واليقين؛ بالخوف من الله، وبنعمة الإيمان، والصدق.

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾: لاحظ تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيۡهِمُ﴾، بدلاً من قولهم: ادخلوا الباب عليهم؛ لأن الدخول على القوم الجبارين أهم من دخول الباب؛ فالباب ليس له أهمية، بينما المهم هو ملاقاة القوم الجبارين.

﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾: الفاء: للترتيب المباشر، إذا: ظرفية، ظرف زماني، متضمنة معنى الشرط؛ تفيد الحتمية.

﴿فَإِنَّكُمۡ﴾: الفاء: للتوكيد، والتعقيب؛ أيْ: ما دام الله قد كتب عليكم الدخول؛ فهو سوف يكون عوناً لكم؛ إذ لا يطلب منكم إلَّا الجهاد، وبالرعب قد ينصركم؛ لأن الله منجز وعده.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾: تقدَّم الجار والمجرور، ولفظ الجلالة: يدل على الحصر؛ أيْ: على الله وحده، ولا غيره.

﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾: الفاء: عاطفة؛ تفيد التوكيد.

بعد تقديم الأسباب المطلوبة منكم؛ لأن الله سبحانه قد جعل لكل شيء سبباً.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن: شرطية.

أين جواب الشرط؟ جواب الشرط: محذوف؛ دلَّ عليه ما قبله، وهو قوله: فتوكلوا على الله.

فيصبح تقديرها: أيْ: إن كنتم مؤمنين؛ فتوكلوا على الله. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان في التوكل.

❖ ❖ ❖

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ
يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ۘ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ١٢

سورة المائدة [الآيات ٢٤ - ٣١]

[٢٤] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أيْ: بنو إسرائيل.

﴿لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾: لن: حرف نفي للاستقبال القريب والبعيد.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان للتوكيد، وللنفي بعدم دخولها، ما داموا فيها.

﴿مَّا﴾: حرف مصدري.

﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾: مقيمين؛ أي: القوم الجبارين.

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾: الواو: عاطفة، تدل على التعقيب والمباشرة.

﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل للتوكيد.

﴿وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾: لم يقولوا: (ربنا)، بل قالوا: ﴿وَرَبُّكَ﴾: وهذا يدل على مدى استهانتهم بالله تعالى ورسوله، وجهلهم، وقلة احترامهم، وعدم المبالاة، بل الاستهزاء، وليس هذا بغريب أن يصدر مثل هذا عن أفواههم؛ فقد قالوا من قبل: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وعبدوا العجل، وسألوا رؤية الله سبحانه جهرة.

﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾: قاعدون: جمع قاعد، وقاعد تجمع على قعود، والفرق بينهما؛ قاعدون: تدل على الحدث، وقعود: تدل على الاسم مثل كافرون،

وكفار، وقولهم قاعدون يدلُّ على مدى جبنهم، وخورهم، وحبهم للدنيا، ويدلُّ على تمرُّدهم، وعصيانهم لأوامر الله ورسوله.

﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾: ننتظركم، ولن نبرح هذا المكان بانتظار النتيجة.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

قال موسى : ﴿إِنِّي﴾: إني: أكثر تأكيداً من (أنا) بالنون المشددة.

﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: لا: النافية للحال، ﴿أَمْلِكُ إِلَّا﴾: إلّا: أداة حصر، ﴿نَفْسِي وَأَخِي﴾: أيْ: هارون، وقد تعني: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلَّا نفسه؛ أيْ: ليسا بقادرين على سؤال أحد آخر لنصرتنا.

في هذه الآية معنى الأسى، والحزن؛ لعدم استجابة قومه له بالدخول.

وفيها معنى الاعتذار.

﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أيْ: احكم، أو افصل، أو اقض بيننا وبين هؤلاء الفاسقين؛ أي: الخارجين عن الطاعة، والإيمان، وكأنه يقول: إني بريءٌ من هؤلاء القوم الفاسقين الذين عصوا أمرك.

[٢٦] ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: الأرض المقدسة.

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: لا يدخلونها، هذا هو الحكم الأول.

والحكم الثاني هو: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فلان تاه؛ أيْ: سار على غير هدىً، لا يعرف لنفسه مدخلاً ولا مخرجاً.

أيْ: محرمة عليهم (٤٠ سنة) لا يدخلونها، وخلال ذلك الزمن (٤٠ سنة يتيهون في الأرض)، وقيل: تاهوا (٤٠ سنة)، يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا، وبعد (٤٠ سنة) دخلوها على يد يوشع بن نون، وإذا وقف القارئ عند كلمة: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وبدأ بـ:﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: عندها تعني: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: إلى الأبد، والتيه يكون أربعين سنة.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا: الناهية. ﴿تَأْسَ﴾: من الأسى: هو أشد ألماً من الحزن؛ أي: حزن شديد، يخالطه جزع، وأطول فترة من الحزن، بينما الحزن أقل ألماً من الأسى، ومؤقت.

لماذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

يبدوا أن موسى شعر بالأسى والحزن، فدعا على بني إسرائيل، بعد أن أعلنوا عصيانهم وتمردهم على الدخول، ولم يدعُ لهم بالهداية، أو لم يمهلهم ربُّهم زمناً أطول للدخول؛ فجاءت الاستجابة مباشرةً بقوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾: الفاء: للتعقيب والسرعة، وتشبه حالتهم في التيه؛ كحالة السجين، وكما لا بُدَّ للسجين من أن يُطعم ويُسقى؛ فقد أمدهم الله بالطعام بالمن والسلوى، وفجَّر لهم الحجر اثنتي عشرة عيناً: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠].

[٢٧] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر عصيان بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المقدسة، على لسان موسى، ونقضهم المواثيق يأتي مثل آخر؛ عصيان ابن آدم لأمر الله بالزواج من أخته من الحمل الآخر، على لسان آدم، وقتله لأخيه، فيقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾، واتل؛ أي: اقرأ، كلمة بعد كلمة، بالترتيب والتتابع، والتلاوة لا تكون إلا من كتاب الله، ولها أجر الحرف بعشر حسنات.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: يا محمد، على قومك.

﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾: النبأ: هو الخبر العظيم، أو الخبر المهم، وهو أخص من الخبر؛ أي: الخبر أعم من النبأ، والنبأ فيه فائدة للمستمع.

﴿ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾: قابيل وهابيل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: باء الإلصاق، بالحق: والحق: هو الشيء الثابت، الذي لا يتغير، فكل شيء منزل من عند الله تبارك وتعالى هو الحق ، والله هو الحق ؛ أيْ: منزل من الحق؛ أيْ: بالصدق، لا تغيير فيه، ولا تبديل؛ لأن هناك أنباء غير صادقة تصدر من البشر فيها شك، وليست حقاً، وطالما هناك حق، هناك غير حق؛ أيْ: باطل.

ما هو النبأ؟ أوحى الله إلى آدم أن يزوِّج كلَّ واحد من أولاده توءَمة الآخر؛ فرفض قابيل الزواج من الأنثى من البطن الثاني؛ حيث كانت حواء تلد ذكراً وأنثى في كل حمل، فقال لهما آدم: قرِّبا قرباناً، فمن أيكما تُقبل؛ تزوجها، ففعلا ذلك،

فتُقبل قربان هابيل؛ فازداد قابيل حسداً وسخطاً، فانتهىٰ الأمر بأن قتل أخاه هابيل.

ارجع إلىٰ الآية (١٨٣) من سورة آل عمران؛ لبيان معنىٰ القربان.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: بمعنىٰ حينما قرَّبا قرباناً، أو اذكر إذ قرَّبا قرباناً.

والقربان: هو ما يتقرَّب به العبد إلىٰ الله تعالىٰ، علىٰ وزن فعلان.

قيل: إن قربان هابيل كان من أجود غنمه (إذ كان صاحب غنم).

وقربان قابيل حزمة من سنبل، ومن أردأ زرعه (إذ كان صاحب زرع).

فتُقبِّل قربان هابيل، قيل: نزلت ناراً فأكلته، أو رفع إلىٰ السماء، وأمّا قربان قابيل؛ فبقي مكانه، ولم يُتقبل. فقال: قابيل لهابيل؛ لأقتلنك.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: تهديد من قابيل لأخيه بالقتل، والتأكيد جاء في اللام، وكذلك بزيادة النون، النون الثقيلة في كلمة: أقتلنَّك، بدلاً من قتلك.

قال هابيل: إنما: كافة ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: جواباً علىٰ قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

عزا تقوىٰ الله سبحانه كونها هي السبب في تقبُّل القربان، فأيُّهما أتقىٰ؛ يُتقبل منه.

[٢٨] ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿لَئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية؛ تفيد معنىٰ الاحتمال، أو الندرة.

﴿بَسَطتَ﴾: أيْ: مددت إليَّ يدك لتقتلني، بسط اليد بالسوء، وبسطت: جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار.

﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾: ما: النافية. بباسط: الباء: للإلصاق، والتوكيد، وما أنا بباسط: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: لن أحاول قتلك مهما فعلت بي؛ لأني أخاف الله رب العالمين.

﴿يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾: يد واحدة.

انتبه إلى بسط إليَّ؛ تعني: بالشر، أما بسط له؛ فتعني: الخير، أو النفع، وعلل عدم الرد على أخيه بالسوء: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنِّيٓ﴾: إن: للتوكيد.

﴿أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أضاف كلمة الله إلى الرب؛ للترهيب، وعدم ارتكاب جريمة القتل، أو تدل عظمة الخوف، والرهبة المستقرة في قلبه، وكأن بإمكانه الرد عليه قوة بقوة، فيقول: لا أريد أن أقتلك.

[٢٩] ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿إِنِّيٓ﴾: النون: للتوكيد.

﴿تَبُوٓأَ﴾: ترجع يوم القيامة حاملاً إثمين: إثمي، وإثمك. ارجع إلى سورة يونس، آية (٨٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿بِإِثْمِى﴾: أيْ: إثم قتلك إياي، أو (إثم قتلي).

﴿وَإِثْمَكَ﴾: إثم معاصيك في الدنيا غير القتل، والإثم: هو فعل الحرام؛ أي: القتل، وحدّه القصاص. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (٩٢-٩٣)؛ لمزيد من البيان.

أو الإثم الأول: رفضك قبول الحكم، بما أمر الله سبحانه.

والإثم الثاني: هو قتلك إياي؛ أيْ: جريمة القتل.

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أصحاب: الملازمون للنار، لا يفارقونها، وهي لا تفارقهم.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الـواو: للتأكيد، وذلك: اسـم إشـارة، واللام: للبعد، وتشير إلىٰ كونهم من أصحاب النار.

﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: دخول النار: هو جزاء الظالمين.

ويتبيَّن من هذه الآيات: أن هابيل حذر قابيل بثلاث مواعظ:

الخوف من الله، وبأنه سـيحمل إثمين: إثم قتله، وإثم نفسه، وأنه سيكون من أصحاب النار، ومن الظالمين.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿فَطَوَّعَتْ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشـرة. فطوعت: تشـجعت نفسه، أو زيَّنت له نفسـه أخيراً علىٰ قتل أخيه، فكل نفس لها ملكتان: ملكة الخير، وملكة الشر، وملكة الشر: خاضعة لوسوسة الشيطان والهوىٰ؛ فطوعت: يدل علىٰ تردد طويل واستعداد نفسي، ثم الإقدام علىٰ القتل؛ تردد في نفس قابيل علىٰ قتل هابيل بين دافع الحسد من أخيه ودافع الخوف.

فحينما تتغلب ملكة الشر على ملكة الخير يحدث الإثم.

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، وعدم التردُّد. وقيل: كانت هذه أول جريمة قتل تحدث على الأرض.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الفاء: للتوكيد أصبح قابيل من الخاسرين في الدنيا والآخرة؛ أي: الخاسرين لأنفسهم؛ بإدخالها النار وإهلاكها.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾:

بعد أن قتل أخاه، لم يدرِ ما يصنع به، فحمله على ظهره؛ كما قيل زمناً.

﴿فَبَعَثَ﴾: أيْ: أرسل غراباً، وهناك فرق بين بعث وأرسل؛ البعث: فيه تنبيه وإثارة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ينبش الأرض، ويحفرها بمنقاره ورجليه؛ ليدفن؛ أيْ: ليواري غراباً آخر كان قد قتله.

﴿لِيُرِيَهُۥ﴾: ليعلمه كيف يواري: يستر ويخفي.

﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾: جثة أخيه، والسوءة: ما يسوء ظهوره؛ أيْ: جثة أخيه، والسوءة عادة هي القبل والدبر، أمّا العورة: فهي ما بين السرّة والركبة.

﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾:

﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: من الويل: وهو الهلاك، والفناء، والياء: ياء النداء؛ أيْ: كأنك تنادي: يا هلاكي، احضر وخلصني ممّا أنا فيه من الغمّ والهمّ، والويلة:

الفضيحـــة، والعار، والبليـــة؛ أيْ: وافضيحتاه! وكأنه يطلـــب حضورها، وأمّا يا ويلتي، فيا عذابي.

﴿أَعَجَزْتُ﴾: الهمزة: استفهام تعجُّبي.

﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل.

﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾: أيْ: كيـــف فاتني؟!، ولم أعرف أن أدفن جثة أخي، وأواريها في التـــراب، كما فعل هذا الغراب، والغراب: مـــن أذكىٰ الطيور، حاد الذاكرة، شديد الحذر، والغراب يدفن موتاه، وهذا هو السر من ذكر الغراب هنا، وللغربـــان نظم اجتماعية، ومحاكم، وأحكام تنظم حياتهـــا، كما أن للناس نظماً اجتماعية، وأحكاماً تنظِّم حياتهم.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾: الفاء: تدل علىٰ التعقيب، سرعة ندمه.

الندم: هو الأسف وهو من أفعال القلوب، وله درجات وعندما يشتد يتحول إلىٰ حسرة؛ فالحسرة هي أشد الندم، والندم ناتج فقط عن فعل العبد، والأسف قد يكون ناتجاً عن فعل العبد، أو فعل غيره.

﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾: علىٰ قتله أخيه، أو علىٰ خيبته؛ لأنه لم يعرف ما عرفه الغراب، ومجرد الندم لا يُعد توبة للقاتل العمد.

❖ ❖ ❖

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

سورة المائدة [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: من لابتداء الغاية.

﴿مِنْ أَجْلِ﴾: أيْ: بسبب ذلك.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ قتل قابيل لأخيه هابيل ظلماً، وما حصل من فساد.

﴿كَتَبْنَا﴾: حكمنا، أو شرعنا.

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: في التوراة، والكتابة جاءت في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ [المائدة:٤٥]، والسؤال هنا نربط بين قتل قابيل لهابيل، وتحذير بني إسرائيل من قتل أي نفس مع أن هناك أقواماً جاءوا قبل بني إسرائيل قد يكون السبب لكونهم ممن فضلهم الله علىٰ العالمين في ذلك الزمان وأنزلت علىٰ موسىٰ التوراة وكانوا يقتلون أنبيائهم بغير حق ويُعد ذلك من أبشع القتل فجاء يحذرهم في هذه الآيات ويذكرهم بما حصل لابني آدم، ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أن: للتوكيد، من: شرطية.

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أيْ: قتل نفساً ظلماً، وعدواناً، أو بغير سبب موجب للقصاص، الذي شرَّعه الله تعالىٰ.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: والفساد: هو إهلاك الحرث، والنسل، والكفر،

والشـــرك، وقتل الأبرياء، وتشـــريدهم، وإثارة الفتن. ارجع إلى الآية (٢٠٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الفاء: جواب الشرط.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الكاف: للتشـــبيه، ولم يقل: كأنه، وإنما قال: كأنما بزيادة ما؛ لتوسع دائرة التشبيه، وبيان شناعة فعل القتل.

﴿قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: جميعاً: توكيد.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: ومن: الواو: اســـتئنافية، من: شرطية ابتدائية.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: تعود على النفس. أحياها: أنقذها من أســـباب الهلكة؛ أيْ: أبقاها حية، أنقذها من الموت؛ كالغرق، والحريق، والقتل.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: كالسابقة.

إذن لا فرق بين قتـــل الواحد، وقتل الجميع، ولماذا ذلك؟ لتعظيم أمر قتل النفس البشرية، ولا فرق بين إحياء الواحد، وإحياء الجميع .

ولو عقلَ كل قادم على قتل نفس بريئة معنى هذه الآية؛ لربما كفَّ عن قتله وفساده، تجنباً ودرءاً لغضب الله عليه، ولعنة الله، والعذاب العظيم في جهنم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: اســـتئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قـــد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: ولم يقل: رسلهم، وذلك لأهمية الأحكام التي جاءت بها الرسل، نسب الرسل إليه تعالى، وشرفها بنون العظمة، ولكون الآيات لم تأتي في سياق الأقوام وتكذيبهم وجدالهم مع رسلهم.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: كثيراً من الناس، أو تعود على بني إسرائيل، بعد مجيء الرسل إليهم، وبعدما كتبنا لهم وبيَّنا لهم الآيات.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: اللام: لام التوكيد، مسرفون: جمع مسرف، مسرفون في القتل، أو مسرفون في ظلمهم وطغيانهم، وارتكاب المعاصي.

ومسرفون: جملة اسمية تدل على الثبوت على الإسراف في القتل والظلم. وقدم في الأرض بدلاً من القول لمسرفون في الأرض للفت الأنظار إلى عظم فسادهم في الأرض التي يعيشوا عليها.

[٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أيْ: يحاربون دِينه ورسله، ويحاربون المؤمنين؛ كأنهم يحاربون الله ورسوله.

﴿يُحَارِبُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدلّ على التكرار، والتجدد، والاستمرار، يحاربون الله ورسوله؛ أي: يحاربون شرعه ويعتدون على أحكامه ويحاربون بالقول، أو الاعتداء على المؤمنين.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: بالقتل، وإهلاك الحرث، والنسل، ونشر الكفر، والشرك، وإرهاب الناس، والاعتداء على حرماتهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتهديم بيوتهم، وتشريدهم.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد والتعليل.

﴿يُقَتَّلُوٓاْ﴾: ولم يقل: يقتلوا . يقتَّلوا: فيها مبالغة في القتل؛ أيْ: من دون أن تأخذكم بهم رأفة، أو رحمة، ومهما كان عددهم، أن يقتلوا علىٰ مرأىٰ من الناس واحداً تلو الآخر.

﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾: أو: تعني: إما البيان، أو التخيير في الحكم.

﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: اليد اليمنىٰ، والرجل اليسرىٰ مثلاً، أو بالعكس.

﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: وينوب عن ذلك الحبس؛ أي: السجن؛ حتىٰ ينجو الناس من شرِّهم وأذاهم.

﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يعني: ذلك الجزاء المذكور من القتل، والصلب، والنفي.

﴿لَهُمۡ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: الخزي: الذل، أو الفضيحة، وهو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل، والصلب، والنفي، هو خزي لهم في الدنيا.

و﴿وَلَهُمۡ﴾: اللام: لام الاستحقاق ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وهو عذاب النار، المؤلم، الدائم، المهين، المقيم، والعذاب العظيم: هو أشد أنواع العذاب في الآخرة.

[٣٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، يستثنىٰ من هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً.

﴿ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: جاؤوا تائبين، قبل أن تلقوا القبض عليهم، وتنفذوا حكم الله فيهم، كانوا خلال تلك الفترة في منعة، ولم تتمكنوا من القبض عليهم.

﴿تَابُواْ﴾: أيْ: تابـوا توبة، صادقة، خالصة لوجه الله، لا تحايلاً، وهرباً من العقوبة، وكفوا عن المحاربة، والإفسـاد، وندموا على مـا فعلوه، وأصلحوا ما أفسدوه، وأكثروا من الأعمال الصالحة، والنوافل، والتوبة تسقط حقَّ الله تعالى، وأمـا حقوق العباد فلا بُـدَّ من إرجاعها إلى أصحابها، وردّ الأموال المسـلوبة، ومعاقبتهم على أعمالهم.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: غفور لذنوبهم، صيغة مبالغة من غفر يغفر الذنوب مهما كانت، أو عظمت وتعددت؛ إلا الكفر والشـرك، ولا يعاقب على الذنب مهما عظم، أو كثر.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بإسـقاط العقوبة عنهم، وقبول التوبة، وصفـة الرحمة ثابتة لذاتـه، ومن تاب بعد القدرة عليه إلقاء القبض عليه والسـجن، فالتوبة عندها لا تنفع، ويقام عليه الحد. ارجع إلى كتب الأحكام؛ لمزيد من البيان.

[٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نـداء جديـد للذين هم علـى درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: اتقـوا عذاب اللـه تعالى، وغضبـه، وجبروته، باتباع أوامره، وتجنب نواهيه بالكف عن المحارم، وترك المنهيات.

﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: اطلبوا أو التمسوا إليه الوسيلة.

﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القرب أو الشيء الذي يتقرب به إلى الله تعالى؛ للحصول على مرضاته ونيـل جنته، وقيل: الوسـيلة أعلى درجة في الجنـة، وهي منزلة رسول الله ﷺ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، والله أعلم.

كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه أحمد، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليَّ؛ فإنه من صلّى عليَّ صلاة؛ صلّى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾: جاهدوا في سبيل إعلاء دِينه.

ويشمل جهاد النفس عن شهواتها، وأهوائها، وجهاد الشيطان، بفعل الحسنات، وترك السيئات.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: لعل: أداة رجاء؛ تستعمل في الأمور المرجو تحققها. لعلكم تفلحون: بتقديم الأسباب الأخرىٰ كذلك المؤدِّية إلىٰ الفلاح إضافة إلىٰ الجهاد في سبيله؛ أيْ: لتفلحوا، والفلاح: هو الفوز بسعادة الدارين. ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

وبعد أن أمر الله المؤمنين بالتقوىٰ، والجهاد في سبيله، أخبر بما أعده لأعدائه.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: جحدوا بالله، وآياته، ورسله، ووحدانيته، وماتوا وهم كفار، ولم يتوبوا.

﴿لَوۡ أَنَّ﴾: لو: شرطية. أن: للتوكيد.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾: لهم يوم القيامة علىٰ سبيل الفرض، ما في الأرض:

من مال، وذهب، وفضة، ومتاع، وحرث، وأنعام، وغيرها من وسائل رغد العيش والملك.

﴿جَمِيعًا﴾: توكيد.

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾: أيْ: مثله، أو ضعفه معه.

ولو جاء أحدهم؛ أي: الكفار به يوم القيامة؛ ليفتدي به من عذاب الله، أو من كفره ما تُقبِّل منه.

﴿لِيَفْتَدُوا۟﴾: اللام: لام التعليل، والفداء: هو ما يُعطى، أو يجعل بدل الشيء؛ ليعود إلى حاله التي كان عليها بالمثل، أو أقل.

ولم يقل: لافتدوا به: ليفتدوا به؛ لأنهم ما زالوا على قيد الحياة الآن، ليفتدوا به في المستقبل؛ أيْ: يوم القيامة، بينما (لافتقدوا به): تشير إلى أنهم في الآخرة؛ أي: تأتي في سياق الآخرة، كما ورد في سورة الرعد الآية (١٨)، وسورة الزمر الآية (٤٧)، وسورة يونس الآية (٥٤). وانظر إلى قوله تعالى: (ليفتدوا به) ولم يقل: بهما، مع أن الهاء في (به) تعود على أمرين ما في الأرض ومثله معه، والسبب في ذلك إذا لم يجدي الافتداء بما في الأرض فلم يبقى جدوى للافتداء بمثله معه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، بالكيفية، والمقدار، والديمومة.

❖ ❖ ❖

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ربع الحزب ١٢

سورة المائدة [الآيات ٣٧ - ٤١]

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿يُرِيدُونَ﴾: أي: الذين كفروا، والنون: للتوكيد.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد، يخرجوا من النار.

﴿وَمَا﴾: ما: النافية؛ تنفي الحال، والمستقبل.

﴿هُم﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد والحصر.

﴿بِخَارِجِينَ﴾: الباء: للتوكيد.

فقد استعمل ثلاثة توكيدات لعدم خروجهم من النار: النون، وهم، والباء.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام: للاستحقاق، هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: عذاب دائم، لا يتغير، ولا يزول، ولا يحول، ولا يبدل.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾: قدَّم السارق على السارقة؛ لأن الرجل أجرأ على السرقة غالباً من المرأة.

بعكس الزِّنى؛ فقد قدَّم المرأة على الرجل؛ لأن المرأة أجرأ على الزِّنى من الرجل.

وتعريف السرقة في الشرع: أخذ العاقل البالغ مقداراً مخصوصاً من المال

خفيةً، من حرز (دار أو خيمة)، دون حق، واختلف في المقدار بين الفقهاء، وفي الشروط التي تتوافر في السارق والمال المسروق. ارجع إلى كتب الفقه؛ لمزيد من البيان.

﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾: القطع يكون من الرسغ، كما قال الجمهور، واليد اليمنى. انظر كيف جمع اليد فقال أيدي، ثم ثنى الجمع فصارت أيديهما لتشمل الذكر والأنثى.

وقد رُوي عن النبي ﷺ قوله: «ادرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم» رواه الترمذي.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾: مجازاة على ظلمهما؛ أي: السرقة.

﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: عقوبة من الله للسارق، والسارقة، قد تجعل غيرهما لا يُقدِم على السرقة؛ أيْ: عبرة؛ فالنكال تعني: العقوبة والعبرة التي تصد المعاقب عن العودة إلى ما ارتكبه من الإثم أو الجرم.

وسُمِّيت العقوبة: نكالاً، والنكل: هو القيد الشديد، أو حديدة اللجام، التي تمنع الفرس من القيام بعمل غير مستحب.

فاقطعوا أيديهما: فهو عبرة مانعة من وقوع الجرم (السرقة)، سواء لمن ارتكب السرقة، أو لمن يشاهد كيف يقام الحدُّ على السارق.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: القوي؛ الذي لا يُقهر، ولا يُغلب، المنيع لا يضره شيء.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبر شؤون خلقه، وكونه، وفي تشريعه، وأحكامه، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[٣٩] ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾:

﴿ فَمَن تَابَ ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿تَابَ ﴾: استوفى أركان التوبة: الندم، وعدم العودة إلى السرقة، والإصلاح، والإكثار من العمل الصالح، وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ ﴾: سمِّي السارق ظالماً؛ لأنه أخذ حقّ غيره. من: تفيد القرب في الزمن.

﴿وَأَصۡلَحَ ﴾: أيْ: أصلح ما أفسد.

يُعيد الشيء المسروق إلى صاحبه، ويطلب العفو من صاحب الشيء المسروق، إن كان يعرفه، أو يعرف عنوانه، وإن لم يعرفه، ويعرف عنوانه، ثم تاب، عندها يتصدّق بما سرق، ولا يعتبر صدقة له، بل لصاحب المال المسروق، ويقول: يا رب! ثواب ذلك لصاحب الشيء المسروق، وليعلم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، وليس من الضروري أن يذكر عنوان السارق، بل يقول: هو من مجهول إذا أرجع الشيء المسروق إلى صاحبه.

﴿فَإِنَّ ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: لزيادة التوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾: أيْ: يتقبل توبته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾: إن: توكيد.

﴿غَفُورٞ﴾: غفور للسارق إذا تاب وأصلح، غفور: المغفرة تسبق الرحمة، غفور؛ كثير الغفر (صفة مبالغة)، مهما عظمت، وتعددت الذنوب والآثام.

﴿رَّحِيمٌ ﴾: صفة ثابتة في ذاته ، مشتقة من الرحمة، رحيم لمن تاب من بعد السرقة ﴿وَأَصۡلَحَ ﴾: وعاد إلى درب الإيمان، واستقام عليه.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

لم يقل: الله له ملك السموات، بل قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾؛ لأنه: يريد أن يكون الخبر قادماً من المخاطب، وليس منه، ويكون إقراراً من العبد، ولو قال الله: له ملك السموات والأرض؛ لكان الخبر منه سبحانه، وهذا يكفي، ولكن قوله ألم تعلم: بصيغة الاستفهام بدلاً من الإخبار؛ أشد، وأقوىٰ تأثيراً في نفس العبد، وتعني: ألم تعلم علماً يقينياً، أو أعلم علماً يقينياً ما أخبرك الله به هو الحق الثابت.

﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ﴾: أن: للتوكيد، له: اللام: لام الملكية والاستحقاق.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: الحكم، فهو الحاكم، والمالك.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: فهو الغالب علىٰ أمره، ويغفر لمن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: يعذب، أو يقطع، أو يغفر لمن تاب، وأصلح، كامل القدرة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقدَّم العذاب علىٰ المغفرة في هذه الآية: للتحذير، وعدم الطمع في رحمة الله عند السرقة أو ارتكاب الأعمال المحرمة. ارجع إلىٰ الآية (١٨) من سورة المائدة.

[٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ

ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾: الياء: ياء النداء، والهاء: للتنبيه.

وحينما ينادي أشرف أنبيائه ورسله؛ فهو تبارك وتعالىٰ يناديهم بأسمائهم.

فيقول: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾، ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾.

ولكن حين ينادي رسوله محمد ﷺ، لا يناديه باسمه أبداً، بل يناديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾: تعظيماً، وتكريماً له؛ إلا في حالات أربعة خاصَّة؛ فقد استعمل اسمه (محمد)؛ كقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد:٢]، وورد اسم أحمد مرةً واحدةً في القرآن ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

أمّا متىٰ يستعمل: يا أيها الرسول، أو يا أيها النبي؟

في سياق التبليغ والدعوة: يستعمل يا أيها الرسول، وفي سياق الأحكام، وافعل، ولا تفعل: يستعمل يا أيها النبي.

وقد وردت يا أيها النبي (١٣) مرَّة، وأمَّا يا أيها الرسول؛ فمرَّتين فقط، وكلاهما في سورة المائدة، الآية (٤١)، والآية (٦٧).

وكلمة النبي أعمُّ من كلمة الرسول.

﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: لا: الناهية.

﴿يَحْزُنكَ﴾: الحزن: هو غمّ، يصيب النفس لرؤية، أو سماع ما يسوء إليها،

وتكرهه، ولِمَ لا يحزن رسول الله ﷺ؛ فقد جاء مبلغاً للرسالة، حريصاً على إيمان كل فرد، فهذا الحرص كان يدفع قلبه للشعور بذلك، وخاصَّة لما بُعث رحمة للعالمين، وهناك فرق بين الحُزن، والحَزن. ارجع إلى الآية (١٣٩) من سورة آل عمران؛ للبيان.

انتبه إلى قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: الإسراع: هو الجري أو العدو في الكفر، ولم يقل: يسارعون إلى الكفر، بل قال تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ هم من المنافقين ومن الذين هادوا.

وقوله (في الكفر): تدل على أنّهم كانوا في الكفر، (كانوا منذ البداية، ويريدون أن ينتقلوا إلى كفر أعمق أو أشد)، أو في ازدياد. والمسارعة في الكفر تعني أيضاً: إظهار كفرهم عند أي أدنى مناسبة.

وأما (إلى)؛ فإنها تدل على أنهم كانوا خارج دائرة الكفر، والآن يريدون أن يكفروا، ويصبحوا كفاراً. ويسارعون فيها معنى شدة الحرص على المسارعة، وكثرتها، وتكرارها، وبذل قصارى جهدهم بدلاً من القول يسرعون.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾:

هذا التعريف ينطبق تماماً على المنافقين. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: أيْ: دخلوا في اليهودية، ولم يقل: من بني إسرائيل؛ لأن هؤلاء جاؤوا بعد بني إسرائيل، وهم طبقة أقل صلاحاً، وإيماناً من بني إسرائيل.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: أيْ: لما وقع في التوراة من تحريف وتبديل، أو الكذب الذي يقولونه بأفواههم بشأن الرسول والمؤمنين.

قال: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: وليس (سامعون)؛ لأن ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: فيها مبالغة، وتدل على احترافهم المهنة لمدة طويلة، فهم أهل خبرة، وحرفة في الاستماع إلى الكذب، وليسوا طلاباً (سامعين)، فآذانهم اعتادت السماع للكذب، وأصبح ذلك من صفاتهم الثابتة، سماعون للكذب من رؤسائهم، وكذلك سماعون لقوم آخرين.

﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾: لا يأتون إلى مجالسك؛ تكبراً، حتى لا يضعف مركزهم أمام أتباعهم، إذن هؤلاء هم المتكبرون من الرؤساء وغيرهم.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: الكلم: هو جمع كلمة؛ أيْ: كلام الله؛ أي: التوراة؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٤٦) لمزيد من البيان في معنى الكلم؛ أيْ: يحرفون التوراة مرة ثانية، أو أخرى في زمن الرسول،

وأما المرة الأولى: فقد كانت بعد موت موسى ، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣].

فهناك فرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

والتحريف: يعني: تغيير المعنى، وتحميل الألفاظ غيرَ ما وُضعت له، مثل قولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾، ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) من سورة المائدة، وسورة النساء، آية (٤٦)؛ لمعرفة الفرق بين الآيتين.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾: إن شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

يقولون: إن طابق ما حرَّفناه على ما جاء به محمد ﷺ؛ فخذوه؛ أي: اقبلوه،

وإن لم يطابق ما حرفناه على ما جاءكم به محمد؛ أيْ: جاءكم بغيره؛ أي: احذروا قبوله، والسماع إليه، وتطبيقه.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو: استئنافية، من: شرطية.

﴿يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: أيْ: إضلاله، أو اختباره، وابتلاءَه بالتعذيب بالنار، أو عدم هدايته؛ لأنه اقترف الذنوب، والآثام، والكبائر، والله سبحانه لا يُضل أحداً، وأما إذا أراد أحدٌ أن يضل بنفسه وغيره عن منهج الله سبحانه، ويبتعد كثيراً؛ فلن تستطيع مساعدته.

﴿فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لن تستطيع تغيير ذلك، ولا يحزنك مسارعته في الكفر، فمحاولة هدايته، أو منعه من العذاب مستحيلة، ولا تفيد أبداً.

﴿لَهُۥ﴾: تفيد الحصر، من: استغراقية، شيئاً: نكرة: هو أقل القليل؛ أيُّ شيء مهما كان من الهداية، أو النصح.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ غرضه التحقير.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد التوكيد على عدم طهارة قلوبهم من المنافقين واليهود.

﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ﴾: لم: حرف نفي وجزم، لم يشأ الله سبحانه، والإرادة تكون بعد المشيئة، ولا تتغير، وتعني: العزم على القيام بالفعل.

﴿يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾: من دنس الكفر، والشرك، والنفاق، والحسد، بطهارة الإيمان والإسلام.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاستحقاق والاختصاص.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: الخزي: هو الذل مع الافتضاح، وقيل: هو الشيء القبيح الذي تكره أن يراك الناس عليه، ويشمل الهزيمة، والخسارة، والقتل، والجلاء، والسبي.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يجمع كل أنواع العذاب (الألم، والمهين، والمقيم، والثابت)، وهو أشد أنواع العذاب على الإطلاق.

وتكرار ﴿وَلَهُمْ﴾: مرتين؛ يدلُّ على التوكيد، وفعل كل منهما على حدة، أو معاً.

❖ ❖ ❖

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٤٢ - ٤٥]

[٤٢] ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: سمّاعون: صفة مبالغة للسماع؛ أيْ: كثيرو السمع للكذب.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾: أكّالون: صيغة مبالغة للأكل، واللام في كلمة للسحت: للتوكيد، والسحت: هو أشد، أو أبلغ الحرام.

﴿أَكَّٰلُونَ﴾: أيْ: بشراهة، وبكثرة الأكل.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾: آخذون المال غير الحلال؛ مثل: الرشوة في الحكم، أو الدِّين، والرِّبا، والسرقة، والميسر، بكثرة. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة المائدة؛ لمزيد من البيان.

وأصل السحت: الهلاك، والزوال؛ كقوله سبحانه: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾؛ أيْ: يهلكهم بعذاب، والسحت يسحت البركة؛ أيْ: يزيلها إذا اختلط بأي مال يسحت؛ أيْ: يزيل بركته، ولا يدوم طويلاً.

﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، وقلَّة المجيء.

﴿جَآءُوكَ﴾: المجيء فيه نوع من المشقة والجهد، ولم يقل: فإن أتوك، الإيتاء فيه سهولة وراحة، جاؤوك لحاجة لهم، أو لتحكم بينهم، جاؤوك وهم مترددون.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، احكم بينهم: ﴿أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾، لك الخيار بأحد الأمرين؛ أيْ: إنك لست ملزماً بالحكم، أو أعرض عنهم لا تلقاهم، ولا تجتمع بهم.

﴿وَإِن تُعۡرِضۡ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية، تعرض عنهم: أيْ: لا تحكم بينهم، وتراهم.

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾: لن: النافية للمستقبل القريب والبعيد.

﴿يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾: شيئاً: نكرة، أيُّ شيء، والشيء: هو أقل القليل، صغيراً، أو كبيراً، ومهما كان نوع الضرر.

﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾: إن: شرطية تدل على الاحتمال والندرة.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، احكم: افصل بينهم بالقسط، الباء: للإلصاق والتوكيد، أو اقضِ بينهم، ولم يقل: فاحكم بينهم بالعدل، وإنما قال بالقسط؛ لأن القسط: هو الحكم بالعدل مع تنفيذ الحكم، وعدم الجور، فالقسط: أعم وأشمل من العدل، والعدل يكون في الأشياء المعنوية، والمادية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: جمع مقسط، من أقسط: أيْ: عدل، ولم يُجرْ، ويظلم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٣) لمزيد من البيان في القِسط.

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَكَيْفَ﴾: اسم استفهام، فيه معنىٰ التعجب من اليهود علىٰ تحكيم رسول الله ﷺ، وعندهم التوراة.

﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾: ولم يقل: يحكموك، بل يحكمونك؛ بزيادة النون: للتوكيد؛ لتوكيد التحكيم؛ أيْ: مصرّون علىٰ تحكيمك، وعندهم التوراة فيها حكم الله، فالسؤال هنا: لماذا يحكمونك، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون بصحتها؟!

أهم يبحثون عن حكم آخر؛ لأن حكم التوراة لا يوافق رغباتهم؟!

أم يريدون حكماً أيسر، أو أخف مثل الجلد بدلاً من رجم المحصن؟!

وأيضاً كيف يحكمونك، وهم لا يقرون أنك نبي، ويجحدون نبوتك، ولا يؤمنون بالقرآن؟!

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد تحكيمك، ويرفضون حكمك بالرجم الموافق لحكم التوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد تحكيمك.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: ولم يقل: تولوا: تدل على أنهم مستمرون في التولي والإعراض، ولن ينتهوا، ويكفوا عن ذلك.

﴿وَمَآ﴾: الواو: حالية؛ تفيد التوكيد.

﴿وَمَآ﴾: النافية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ ينفي عنهم الإيمان.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للإلصاق، وما أولئك بالمؤمنين؛ أي: المصدقين بك، ولا بحكمك، ولا بحكم التوراة، أو بالمؤمنين الإيمان الحقيقي.

[٤٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَنزَلْنَا﴾: جملة واحدة، دفعة واحدة، أنزلنا التوراة على موسى .

﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾: مصدر للهداية، أو هادياً للحق وللغاية.

﴿وَنُورٌ﴾: يُبيِّن الأحكام ليخرج به الذين هادوا من الظلمات.

١ - ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾: يحكم بها النبيون؛ من بني إسرائيل؛ الذين أسلموا لله تعالى؛ أي: انقادوا لأوامر الله، وأخلصوا لله تعالى، واستجابوا له.

والسؤال هنا: لم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾؟ أليس جميع الأنبياء من المسلمين؟

٢ - أو ﴿أَسْلَمُواْ﴾: معناه: أخلصوا إسلامهم (إسلام الوجه)، وهو أعلىٰ درجات الإسلام، والتوحيد، أو تعني ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾: أمثال الذين جاؤوا من بعد موسىٰ من أنبياء بني إسرائيل، وعيسىٰ .

يحكم بالرجم علىٰ المحصن، وغيرها من الأحكام.

﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾: اللام: لام الاختصاص، هادوا: دخلوا في اليهودية.

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: جمع ربّاني، والربّاني: منسوب إلىٰ الربّ؛ الذي يربي الناس؛ أي: المربي الذي يمتاز بالعلم بأمور الدِّين، والدنيا، والفقه، والحكيم، التقي، والتدبير بأمور الرعية، يعلم الناس ما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

والربانيون: هم فوق الأحبار، وقيل: هم العُبّاد من اليهود.

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: هم العلماء من أهل الكتاب؛ أيْ: علماء اليهود، واحدهم الحبر؛ الذي يتمثل فيه الجمال والبهاء.

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿ٱسْتُحْفِظُواْ﴾: تعود علىٰ الربانيين والأحبار.

﴿ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: الألف والسين والتاء: تعني: الطلب؛ أيْ: طُلب منهم أن يحفظوا التوراة من التحريف، والتغيير، والتبديل، أو طلب منهم أن يحفظوا التوراة في صدورهم، وأن لا يضيعوا أحكامها وينسوها.

٣ - ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: من حفظ الشيء؛ أيْ: داوم على حراسته، والمحافظة عليه والمراقبة.

أيْ: وكلهم الله على حفظه، وهذا أمر تكليفي، ولكن ما حدث هو أن بعضهم نسوا حظّاً مما ذكروا به، وكتموا شيئاً منه، وحرَّفوا قسماً منه، ولووا ألسنتهم به، وأضافوا كلمات، وبدَّلوا كلمات.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾:

ومقارنة بالقرآن الكريم: فقد تولى الله سبحانه حفظه بنفسه، ولم يترك لأحد أن يقوم بذلك، كما حصل للتوراة والإنجيل.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: كانوا على ما في التوراة من الرجم شهداء، كما قال ابن عباس ، أو كانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قاله من الحق، وفي الحكم؛ أيْ: أوصاهم الله بأن يكونوا على التوراة شهداء؛ لئلَّا يُبدل أو يُحرف بالزيادة والنقصان.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَخْشَوُا النَّاسَ﴾: الخشية: هي الخوف، المصحوب بتعظيم من تخافه، والعلم بالذي تخافه.

﴿تَخْشَوُا النَّاسَ﴾: يعني: الرؤساء، أو الحكام، أو أي أحد؛ أيْ: تخافون الناس من أي ضرر، أو أذية، قد تلحق بكم من جراء قول الحق، أو فيما

جاء في نعت الرسول ﷺ، مثلاً، أو تبيان حكم جاء في كتاب الله، مثل: الحكم بالرجم للمحصن.

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾: واخشوا الله تعالىٰ، إذا كتمتم ما جاء فيها، أو حرَّفتم آياتها، أو بدَّلتم أيَّ حكم، من أجل منفعة مادية، أو منصب، أو رشوة.

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾: ولم يقل واخشوني؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق التوراة والتي أنزلت فيها هدىٰ ونور يحكم بها النبيون والربانيون والأحبار ليس في ذلك إرجاف ولا فتنة أو إثارة، كما هو الحال في تغير القبلة التي أدت إلىٰ فتنة كبيرة وإرجاف وارتداد البعض. ارجع إلىٰ الآية (٣) في نفس السورة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أيْ: إياكم وتحريف ما أنزل الله؛ ابتغاء أي ثمن، فمهما كان الثمن كثيراً؛ فهو ثمن قليل وبخس، مقارنة بما عند الله من الثواب، والجزاء. ارجع إلىٰ الآية (٤١) من سورة البقرة.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾:

﴿وَمَن لَّمْ﴾: شرطية، لم للنفي.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: الباء للإلصاق، والتوكيد.

﴿بِمَآ﴾: اسم موصول، بمعنىٰ الذي؛ أي: الذي أنزل الله؛ وهو التوراة.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد، والمبالغة.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أيْ: إذا كان هنـاك كفـار، فهم في طليعة هـؤلاء الكفار، وأسوؤهم، وهم أولىٰ أن يسمّون بهذا الاسم، وصفة الكفر أصبحت ثابتة فيهم.

[٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿وَكَتَبْنَا﴾: فرضنا، أو حكمنا، وسمِّي ذلك كتابة؛ دلالة للضبط، والحفظ، والإلزام، وكتبنا فيها توكيد أشد من فرضنا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: الذين هادوا.

﴿فِيهَآ﴾: في التوراة.

﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾: أي: النفس؛ تقتل بالنفس.

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾: العين: تفقأ بالعين؛ أيْ: تقلع.

﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾: يجدع الأنف بالأنف.

﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾: تقطع بالأذن.

﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾: أيْ: يكسر السن بالسن، أو يقلع به إن قلع.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: يكون بمثله، مساوياً له.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: بالقصاص؛ فهو كفارةٌ له.

أيْ: عفا المجروح عن الجارح، أو وليه، فهو كفارة له عن ذنبه، فهذه كفارة للجارح، علىٰ شرط التوبة، أما إذا بقي مصراً؛ فالعقوبة باقية.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة، التفسير نفسه.

أما ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: سماهم ظالمون؛ كونهم قد بالغوا في ظلمهم.

وذلك إذا قتل غير القاتل، أو قتل بالواحد اثنين، أو فقأ بالعين عينين، وهكذا، ولماذا سمَّاهم ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إمّا لكونهم لم يطبقوا الحكم؛ لسبب ما، أو لكون القصاص فيه ظلم؛ كأن يقتص بقتل اثنين بدلاً من قتل واحد، وهكذا.

والظلم بشكل عام هو نقصان حق الغير، وقد يظلم الإنسان نفسه: بأن يخرج عن منهج الله سبحانه، ويتبع هواه والشيطان.

لا بُدَّ من الانتباه إلىٰ هذا الحكم الوارد في الآية (٤٥) لبني إسرائيل، والذي ينص: إمّا القصاص، وإمّا العفو، وليس هناك ذكر للديَّة. في النفس، أو الجروح، ما يدل علىٰ أن الله خفّف علىٰ الأمة المحمدية؛ بدفع الدّية، إضافة إلىٰ القصاص، والعفو.

❖ ❖ ❖

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

سورة المائدة [الآيات ٤٦ - ٥٠]

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٧) من سورة البقرة.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أي: اتبعنا بعيسىٰ (بعثنا عيسىٰ) مباشرة، من دون فاصل زمني خلف النبيين؛ الذين أرسلوا إلىٰ بني إسرائيل، وقد أرسل عيسىٰ علىٰ آثار زكريا.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أيْ: كأن آثار أقدامهم لا تزال علىٰ الأرض، لم تُمحَ بعد؛ (دلالة علىٰ قصر الزمن) بين الرسل وعيسىٰ عليهم السلام.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: مقراً ومطبقاً شريعة التوراة، وما جاء به موسىٰ قولاً، وعملاً.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾: أيْ: أنزلنا علىٰ عيسىٰ الإنجيل، جملة واحدة (دفعة واحدة)؛ للهدىٰ، والموعظة.

﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: في الإنجيل هدىٰ من الضلال؛ أيْ: مصدر هداية، أو هادياً، ونور يُبيِّن الحق من الباطل، والحلال من الحرام.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: أي: الإنجيل، مصدقاً للتوراة لا يخالف التوراة.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الإنجيل؛ هدىٰ من الظلمات إلىٰ النور، وموعظة؛ أيْ: نصح، وتذكير، وترغيب، وترهيب، وتخدير.

أيْ: هادياً وواعظاً ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، ونلاحظ تكرار ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: مرتين؛ المرة الأولىٰ: تتعلق بعيسىٰ ، والثانية بالإنجيل.

فليس هناك تكرار؛ فمنهج عيسىٰ ، ومنهج الإنجيل، كلاهما مطابقٌ لمنهج التوراة.

وفي الآية (٤٤) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

وفي الآية (٤٦) قال تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فكلاهما هدىٰ ونور، ولكن الإنجيل فيه زيادة هدىٰ، وموعظة للمتقين، فهو يدل علىٰ كونه يتضمن شحنة روحية جديدة، وفيه مواعظ أكثر من التوراة.

[٤٧] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، أو لام الأمر.

﴿أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾: أتباع عيسىٰ ؛ النصارىٰ.

﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: فيه: للتوكيد؛ للتوكيد علىٰ العمل بأحكام الإنجيل، وعدم ترك أحكامه، والأخذ بأحكام التوراة فقط، والباء في كلمة ﴿بِمَا﴾: تفيد الإلصاق.

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، ومن: شرطية.

﴿لَّمْ يَحْكُم﴾: لم النافية.

﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: في التوراة، أو الإنجيل.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة؛ يفيد التحقيق، ويشير إلىٰ الذين لم يحكموا بما أنزل الله بأنهم: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ حقاً، الخارجون عن طاعة الله تعالىٰ.

وإذا نظرنا إلىٰ الآيات السابقة، الآية (٤٤): ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

والآية (٤٥): ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

والآية (٤٧): ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

الكافر: هو ظالم، وفاسق، وليس كل ظالم، أو فاسق كافراً.

الظالم: أسوأ من الفاسق، وقد يترقَّىٰ بظلمه؛ ليصبح كافراً، والظلم قد يعني: الشرك.

والفاسق: أهون من الكافر والظالم، وقد يترقَّىٰ بفسقه ليصبح ظالماً، أو كافراً.

فالكافرون: أي: الذين جحدوا، وأنكروا وجود الله سبحانه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، أو لم يؤمنوا بما أنزل الله في الآيات والأحكام..

أما الظالمون: هم آمنوا، ولم ينكروا أن هذه الآيات والأحكام منزلة من رب العالمين، ولكنهم أشركوا بالله، أو رفضوا تطبيق تلك الأحكام والعمل بها، أو غيَّروا تلك الأحكام.

أما الفاسقون: هم آمنوا بتلك الآيات والأحكام، ولم يشركوا بالله، ولكنهم خرجوا عن طاعة الله بشهوة، أو هوىٰ، أو شيطان، وقيل: هذه الآيات الثلاث تعني أهل الكتاب فمنهم الكافرون، ومنهم الظالمون، ومنهم الفاسقون، فهم درجات حسب تطبيقهم لشرع الله تعالىٰ الذي أنزل إليهم في التوراة والإنجيل.

[٤٨] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر التوراة والإنجيل، يذكر الآن القرآن الكريم، ومنزلته من الكتب السابقة.

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾: وأنزلنا: تعني: دفعة واحدة (من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا)، لم يقل: ونزلنا.

﴿إِلَيْكَ ﴾: ولم يقل: عليك؛ إليك: تأتي في سياق التبليغ، والرسالة. ارجع إلى الآية (٣) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿الْكِتَابَ ﴾: أي: القرآن.

﴿بِالْحَقِّ ﴾: الحق: هو الأمر الثابت، الذي لا يتغير، منزلٌ من الله سبحانه.

﴿بِالْحَقِّ ﴾: الباء: للإلصاق، ملازمٌ للحق؛ أيْ: هو الحق، فلم يصبه تحريف، ولا تغيير.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: مُقراً لا معارضاً لما سبقه من الكتب: (التوراة، والإنجيل، والزَّبور).

والكتاب: اسم جنس، يشمل كل الكتب السابقة.

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾: أيْ: قائماً (حاكماً، رقيباً، شهيداً)، على كل ما سبقه من الكتب، يُقر الحق، ويبطل الباطل، وشهيد عليها، إذا أصابها تغيير، أو تحريف، وما يحكم به أهل الكتاب إن كان في القرآن ما يصدقه فصدقوه، وإلا فكذبوه فالقرآن هو: الحاكم.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾: احكم بينهم؛ أيْ: بين اليهود، أو أهل الكتاب، أو كل من تحاكم إليك.

﴿بِمَا ﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: وهو القرآن الكريم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾: لا: الناهية.

﴿تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: أي تترك ما جاء به القرآن من حكم، أو أحكام.

و ﴿تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: جمع هوىٰ، والهوىٰ: هو ما تميل إليه النفس؛ أيْ: تحبّه وتهواه، بغض النظر عمَّا أمر الله تعالىٰ، أو نهىٰ عنه، والهوىٰ غالباً باطلاً، أو بعيداً عن الحق، وبلا دليل، والهوىٰ يختلف من شخص إلىٰ آخر.

﴿عَمَّا جَآءَكَ﴾: عما = عن + ما، عن: حرف جر؛ يفيد المجاوزة، والابتعاد، وما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي.

﴿جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: القرآن الكريم، فهو الحق، وهو الأمر الثابت الذي لا يتغير أبداً.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: أيْ: لكل أمة ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، واللام: لام الاختصاص.

الشرعة: جملة الشرائع التي تشمل: العقائد، والعبادات، والأحكام، والتي تُعد أو تعتبر الأصل والمرجع لموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم السلام.

والشرعة: تختلف عن: الشريعة، شريعة محمد ﷺ، شريعة موسىٰ، شريعة عيسىٰ، وتعني: الطريقة الموصلة للغاية، والدين: هو جملة الشرائع بما فيها الأحكام، والآيات، والمواعظ، والوصايا، والأوامر، والنواهي، والدِّين هو واحد، هو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٣٢)؛ لبيان معنىٰ الدِّين.

وهذه الشرعة تختلف باختلاف الأمم، وجاءت في الكتب المنزلة.

وأصل كلمة الشريعة: الطريقة إلىٰ الماء، أو النهر الذي ترده الإبل حتىٰ

تشـــرب، والبشر بحاجة إلىٰ الشـــريعة، كما هم بحاجة إلىٰ الماء، أو يشربون من هذا الدِّين (النهر) كي يبقوا أحياء.

﴿وَمِنْهَاجًا﴾: الطريقة الواضحـــة هي: ما جاء في القرآن، والســـنة، وبقية المصادر الفقهية الموثوقة الموصلة إلىٰ الغاية، الطريق المســـتقيم، الموصل إلىٰ الغاية، أو المنهاج الذي يجب أن نســـير عليه، والشـــرعة، والمنهاج مصدرهما واحد: هو الله سبحانه ورسوله ﷺ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أراد الله، والمشيئة تسبق الإرادة.

﴿لَجَعَلَكُمْ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أيْ: علىٰ شريعة واحدة.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: الـــلام: فـــي ليبلوكـــم: للتوكيـــد، ويبلوكم: تفيد الاختبار بالخير، أو الشر، والابتلاء: أشد من الاختبار.

﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: فيمـــا أنـــزل عليكم من الشـــرائع، الأحـــكام، العبادات، والأوامر، والنواهي، جعل لكل نبي شريعة مختلفة، وأما المنهاج فهو واحد؛ فهو طاعة الله سبحانه ولا إله إلا الله.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾:

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: أيْ: ليســـابق كل واحد منكم الآخر، في الإســـراع بالقيام بالأعمال الصالحة: الفرائض، والنوافل، وأعمال الخير.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: إلى الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ يدلّ على الحصر؛ أيْ: إلى الله وحده حصراً، مرجعكم: مصيركم، وعودتكم.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، والرجوع إليه.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: الفاء: تفيد المباشرة، والتعقيب.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: يخبركم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق. ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: كنتم في الدنيا، فيه تختلفون: من الشرائع، والحق، والباطل في العقائد، والمذاهب.

[٤٩] ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾:

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم﴾: وأن حرف مصدري، أو حرف تفسير؛ تفيد التوكيد، والتعليل.

﴿ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: تكرار لما سبق، يفيد التوكيد بالحكم بما أنزل الله، وعدم اتباع أهواءهم.

﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾: الحذر: هو التوقّي من الضرر، واتخاذ الاحتياطات، والانتباه لأمر ما.

﴿أَن يَفۡتِنُوكَ﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿يَفۡتِنُوكَ﴾: يصرفوك. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان عن الفتنة.

﴿عَنۢ﴾: حرف جر، فيه معنى المجاوزة والابتعاد.

﴿بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾: من الأحكام، كالرجم، وشأن القصاص، والدماء.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا، ورفضوا حكمك، أو أعرضوا عن الإيمان.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم، أو يعاقبهم ببعض ذنوبهم، والفاء في ﴿فَٱعْلَمْ﴾: للتوكيد.

﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ أيْ: بسبب بعض، والبعض تعني: الكل، أو بعض ما يستحقونه على إعراضهم، وأما أعمالهم الأخرى، فيجازيهم عليها سواء أخيراً كانت، أم شراً.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: إن للتوكيد.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿لَفَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، أو الدِّين، والقليل من الناس غير فاسق، ملتزم بدين الله وطاعته، ولمعرفة معنى الفسق؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦).

[٥٠] ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿أَفَحُكْمَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجبي، وتوبيخي.

﴿أَفَحُكْمَ﴾: مفعول به مقدَّم الأصل (أيبغون حكم الجاهلية)، وقدَّم المفعول؛ للاهتمام، والتأكيد، والمعنى: أفلا يبغون إلّا حكم الجاهلية.

﴿يَبْغُونَ﴾: يلتمسون، يطلبون، وتدل على الاستمرار في طلبهم؛ (أيْ: أهل الكتاب، أو غيرهم).

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: تحتمل معنيين:

المعنى الأول: حكم أهل الجاهلية؛ الذين جاؤوا قبل الإسلام، أفهم

يريدون أن يعودوا إلىٰ أحكام الجاهلية؛ التي يسودها الشرك، وعبادة الأصنام، ووأد البنات، والربا والفواحش.

والمعنىٰ الثاني: الجاهلية مشتقّة من الجهل، وهو أسوأ من الأمية؛ أيْ: أفحكم الجهل والباطل يريدون أن يتبعوا.

وإضافة (الحكم) إلىٰ كلمة الجاهلية؛ يقتضي التقبيح، والتنفير، وأنه مبني علىٰ الجهل والضلال.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة، من: اسم استفهام؛ بمعنىٰ: النفي، والتقرير؛ أيْ: لا أحد أحسن وأفضل من الله حكماً، أو من المستحيل أن يكون هناك حكم أفضل، أو أحسن من حكم الله.

﴿حُكْمًا﴾: يشمل الحكم الكوني، والشرعي.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: هذا الحسن، والحكمة في الحكم ليس ظاهراً، أو واضحاً لكل واحد، وإنما واضح وظاهر للقوم الموقنين.

﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين: وهو العلم بالحق، وهو العلم بالشيء استدلالاً، وبأن ليس هناك غيره.

درجات اليقين: علم اليقين، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين، وهو أعلىٰ درجات اليقين، واليقين يعني: الإيمان الثابت المستقر في القلب، ولا يطفو إلىٰ العقل ليناقش من جديد.

وكلما ازداد الإنسان إيماناً ازداد معرفة، وتبيَّن له عدل أحكام الله تعالىٰ، وازداد يقيناً به سبحانه؛ فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في اليقين.

❖ ❖ ❖

نصف الحزب ١٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ
يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ
إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

سورة المائدة [الآيات ٥١ - ٥٧]

[٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

نداء بتكليف جديد للذين آمنوا؛ أي: السائرون على درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾: الموالاة: تعني: المودة والنصرة.

المودة: المحبة، واتخاذهم بطانة، والتآمر معهم، والتجسس لأجلهم، على حساب المؤمنين، وكشف الأسرار إليهم.

النصرة: اتخاذهم أعواناً وحلفاء، ومدّهم بالعدّة والعدد.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: يوالي بعضهم بعضاً، وهذا قد يكون السبب في عدم موالاتهم، أو اتخاذهم أولياء.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: ومن: شرطية.

﴿يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: ينصرهم، ويعينهم، ويفشي لهم أسرارَ المؤمنين.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: أيْ: مثلهم، وليس من المؤمنين، وهذا تهديد ووعيد لمن يخالف أمر الله، وهو حرمة موالاتهم.

وقد بيَّن الله سبحانه حقيقة الموالاة في سورة الممتحنة، الآية (٩).

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾:

ارجع إلىٰ سورة الممتحنة، آية (٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أيْ: من يواليهم، وينصرهم، ويخالف أمر الله، فهو ظالم لنفسه ولغيره، ويصبح من الظالمين؛ لكونه خرج عن منهاج الله سبحانه، وما وصَّىٰ به.

[٥٢] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾:

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أيْ: فترىٰ المنافقين أو ضعاف الإيمان.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: النفاق، وضعف الإيمان، والشرك.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: يسارعون في موالاتهم، (موالاة اليهود، والنصارىٰ)، يسارعون فيهم، ولم يقل: يسارعون إليهم.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: يدلّ علىٰ أنهم كانوا مع هؤلاء اليهود، والنصارىٰ منذ البداية، أو سابقاً في الموالاة والنصرة، والآن ازدادت موالاتهم، ونصرتهم.

بينما (يسارعون إليهم): تعني: لم يكونوا معهم سابقاً، والآن فقط انضموا إليهم، وأصبحوا في حلفهم، وتدل علىٰ الاستمرار والتجدد في المسارعة.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: أيْ: يبرِّرون موالاتهم لهم، ويعلِّلون ذلك بقولهم: ﴿نَخْشَىٰٓ

أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: نخاف أن تصيبنا دائرة. مصيبة، والخشية فيها معنىٰ الرهبة، والتعظيم، والعلم بالذي تخشاه.

﴿دَآئِرَةٌ﴾: اسم فاعل، والدائرة تعني: تغير الحال من خير إلىٰ شرٍّ.

دوائر الدهر، نوائب الدهر؛ مثل: المجاعة، والقحط، أو الهزيمة؛ أيْ: ترىٰ المنافقين الذين في قلوبهم مرض يتخذون اليهود والنصارىٰ والكفار أولياء؛ خشية أن يجدوا أنفسهم في المعسكر الضعيف؛ لذلك يحاولون دائماً أن يميلوا إلىٰ المعسكر القوي؛ حفظاً علىٰ أنفسهم، وأموالهم، ومتاعهم.

﴿فَعَسَى﴾: الفاء: استئنافية. عسىٰ: للترجي.

﴿ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾: الفتح: النصر من دون قتال؛ أيْ: نصر المؤمنين علىٰ الكافرين.

والفتح قد يعني: الحكم؛ كقوله: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩].

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: بإظهار أمر المنافقين، ومعرفة أسمائهم، وفضيحتهم، أو يدبر الله لهم شيئاً خفياً؛ كالخوف، والرعب، أو الجلاء.

﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾: فيصبح (الموالون من المؤمنين لليهود نادمين)، نادمين علىٰ ما أسرّوا في أنفسهم، من النفاق، وموالاتهم لليهود والنصارىٰ، وكراهيتهم لمحمد ﷺ، وللإسلام.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: عندما يأتي الله بالفتح، أو أمر من عنده، عندها يقول:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: مخاطبين اليهود:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: استفهام توبيخي وتعجبي، أولاء: اسم إشارة للقرب، والهاء: للتنبيه، وتشير إلىٰ المنافقين.

هؤلاء المنافقون الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم؛ أقسموا وأكدوا أيمانهم بالأيمان المغلظة بأقصىٰ ما في وسعهم: إنهم مع المؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: أيْ: معكم علىٰ عدوكم.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: لأنها لم تكن خالصة لوجه الله، بطلت وضاعت، فأصبحوا خاسرين دنياهم وآخرتهم معاً في الدنيا: بالفضيحة، والعار، والعقاب، وفي الآخرة: بالعذاب في النار. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من البيان عن حبطت أعمالهم.

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا؛ أيْ: علىٰ درب الإيمان، نداء فيه تحذير، والهاء: للتنبيه.

﴿مَن﴾: شرطية؛ لابتداء الغاية، ومن: تشمل: المفرد، والمثنىٰ، والجمع، وتستعمل للعاقل.

﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: يرجع عن الإسلام إلىٰ الكفر، ومنها الردة، وهو رجوع المسلم، العاقل، البالغ عن الإسلام إلىٰ دِين آخر باختياره، دون إكراه من أحد، وينشرح صدره بالكفر.

بعد أن يُبيِّن له عواقب الردّة ويستتاب، سواء أكان ذكراً، أو أنثىٰ، ويقام عليه حد الردة إذا توافرت فيه الشروط.

ويستثنىٰ من ذلك: الصبي، والمجنون، والمكره.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد، والتراخي.

﴿يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: فسوف يأتي الله بخير منهم، ممّن يحبون الله، ويحبّهم الله تعالىٰ. قدم حبه علىٰ حبهم؛ لأن حبه سبحانه وتعالىٰ هو الغاية.

والحب هو: الميل القلبي، والإقبال علىٰ الشيء، والدوام علىٰ ذلك، وقد ينقص، أو يزيد، أو يزول.

قال تعالىٰ: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾: يرتد: يرجع عن دينه (الإسلام) إلىٰ الكفر، ولم يقل: يرتدد؛ بفكّ الإدغام، فما هو الفرق بين يرتدَّ ويرتدد؟

﴿يَرْتَدَّ﴾: جاءت في سياق الارتداد، في زمن السلم، والعافية ومن دون سبب يبرر الارتداد.

بينما يرتدد: جاءت في سياق الارتداد في زمن الحرب، أو الفتنة، أو القتل (الموقف أشد وأخطر)، ولذلك زيدت الدال؛ لشدّة وخطورة الحال. ارجع إلىٰ الآية (٢١٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

وقيل: حدثت هذه الرِّدَّة التي تحدث عنها القرآن علىٰ مرحلتين:

١ - في زمن الرسول، والذين ارتدوا هم: بنو مدلج، وبنو حنيفة (قوم مسيلمة الكذّاب)، وبنو أسد.

٢ - ردَّة في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ارتدت قبائل غطفان، ومرارة، وبنو سليم، وبنو يربوع، وغيرهم.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾:

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: رحماء بينهم، متوادّون، متعاطفون، متواضعون، يغلب عليهم طابع الرحمة والرأفة على المؤمنين.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والمدح، وعلى: تعني: الذلة المستعلية؛ أيْ: عاطفين على المؤمنين من وجه التواضع والتذلل.

ولو قال: أذلة للمؤمنين؛ لكان ذمّاً لهم لا مدحاً، وأذلة للمؤمنين؛ تعني: الخنوع، والاستكانة.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أيْ: أشداء على الكافرين (على عدوهم).

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾:

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يجاهدون؛ لمعرفة معنى الجهاد ارجع إلى الآية (٦) في سورة العنكبوت، لإعلاء كلمة الله تعالى، وإعلاء دِينه: ﴿وَلَا يَخَافُونَ﴾: لا: النافية؛ للحال، والمستقبل.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: الواو: للتوكيد، لا يخافون قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لوم لائم، واللوم: هو توبيخ، أو تقريع الفاعل على فعله، وتهجين طريقته.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة. ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: يشير إلى الجهاد في سبيل الله، وكونهم أعزة على الكافرين.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: واسع الفضل، والملك، والإحسان، والجود، والغنى، والعلم، واسع الملك.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق فضله، وعليم بذات الصدور، عليم ببواطن وظواهر الأمور، صيغة مبالغة: كثير العلم.

[٥٥] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾: القائم، المتكفل بأموركم، والمناصر لأوليائه الصالحين، يتولاهم بالرعاية، والنصر، والحفظ، والمعونة، والتوفيق. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يقيمون الصلاة: بخشوع، وخضوع لربِّهم؛ لأن الصلاة هي الصفة الغالبة في وصف الذين يؤمنون بالله، وتعني: إعلان الولاء الدائم لله خمس مرات، كلَّ يوم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: من دون تكبُّر علىٰ الفقراء، وبخضوع، والزكاة هي الركن الثاني.

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: الركوع هنا معناه: الخشوع، والخضوع، وعدم التكبُّر، وليس الركوع العادي. يقال: فلان راكع لفلان؛ أيْ: خاضع له.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو: عاطفة، من شرطية.

﴿يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يجعل الله وليه: فإنَّ الله يعينه، وينصره، ورسوله، والذين آمنوا يعينونه وينصرونه.

الولاية من الله ، هي ولاية عامة وخاصَّة، العامة تشمل كل العباد، والولاية الخاصَّة خاصَّة بالمؤمنين؛ لقوله سبحانه الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. إنَّ: للتوكيد.

﴿حِزْبَ﴾: اسم جمع لا مفرد له، جمعه: أحزاب، والحزب: الجماعة: التفَّ بعضهم مع بعض، علىٰ أمر، أو اتجاه، أو فكر، أو مبادئ، أو قيم خاصَّة، وكلمة الحزب مشتقة من حزب الأمر عليه؛ معناه: أمر أتعبه، وأرهقه، وفكر به كثيراً؛ كأن المتحزبين التفوا علىٰ أمر أتعبهم، وأرهقهم، كأنَّهم أهل نائبة.

﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد؛ أيْ: هم الغالبون حقاً؛ أيْ: هم في طليعة الغالبين.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

أسباب النزول: روي عن ابن عباس : أن قوماً من اليهود والمشركين، ضحكوا من المسلمين، وقت سجودهم، فنزلت هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: نداء إلىٰ الذين آمنوا بعدم اتِّخاذ الذين يتخذون الدّين مادةً للهزء واللعب، أولياء من الذين أوتوا الكتاب (اليهود والنصارىٰ)، والكفار، بمن فيهم (المنافقون).

وهُزُواً: من الاستهزاء، وهو التحقير والاستخفاف والتصغير. والاستهزاء

عام يشمل الأشـــخاص، والآيات، والأعمال، ويختلف عن السخرية التي تكون في الأشخاص فقط.

أو العيب بدينكم، وهُزُواً: مشتقة من فعل: هزأ، يهزأ، لعباً: يعني: عبثاً.

أيْ: لا يصـــح أن يقابل من اتَّخذ دِينكم هزواً ولعبـــاً، بأن تتخذوه ولياً، بل يقابل بالبغضاء والشنآن.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ الذيـــن أوتوا الكتاب: فيها ذم مقارنة بقوله تعالىٰ: بأهل الكتاب؛ أولياء: جمع ولي، والموالاة تعني: الإخلاص، والمودة، والقربىٰ، والبطانة.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في موالاة الكفار، والذيـــن أوتوا الكتاب؛ أيْ: أطيعوا أوامر الله تعالىٰ، وتجنبوا نواهيه في مسألة الولاية.

﴿إِن كُنتُم﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: حقاً؛ لأن الإيمان الحق يأبىٰ مـــوالاة أعداء الدِّين، أو إن كنتم مؤمنين؛ للحث والإثـــارة علىٰ عدم اتخاذ الذين أوتوا الكتـــاب والكفار أولياء. ارجع إلىٰ الآية (٥٨) من سورة المائدة؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

سورة المائدة [الآيات ٥٨ - ٦٤]

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل؛ متضمن معنىٰ الشرط، ويدلّ علىٰ حتمية وكثرة الوقوع؛ أي: النداء للصلاة، والنداء إلىٰ الصلاة؛ أي: الأذان..

﴿نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾: أيْ: أذَّن المؤذِّن إلىٰ الصلاة.

﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾: هزواً: من الهزء، وهو تحقير المستهزأ به، والاستهزاء عام؛ يشمل: الأشخاص، وغير الأشخاص؛ كالصلاة، أو الآيات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة:٢٣١]، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٤-٦٥]؛ أي: اتخذوا من الأذان والصلاة مجالاً للحط من أهميتهما، وللفكاهة، والتحقير من شأنهما.

أما السخرية: فتنحصر في الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص حصراً.

﴿وَلَعِبًا﴾: ظنوا أن الصلاة حركات عبثية، لا قيمة لها، ولا هدفاً.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ اتخاذهم الصلاة هزواً ولعباً.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: سببية؛ أيْ: بسبب، أنهم: أنَّ للتوكيد.

﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: لا: النافية؛ تنفي عنهم العقل والفهم، وهو أسوأ وأشد من نفي العلم.

[٥٩] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: الكتاب: أي: التوراة، والإنجيل، اليهود والنصارىٰ.

﴿هَلْ﴾: استفهام؛ فيه تبكيت، وتوبيخ.

﴿تَنقِمُونَ مِنَّا﴾: من نقم ينقم منه؛ أيْ: عاقبه، أو كره منه أن يفعل أمراً ما؛ مما أدَّىٰ إلىٰ الكراهية، والمعاداة، والكيد، والعقاب؛ أيْ: كيف تكونون أهل توراة، وإنجيل، وتنكرون علينا الإيمان بالله، وما أنزل إلينا، وتتخذون ذلك سبباً للمعاداة، والانتقام، والكراهية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أيْ: فقط؛ لأننا آمنا بالله .

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾؛ أي: القرآن، وما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الَّذي.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾: من التوراة، والإنجيل، ومن الصحف.

﴿وَأَنَّ﴾: يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: أيْ: كونكم تنقمون منا؛ لأننا آمنا بالله، وما أنزل إلينا؛ هذا يعدُّ فسقاً منكم، ويفعله الأكثرون، وإذا قارنا هذه مع الآية (٨١) في نفس السورة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: نجد أن أكثر تأتي

في سياق الأكثر عدداً أو إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات والأفعال مقارنة بكثير.

﴿فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن الدِّين؛ أيْ: طاعة الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ فاسقون.

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

أسباب النزول: حينما ذكر رسول الله ﷺ لليهود: أنه يؤمن بعيسىٰ، وهم لا يؤمنون بعيسىٰ؛ جحدوا بنبوَّة رسول الله ﷺ، ونبوَّة عيسىٰ .

وقالوا: لا نعلم دِيناً شراً من دِينكم، ولا أهل دِين أقل حظاً منكم، في الدنيا والآخرة، فرد الله عليهم بهذه الآية.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: ﴿هَلْ﴾: للاستفهام، والتعليم، وهل: أداة للاستفهام أقوىٰ من الهمزة؛ كقوله أأنبئكم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: الهمزة: للاستفهام والتبكيت.

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: وأصلها: هل أخبركم بشرٍّ من ذلك، ذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ الذي تنقمون به منا، هو من لعنة الله.

﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾: للتفضيل، ولا يعني ذلك: أن المؤمنين في شرٍّ، ولكنها مجاراة لما قاله اليهود، ولمقارنة هذه الآية ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾ مع الآية (٧٢) في سورة الحج، وهي قوله تعالىٰ: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾؛ ارجع إلىٰ سورة الحج الآية (٧٢).

﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً من ثاب يثوب، وتطلق علىٰ الجزاء، والثواب، واستعمال

كلمة ثواب في سياق الشر؛ فيها معنىٰ التهكم، والتوبيخ. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٠٣) لمزيد من البيان. والثواب الذي وعدهم الله تعالىٰ لعنته والغضب عليهم والمسخ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: عند: ظرفية زمانية (يوم القيامة)، ومكانية.

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أيْ: طرده وأبعده عن رحمته.

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾: والغضب: هو عدم الرضا، والقبول منه، ويقضي العقاب والانتقام.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أي: الخلق يتم أولاً ثم يجعل من الخلق ما يشاء؛ أي: هو مرحلة تالية للخلق فهو سبحانه خلقهم كبشر، ثم جعل منهم القردة والخنازير؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٦٥)، وسورة الأعراف الآيات (١٦٣-١٦٦) للبيان؛ أيْ: مسخهم قردة، وهو الحيوان، المعروف لدىٰ الناس.

﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾: جمع خنزير؛ الذي حرمه الله ووصفه بأنه رجس.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: وفيها قراءتان: عبُد بضم الباء (جمع عبد)، والثانية: بفتح الباء عبَد، ولمعرفة معنىٰ الطاغوت، والشيطان، والكهنة، ورؤسائهم الضالين: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥٦)؛ للبيان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، وتشير إلىٰ اليهود.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾: أسوأ مكاناً، ومنزلة يوم القيامة، من غيرهم.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وأكثر ضلالاً من غيرهم عن سواء السبيل، طريق الحق، أو الصراط المستقيم الموصل إلى الغاية، والسواء: هو الوسط.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾:

نزلت هذه الآية في بعض اليهود، الذين كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيجلسون معه ﷺ، وهم متلبسون بالكفر، فلم ينفعهم جلوسهم مع رسول الله، ولم يهتدوا، أو يتعظوا.

﴿وَإِذَا﴾: إذا: شرطية، وتفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءُوكُمْ﴾: جاؤوا الرسول، أو جاؤوا المؤمنين.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أيْ: أظهروا إيمانهم بأفواههم فقط، ولم تؤمن قلوبهم.

﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾: أيْ: لم تتغير حالتهم، فهذا يدل: أن الدخول عليهم كان نفاقاً. قد: حرف توكيد وتحقيق.

﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾: الباء: تفيد الإلصاق؛ أي: المصاحبة.

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يدل على توكيد هويتهم الكافرة، وقلوبهم القاسية، ويدل ليس في قلوبهم ذرة إيمان، وأن الله طبع عليها، وهم يدعون أنهم يؤمنون ويسمعون قول الرسول ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾: أعلم: على وزن أفعل؛ للمبالغة.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾: بما كانوا يكتمون من الكفر، والنفاق.

﴿يَكۡتُمُونَ﴾: من الكتم، وهو عملية قسرية، يحاول فيها الفرد أن لا يظهر وفي هذه الآية تعني: نفاقه، وكفره؛ خوفاً من أن تنكشف حقيقته للناس، ورغم كتمانه، فكفره ونفاقه، لا بُدَّ أن يظهر عاجلاً أم آجلاً.

[٦٢] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾:

﴿وَتَرَىٰ﴾: الرؤية هنا قلبية وبصرية.

﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أيْ: من اليهود، ولم يقل: الكل؛ إذ من المحتمل أن يكون هناك من سيؤمن في المستقبل، ويرجع عن إثمه وعدوانه.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾: يسارعون: ولم يقل يسرعون، يسارعون؛ أي: يبذلون الجهد والطاقة للمسارعة، وبدلاً من يسارعون في الخيرات هم يسارعون في الإثم؛ أي: الكسب المزيد من الإثم (فعل القبيح، ويشمل الصغائر والكبائر، والإثم يعني: الجرم والذنب)، قولاً وفعلاً، مهما كان نوعه، والإثم يعود على الإنسان نفسه، ولا يتعداه إلى غيره. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان عن الإثم.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾: هو مجاوزة الحد؛ أي: تعد لحدود الله وإرادة السوء، أو الشر لمن تعاديه، وأصل العدوان: الميل، والبعد عمَّن تعاديه والظلم.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾: ولم يقل: يسارعون إلى الإثم، قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾: يعني: أنهم قبل المسارعة كانوا منغمسين في ارتكاب الإثم، والعدوان،

وهم يحاولون كسب المزيد من الإثم والعدوان. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

والمسارعة عادة تكون في الخيرات، واستعيرت في فعل المنكرات؛ لكثرة حدوثها، أو لأنهم يحسبون هذه المنكرات خيرات! ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٦) لمزيد من البيان في يسارعون.

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: أيْ: وهم يسارعون في أكلهم السحت، والسحت: هو الحرام القبيح، المبالغ في حرامه، مثل: الرشوة، والاغتصاب، والربا، والسحت قد يعني: لا بركة فيه، أو المسحوت الذي لا يبقي للحسنات أثراً، والسحت: من محبطات الأعمال الحسنة، وشبّه أخذ المال الحرام، القبيح، بالأكل؛ للدلالة علىٰ كثرة أخذه؛ حيث يحتاج إلىٰ الكل أكثر من مرة في اليوم، وربما مرات عدة، وكذلك أكلهم السحت، يتكرر مرات، أو أخذهم المال السحت الذي يشترون به الطعام الذي يأكلونه؛ فكأنهم يأكلون السحت بدلاً من الطعام.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: اللام: للتوكيد، بئس: من أفعال الذم، ويعملون: تشمل القول والفعل معاً؛ أيْ: بئس ما يقولونه، أو يفعلونه في ارتكاب الإثم والعدوان.

[٦٣] ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: أداة حضٍّ وطلب، وفيها معنىٰ التوبيخ، وتعني: لم لا ينهاهم، وفيها معنىٰ المشاركة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٤) من سورة المائدة؛ للبيان.

﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ للبيان.

﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: التوكيد، وبئس: فعل ذم، وتوبيخ؛ لسكوت الأحبار، والربانيين، وترك النهي؛ لأن تارك الإنكار، وهو قادر على فعل ذلك يشارك فاعل المنكر في الإثم.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذين يصنعون.

﴿يَصْنَعُونَ﴾: أيْ: هؤلاء الربانيون والأحبار، وآكلي السحت، ومرتكبي الإثم والعدوان: يصنعون بدلاً من يفعلون، أو يعملون؛ لأن أعمالهم السيئة والقبيحة؛ أصبحت مهنتهم، وعملهم الدؤوب اليومي، يمارسونه بأحسن الطرق والوسائل؛ كأنه أصبح صناعة فاخرة.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

أسباب النزول: روي عن ابن عباس : أن هذه الآية بعد أن بسط الله على اليهود؛ حتى كانوا أكثر الناس أموالاً، فلمّا عصوا الله ، ومحمداً ﷺ، وكذبوا به؛ كفّ عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنخاص (رأس يهود بني قينقاع): ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: يعني: محبوسة، مقبوضة عن الرزق، وعندما لم ينهه

بقية اليهود، وينكروا عليه ما قاله، وروضوا بقوله؛ أشركهم الله سبحانه في هذه المقالة، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: بدلاً من القول، وقال: قائل منهم.

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: حينما كفّ الله عنهم ما بسط لهم من الرزق؛ عقوبة على عصيانهم، قالوا ذلك على الله: بأن يد الله بخيلة العطاء، مغلولة؛ كأنما وضعت فيها الأغلال، كناية عن البخل، كما يعني: بسط اليد بالكرم، وحاشا الله تعالى أن يكون كذلك.

﴿مَغْلُولَةٌ﴾: معنى الغُل: وهو ما يُقيد به الأعضاء والأطراف، وجمعهُ: أغلال، وهم الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: دعاء عليهم بالبخل، وقيل: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: في جهنم، أو أمسكت عن الإنفاق في الخير.

﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾: طردوا، وأبعدوا من رحمة الله.

﴿بِمَا﴾: الباء: السببية، أو البدلية؛ بسبب، أو عوض ما قالوا في ذات الله تعالى.

﴿بِمَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذي قالوه.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: بل: للإضراب الإبطالي، بل ما نسبوه كذباً على الله .

﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: كناية عن أنه كريم جواد، كثير العطاء.

هم قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فردّ الله عليهم: بل يداه الاثنتان مبسوطتان، تعطيان؛ كناية عن جوده وكرمه .

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: بالعطاء، أو المنع، فالمنع هو عين الإنفاق، وهذا يسمّى

عطاءَ السلب، فيمنع عنه؛ لكي لا يرتكب الفواحش؛ مثلاً، أو يصبح من المسرفين المبذرين، إخوان الشياطين، وقد برر منعه بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ:٢٧] إن شاء وسع، وإن شاء أمسك.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾: الواو: استئنافية. اللام: للتوكيد، والنون: كذلك لزيادة التوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُم﴾: أي: اليهود والنصارىٰ.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: ما أنزل إليك من القرآن الكريم وآياته، التي تبيِّن خبثهم، وتفضح أفعالهم القبيحة؛ من أكلهم السحت، وارتكابهم الإثم والعدوان.

﴿طُغْيَٰنًا﴾: الطغيان: هو المبالغة، وتجاوز الحدّ في الغلو، والكفر، والحسد.

﴿وَكُفْرًا﴾: يزداد كفرهم؛ أيْ: عدم تصديقهم لك ولأمتك.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾:

﴿وَأَلْقَيْنَا﴾: من ألقىٰ، والإلقاء: هو طرح الشيء؛ حيث تجده؛ أيْ: تراه.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود، بعضها ببعض، أو طوائف النصارىٰ بعضها ببعض، أو بين طوائف اليهود والنصارىٰ معاً العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة. ارجع إلىٰ الآية (١٤) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين ألقينا وأغرينا.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾: كراهية تصدر عن صاحبها، والكراهية: أذىٰ محسوس يتجلىٰ بالجفاء، والقطيعة، والضرر، والعداوة: مشتقة من العدو، وهو التجاوز والتباعد.

﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: شـــدة الكراهية، وتكون مضمرة في الصدر غالباً، وقد تظهر علـىٰ الوجه، والبغض: ضـــد الحب؛ أيْ: نفور النفس عن شـــيء لا ترغب فيه، والعداوة والبغضاء غالباً نراهما مترادفتيـــن الواحدة بعد الأخرىٰ؛ لأن إحداهما تؤدِّي إلىٰ الأخرىٰ.

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾: كلما: أداة شرط تفيد التكرار، إيقاد النار: كناية عن إرادة الحرب، فقد كانت العـــرب إذا تواعدت للقتال؛ جعلوا علامتهم إيقاد النار علىٰ جبل أو ربوة، يســـمّونها: نار الحـــرب، وإطفاؤها عبارة عن دفع شـــرهم؛ أيْ: كلما أرادوا شـــراً بالمؤمنين؛ صرفه الله عنهم، من دون حرب، أو بحرب يَغْلبون فيها.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من الســـعي، والمضي، والجري، أو العمل يسعىٰ؛ أيْ: يعمل بجد ونشاط.

﴿فَسَادًا﴾: الفساد: يشـــمل الكفر، والظلم، والمعاصي، وإهلاك الحرث والنسل؛ بالقتل، والإحراق، والإفساد، وتدمير البناء، وقطع الأشجار.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فـــي الأرض الذيـــن يقومون بأعمال الفســـاد، وأصبحت صفة الفســـاد عندهم ثابتة، ولا يتوبون إلىٰ الله، ويســـتغفرونه، وإنما يستمرون في فسادهم. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا
لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

سورة المائدة [الآيات ٦٥ - ٧٠]

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية. لو: حرف شرط.

﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود والنصارىٰ.

﴿ءَامَنُوا۟﴾: بالله ورسله، وبما جاء به محمد ﷺ.

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾: أطاعوا أوامر الله ، وتجنبوا محارمه؛ أي: المحارم؛ مثل: أخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وقولهم الإثم، وكفرهم بآيات الله، والشرك بالله، وقولهم المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وغيرها من المحرمات.

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: اللام: لام التوكيد. كفّرنا سترنا عليهم سيئاتهم، ولم نفضحهم، ومحوناها عنهم.

﴿عَنْهُمْ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يدل على الأهمية، عنهم خاصَّة، ولم يقل: لكفّرنا سيئاتهم عنهم.

﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾: اللام: للاختصاص، والنون في أدخلناهم: للتوكيد.

﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: نوع من أنواع الجنات، فهناك جنات: الفردوس، وجنات عدن، وجنات النعيم، وغيرها...

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: مثل نظيرتها المتقدمة في الآية السابقة؛ أيْ: أطاعوا الله، ورسله، واتقوا.

﴿أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾: الإقامة: العمل بما في التوراة والإنجيل على أتمِّ وجه، وعدم الإيمان ببعض، والكفر ببعض، وإقامة أحكامها وحدودها، والأخذ بالعقائد الصحيحة.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾: ما: اسم موصول، بمعنى: الذي؛ أي: القرآن الكريم، ومن الوحي على أنبيائهم.

﴿لَأَكَلُوا﴾: اللام: للتوكيد والابتداء.

﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: من: ابتدائية؛ فوقهم: أي: كان الرزق ينتظر أن ينزل عليهم، أكلوا: تعني: لوسَعَ عليهم، ويسر عليهم الأرزاق، وأنزل عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، من مطر، ورزق، وخير، ومن تحت أرجلهم: من: ابتدائية؛ تحت أرجلهم: من نبات الأرض، والحبوب... وغيرها.

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: من: البعضية؛ تفيد القلة.

﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: أيْ: معتدلة في القول والفعل، من غير غلو، ولا تقصير، ولم تقل: إن عيسى ابن الله، ولا العُزير ابن الله، أمثال عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: كثير منهم بئس ما يعملون، قولاً وفعلاً. ساء: من أفعال الذم؛ أي قبحاً لما يعملون.

[٦٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

نداء من الله تعالىٰ إلىٰ رسوله محمد ﷺ، فيه التعظيم والتكريم؛ لأنه لم يناده، مثلما نادىٰ الرسل الآخرين بأسمائهم: يا إبراهيم، يا عيسىٰ، يا يحيىٰ، وإنما قال: يا أيها الرسول.

وحينما ينادي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾: يأتي ذلك في سياق الدعوة، والتبليغ. ارجع إلىٰ الآية (٤١) في نفس السورة لمزيد من البيان في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾.

﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: ما: اسم موصول؛ يعني: الذي ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ﴿بَلِّغْ﴾: كل من تستطيع من الوحي، أو المنهج كاملاً.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: الواو: عاطفة، إن: حرف شرط.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿تَفْعَلْ﴾: أيْ: تقم بالتبليغ والدعوة.

﴿فَمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ما: حرف نفي.

﴿بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾: رسالة الإسلام، والإبلاغ؛ يعني: الإعلام.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يعصمك: يحفظك، يمنعك، ويصونك من أعدائك؛ أيْ: من القتل، أو الأسر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أيْ: بلغ ما أنزل إليك من ربك، والله هو الذي يهدي من يشاء، وليس عليك هداهم، إنما عليك البلاغ.

﴿إِنَّ﴾: للتأكيد. لا: نافية.

﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الذين جحدوا بالله ورسله، وما أنزل الله، لا يهديهم؛ لأنهم اختاروا طريق الكفر، والضلال؛ لأنفسهم، فالله ليس بحاجة إلى إيمانهم.

[٦٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿لَسْتُمْ﴾: ليس: تنفي الحال، والمستقبل، والماضي؛ فهي غير مقيدة بزمن معين.

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: شيء: نكرة، تشمل كلَّ شيء، والشيء هو أقل القليل، أو لستم على شيء من الإيمان، حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم.

﴿حَتَّىٰ﴾: تفيد انتهاء الغاية؛ أيْ: إلى أن تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربِّكم، والعمل بها كاملاً.

﴿تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من السورة نفسها.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: من الآيات، بما فيها آيات القرآن الكريم، أو الوحي.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾: ارجع إلى الآية (٦٤) من السورة نفسها.

﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: ناهية.

﴿تَأۡسَ﴾: من الأسى: وهو أشد ألماً من الحُزن أو الحزن الشديد، وأطول زمناً من الحُزن، ويصحبه جزع أحياناً وعدم رضا.

﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: الذين كفروا بالله، ورسله، وكتبه، ويريدون أن يؤمنوا ببعض، ويكفروا ببعض. القوم الذين أصبح الكفر سمة وصفة ثابتة لهم، واستمروا على ذلك.

[٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة؛ للبيان، وسورة الحج الآية (١٧).

إذا نظرنا إلى هذه الآية، سنلاحظ أمرين:

الأول: هو العطف بالرفع، رفع (الصابئون)، والعطف بالرفع عادة غير مؤكد؛ أيْ: معطوف من دون إرادة التوكيد، بينما العطف بالنصب مؤكد.

ورفع (الصابئون) هنا؛ لكونهم أبعد المذكورين ضلالاً، فجاء توكيدهم أقل.

الثاني: هو تقديم (الصابئون) على النصارى؛ لأن البعض يرى أن عقيدتهم لا إله إلا الله، أفضل من عقيدة النصارى التي تقوم على الشرك بالله، والتثليث.

والتقديم قد يكون بالزمن؛ فالصابئين أقدم من النصارى من حيث المجيء بالزمن، ولا بدَّ من الانتباه إلى سياق هذه الآيات ففي سورة البقرة: ذُكرت هذه الآية في سياق اليهود، وفي سورة الحج: جاءت الآية في سياق الفصل بينهم يوم القيامة، وفي سورة المائدة: جاءت في سياق الدعوة إلى الله، وفي سياق الحديث عن أهل الكتاب.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: العهد المؤكد باليمين.

أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة، بالسمع، والطاعة، والتوحيد، وأن يعملوا بما فيها، وأن يؤمنوا برسله، وعيسى، ومحمد ﷺ.

﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: مثل: موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام.

﴿كُلَّمَا﴾: مركبة من: كل وما المصدرية الظرفية؛ فهي أداة شرط تفيد التكرار.

﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾: الباء: حرف جر، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي؛ أيْ: بالذي لا تهوىٰ أنفُسُهُم من الحق.

وتعريف الهوىٰ: هو ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي بعيداً عن الحق، وبلا دليل. ارجع إلىٰ الآية (٥٦) من سورة الأنعام.

﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: فريقاً من الرّسل كذبوا، وفريقاً من الرسل يقتلون، ولم يقل: فريقاً كذبوا (فعل ماضي)، وفريقاً قتلوا، وإنما جاء بصيغة المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾، جاء بالفعل المضارع في كلمة ﴿يَقْتُلُونَ﴾: حتىٰ يُشعرنا بعظم وبشاعة الجرم هذا، وهو ما نسمِّيه حكاية الحال، رغم أنه حدث في الماضي.

ويجب أن ننتبه إلىٰ أن بني إسرائيل لم يقتلوا أيَّ رسول، وإنما قتلوا بعض الأنبياء؛ لأن الرسل معصومون من القتل، والأنبياء غير معصومين، وجاء هنا بكلمة الرسل؛ لأن الرسل تطلق علىٰ الأنبياء والرسل معاً؛ لأن كلاهما مرسل من الله تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

سورة المائدة [الآيات ٧١ - ٧٦]

[٧١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾:

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: اعتقدوا وظنوا: ظنوا ظناً راجحاً من الحساب القلبي، والحسي؛ القائم على النظر والتجربة.

﴿أَلَّا﴾: أن لا، أن: للتوكيد، لا: النافية.

﴿تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: أيْ: لا يعذبون بذنوبهم، وأنهم لا يفتنون، ولا يُبتلون بالشدائد، والمحن في الدنيا.

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة.

عطلوا أدوات الإدراك عندهم: الأعين، والأذان، فلم يبصروا الحق، ورفضوا الاستماع إلى أي آية أو موعظة، فلم يتدبروا آيات الله؛ حتى إنهم ظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فكذبوا الرسل، وقتلوا أنبياءهم، وعصوا ما في التوراة، وعبدوا العجل، وطلبوا رؤية الله.

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: بعد عبادتهم العجل، وطلبهم رؤية الله، وبعد قتل الذين عبدوا العجل.

﴿ثُمَّ﴾: لبيان البعد بين التوبة، والعمى، والصم.

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: ثم: هنا للحال، وللتوكيد.

﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: مرة ثانية بنقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله قولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾، وقيل: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: بعد بيان الحق، ومجيء محمد ﷺ برسالته.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: أيْ: حضَّ بعضهم بعضاً على المعصية، وعدم الاستجابة؛ لما أمر به الله تعالى، وقيل: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: الأولى: بعد رفع الجبل فوقهم، وظنوا أنه واقع بهم، و ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: الثانية بعد إرسال محمد ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾: الله مطلع، ورقيب، وشاهد.

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تعني: الأقوال، والأفعال، وقدَّم ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: لأنَّ العمى، والصم أعمال قلبية، لا يعلمها إلَّا الله ، ولم يقل: والله بما يعملون بصير.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وتوكيد كفر ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

﴿كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، والكفر هنا؛ كفر العقيدة، والإيمان؛ أيْ: الشرك بالله.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدلُّ على التوكيد والحصر، أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم؛ هذا ما قالته بعض طوائفهم.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وقال ذلك، وهو بين أظهرهم، قبل أن يرفعه الله إلى السماء.

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي: اعبد الله وحده الذي هو ربِّي وربُّكم.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿مَن﴾: استغراقية.

﴿يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: يتخذ مع الله شريكاً، أو ندّاً، أو ولداً.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد.

﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾: حرَّم عليه دخولها؛ أيْ: منعه من دخولها، ولم يكفِ ذلك، بل لا بُدَّ من دخول النار.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: مقرُّه ومستقرُّه النار.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: وما: النافية. للظالمين: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، الظالمين: جمع ظالم، وكل من يخرج عن منهج الله؛ فهو ظالم، والظالمين قد تعني: المشركين؛ لأن الظلم هو الشرك.

﴿مِنْ﴾: استغراقية.

﴿أَنصَارٍ﴾: جمع نصير؛ أيْ: لا يجد من ينصره، ويمنع أو يدفع عنه العذاب، أو يخلصه منه. بينما ناصرين، جمع ناصر، ونصير أبلغ وأقوىٰ من ناصر؛ ارجع إلىٰ سورة الروم آية (٢٩) لمقارنة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مع قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج:٧١].

وفي هذه الآية دليل علىٰ تحذير عيسىٰ لهؤلاء الذين يقولون: إن الله سبحانه هو عيسىٰ .

[٧٣] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: الذين: اسم موصول؛ يعود علىٰ فئات النصارىٰ مثل الملكية؛ التي قالت ذلك.

﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: الأب: هو الله، والابن: هو المسيح، وروح القدس.

أو الآلهة ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، أو أن الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، هو عين الآخر، لا فرق بين واحد منهم والآخر، أيٌّ واحدٍ منهم يمثل الإله.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، وما: النافية، وهي للرد على قولهم غير الصحيح، والكذب.

﴿مِنْ﴾: استغراقية.

﴿إِلَٰهٍ﴾: معبود.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر. ﴿إِلَٰهٌ﴾: معبودٌ (هو الله سبحانه وتعالى).

﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة (نعت) واحد؛ أيْ: لا يتجزأ، ويكون ثلاثة. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾: إن: شرطية.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾: إنذار ووعيد لهم: بأن يتركوا ما يقولون أو يفترون، والافتراء: الكذب على الله ، سواء أكان قولهم الله هو المسيح، أم عقيدة التثليث.

﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾: عن الذين يقولون، وكلمة يقولون: تدلُّ على التكرار، والاستمرار في قولهم الباطل.

﴿لَيَمَسَّنَّ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك نون النسوة في ليمسن: لزيادة التوكيد، ليمسن: أيْ: يصيبن.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾: منهم خاصَّة، فربما هناك منهم من يؤمن بالله وحده.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة، شديد الإيلام، وعذاب: نكرة؛ ليدل على شدَّته ونوعه.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام توبيخي، وفيه معنى الأمر، والفاء: للتوكيد. لا: النافية.

﴿يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾: التوبة تعني: الإقلاع عن تلك العقائد الباطلة، وعدم العودة إلى أقوالهم الباطلة، والندم عليها.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: أيْ: يستغفرون الله؛ مما نسبوه إليه من كونه ثالث ثلاثة، أو أن المسيح هو الله، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أو ابن الله سبحانه.

والاستغفار: أيْ: يطلبون من الله أن يمحو عنهم ذنوبهم وسيئاتهم ولا يعاقبهم عليها، ويرجعون إليه، ولا يعودون لما قالوا، وقدم التوبة على الاستغفار؛ لأنه لا بدَّ من التوبة أولاً ثم الاستغفار.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة غفور للمذنبين التائبين، يغفر الذنوب جميعاً؛ إلّا الشرك.

﴿رَحِيمٌ﴾: بعباده المؤمنين الموحدين في الدنيا والآخرة، رحيم: صيغة تدل على ثبوت صفة الرحمة لذاته. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿مَّا﴾: النافية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر على كونه رسولاً فقط.

﴿قَدْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: أيْ: مضت.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: مريم عليها السلام؛ أيْ: ليست إلهاً، صدِّيقة: صفة مبالغة في الصدق، و﴿صِدِّيقَةٌ﴾: مؤمنة بالله، ومصدقة بالأنبياء؛ أعطيت درجة الصدِّيقين.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾: عيسىٰ وأمه عليهما السلام؛ كسائر البشر؛ لأنهما كانا يأكلان الطعام؛ للحفاظ علىٰ حياتهما، ومن يأكل، ويشرب ليس بإله، أو لا يمكن أن يكون إلهاً؛ فهذا نفي مطلق؛ لكونه وأمه عليهما السلام إلهين.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: التبين: التوضيح؛ أي: الآيات: الحقائق، والدلائل، والعلامات علىٰ وحدانية الله تعالىٰ.

ثم انظر ﴿كَيْفَ﴾: أنَّىٰ، ومن أين، وللاستفهام والتعجب.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: من الإفك: وهو الصرف والتحويل باستخدام وسيلة الكذب؛ أي: يصرفون الناس عن الحق إلىٰ الباطل، ويعدلون.

والإفك: وهو الكذب المفترىٰ علىٰ الله، والمتعمَّد بأن الله هو المسيح، أو ثالث ثلاثة، أو ابن الله سبحانه وتعالىٰ عما يشركون.

[٧٦] ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، قل لأهل الكتاب، أو المشركين، وعبدة الأوثان، أو غيرهم.

﴿أَتَعْبُدُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والنون: للتوكيد.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله؛ أمثال عيسىٰ، وأمه، والملائكة.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾: ما: تشمل العاقل، وغير العاقل، وقد تعني: اسماً موصولاً؛ أي: الذي لا يملك، أو ما النافية، أو تعني: الكلّ.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: الضَّر: البلاء، والضُّر: ما يصيب الفرد من المرض، والفقر، والعاهات في بدنه؛ ما لا يقدر على دفع الضرّ عنكم: من مرض، وقحط، وزلازل، وأوبئة، ولا يقدر على جلب النفع لكم: من رزق، وصحة؛ أيْ: ما لا يضر، وما لا ينفع.

وقدَّم الضر على النفع لأن دفع الضر أهم من جلب النفع؛ لأن عبادة الأصنام، أو عبادة عيسى، أو الشرك والكفر كلها ضر، وليس فيها نفع، ولأن النفوس أشد حرصاً على دفع الضر أولاً قبل أن تتطلع إلى جلب النفع، والآيات في سياق الكفر والشرك بالله.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: للاختصاص، لكم أنتم خاصَّة.

﴿وَاللَّهُ هُوَ﴾: هو تفيد الحصر والتوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم في السرِّ، والعلن.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بأحوالكم، وبما تعبدون، وتشركون، وبما تعتقدون، ويعلم كل معلوم، والعليم: صيغة مبالغة من علم، والعليم: كثير العلم، والعليم بنواياكم، وعالم الغيب والشهادة وحده، وعلام الغيوب، لا يشاركه أحد في ذلك.

❖ ❖ ❖

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

الجزء ٧ الحزب ١٣

سورة المائدة [الآيات ٧٧ - ٨٢]

[٧٧] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ؛ لهؤلاء أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ.

﴿لَا﴾ الناهية.

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾: الغلو: هو الإفراط، وتجاوز الحد، وهو نقيض التقصير، والغلو هنا يعني: نسب الألوهية إلىٰ عيسىٰ ، أو القول هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾: وتجعلوا عيسىٰ إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: غير: تفيد المغايرة، ذاتاً، أو صفةً، والحقّ: هو الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، أو يتبدل، أو يتعارض.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، وتكرار لا: تفيد التوكيد، وفصل كلًّا من الغلو واتباع الأهواء علىٰ حدة، أو كليهما معاً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟﴾: أهواء جمع هوىٰ، وهو ما تميل إليه النفس بعيداً عن الحق، ومن دون أيِّ دليلٍ، أو برهانٍ؛ أيْ: آراء قوم، مبعثها الأهواء والشهوة، ومن دون دليل وبرهان. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

آراء قوم: هم رؤوس اليهود والنصارىٰ (رؤوس الضلال)، أو أئمة النصارىٰ، مثل: الأحبار، والرهبان، والقسّيسين.

﴿قَدْ ضَلُّوا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أيْ: هم أنفسهم قد ضلّوا منذ القديم.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: وأضلّوا كثيراً من الخلق عن عبادة الله وحده، وعن طريق الحق.

﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: هم وأتباعهم ضلوا عن سواء السبيل: دِين الله، منهج الله، بالشرك، والسواء: هو الوسط.

والسبيل: هو الطريق الموصل إلى الغاية بأقصر زمن، أو مسافة، وبسهولة.

وأما الصراط: فهو أوسع وأسهل من السبيل، والموصل إلى الغاية بأقصر زمن ومسافة وبسهولة، وإذا وصف بالصراط المستقيم: فهو دِين الله؛ أي: الإسلام. الدِّين القيم، ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٧١) في سورة النساء، والاختلاف بين الآيتين؛ ارجع إلى سورة النساء الآية (١٧١).

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾:

﴿لُعِنَ﴾: اللعن: الطرد من الرحمة، رحمة الله، والإبعاد عن الخير، في الدنيا والآخرة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: الذين كفروا من بني يعقوب وذريته.

﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: كانوا يسمّون بني إسرائيل في زمن يعقوب ، وكذلك في زمن موسى ، فلما تغيروا وعصوا؛ دعاهم اليهود، وكلمة بني إسرائيل أفضل من كلمة اليهود تعريفاً ومعنىً.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أيْ: لعن داود الذين اعتدوا يوم

السبت من أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر، وعصوا الله؛ أيْ: دعا عليهم بالعذاب، والطرد من رحمة الله، وكذلك لعن عيسىٰ الذين كفروا وعصوا من بني إسرائيل، ومن خالف من أصحاب المائدة.

وقيل: لعنوا في التوراة، والإنجيل، والزبور.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويعني: اللعن، والطرد من رحمة الله تعالىٰ.

﴿بِمَا عَصَواْ﴾: الباء: باء السببية، أو البدلية، عصوا: أوامر الله ورسله، ولم يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، وبسبب بغيهم، وظلمهم، وفسادهم في الأرض.

﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: يعتدون بصيغة المضارع التي تدل علىٰ تجدد والتكرر الاعتداء منهم وأنه مستمر.

[٧٩] ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا: الناهية.

﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾: ينهىٰ بعضهم بعضاً عن ارتكاب المنكر، والفواحش.

﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: جاء بالمنكر؛ كنكرة؛ ليدلّ علىٰ الإطلاق، قولاً، أو فعلاً، مثل: صيد البحر يوم السبت، أو أخذ الرشوة، والربا، أو يشمل كل ذلك، وغيره من أنواع المنكر. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٠٤)؛ للبيان.

﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: للتوكيد، بئس: فعل من أفعال الذم.

﴿مَا﴾: بمعنىٰ الذي، أو مصدرية.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: ما يفعلون من المنكر، ويقومون به.

[٨٠] ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾:

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: من اليهود، كثيراً منهم؛ أي: الغالبية، يتولون الذين كفروا، ونفىٰ عن القليل منهم ولاية الذين كفروا.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: من الولاية؛ أيْ: تقديم النصرة، والمعونة، والمحبة، بانضمامهم إلىٰ معسكر الكفر، أو تحالفوا معهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أيْ: مشركو قريش والمنافقون، ضد رسول الله ﷺ، والمسلمين؛ لأن رسول الله ﷺ قد حدَّ من سلطتهم، وجاههم، وفضح مكرهم، وخداعهم.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: بصيغ المضارع؛ ليدلَّ علىٰ تجدد هذه الولاية للكفار، وتكرّرها، واستمرارها، وكذلك يعلمون أن موالاة الكفار محرم عليهم في دِينهم، ومع ذلك يعصون ما أمرهم الله به.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لبئس: اللام: للتوكيد، بئس: من أفعال الذم، والتحقير.

﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أيْ: زينت لهم أنفسهم، أو حملتهم أنفسهم، أو لبئس ما قدَّموا لأنفسهم في الآخرة.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ للتعليل والتوكيد.

﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: السخط: هو شدة الكراهية وعدم الرضا، والسخط

يـؤدي إلىٰ غضب الله عليهم، وعقابه، وعدم رضاه، والسـخط: خلاف الرضا، والسخط: الغضب المؤدِّي للعقاب.

﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾: من الخلود؛ أي: الإقامة الأبدية في النار، من نقطة بداية تبدأ بعد حسابهم ودخولهم فيها.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿كَانُوا۟﴾: هؤلاء الذين كفروا من اليهود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾: محمد ﷺ، وما أُنزل إليه: ما: اسـم موصول بمعنىٰ الذي أُنزل إليه: أي القرآن.

﴿مَا﴾: حرف نفي.

﴿ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: جمع ولـي، والاتخاذ: فيه معنىٰ الشـدة، والقوة. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٣٩).

أيْ: حلفاء، وأنصـار، وتعاونوا معهم؛ أيْ: ما تعاون أهل الكتاب مع كفار قريش. ارجع إلىٰ الآية (٥١) من نفس السورة؛ لبيان معنىٰ الولاية.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: للاستدراك.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: تعود علىٰ أهل الكتاب.

﴿فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة اللـه، متمردون في كفرهم، ونفاقهم، وعاصون لما أمرهم الله، وبنقض مواثيقهم، وعدم الوفاء بها، وأمَّا الأقلية؛ فنفىٰ عنهم الولاية والفسق.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿لَتَجِدَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾: أشدَّ على وزن أفعل؛ للمبالغة في العداوة، فعداوة اليهود للذين آمنوا أشد العداوات وأظهرها.

﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿الْيَهُودَ﴾ قيل: هم الذين جاؤوا من بعد بني إسرائيل، ومن دخل في اليهودية، وقدَّم اليهود على المشركين؛ لأنهم أشد عداوة منهم للمؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: ولم يقل: المشركين؛ لأن المشركين؛ تعني: الشرك عندهم أصبح سمة وصفة ثابتة، أما ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أيْ: من قد يؤمن منهم، ويرجع عن عداوته، وشركه.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾:

﴿وَلَتَجِدَنَّ﴾: مثل الأولى.

﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾: هي المحبة التي تتجلَّى آثارها بالمودة، فالمحبة تسبق المودة، فهي سبب المودة، فكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة، فالمودة= محبة+ إخلاص، ووفاء وغيرها.

﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾: مثل السابقة.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾: قيل: هم النجاشي، وأصحابه، أو غيرهم من النصارى، حينما هاجر إليهم المؤمنون، الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أيْ: قرب مودتهم من المؤمنين، إشارة إلى أقربهم مودة.

﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية.

﴿قِسِّيسِينَ﴾: علماء النصارىٰ.

﴿وَرُهْبَانًا﴾: العُباد من النصارىٰ.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا﴾: أن: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: أيْ: فيهم تواضع، ولا يتكبرون عن الحق.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: الألف والسين والتاء: للطلب، ولم يقل: يتكبرون، فهناك فرق بين المتكبر والمستكبر، المتكبِّر: قد يتكبر لامتلاكه بعض مؤهلات التكبر، مثل الغنىٰ، أو الجاه، أو السلطة، أمّا المستكبر: فهو لا يملك مؤهلات التكبُّر؛ لكنه يطلب الكبر، وهو ليس كُفؤاً له، ومعظم آيات القرآن جاءت في سياق المستكبرين، أو الذين استكبروا في الدنيا.

والمستكبر: هو أسوأ من المتكبر، في ميزان التقوىٰ والإيمان، وكلاهما ممّن يكرههم الله .

أما أسباب هذه المودة؛ فقد بينتها الآيات (٨٢، ٨٣، ٨٤):

١ - عدم التكبر (وأنهم لا يستكبرون).

٢ - وإذا سمعوا ما أنزل علىٰ الرسول ﷺ؛ ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع.

٣ - مما عرفوا من الحق؛ أي: القرآن من عند الله.

٤ - وما لنا لا نؤمن بالله؛ أيْ: أقروا بالإيمان بالله تعالىٰ.

٥ - واكتبنا من الشاهدين، وأشهدوا علىٰ إيمانهم.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

سورة المائدة [الآيات ٨٣ - ٨٩]

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني، متضمن معنىٰ الشرط.

﴿سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ﴾: إلىٰ الرسول ﷺ من الآيات والقرآن.

﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: أدَّىٰ التأثير الشديد لسماعهم لآيات الله إلىٰ الخشية والوجل الذي يؤدي إلىٰ تحريض منطقة في الدفاع تسمَّىٰ منطقة تحت السرير البصري، ثم هذه بدورها مرتبطة بالغدة الدمعية بالأعصاب، ما يؤدِّي إلىٰ إفراز الدمع؛ دلالة علىٰ الخشية، والوجل، والخشوع، والإخلاص.

﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: تفيض: أيْ: تمتلئ بالدمع، ثم تسيل بالدمع، من: لابتداء الغاية.

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: من: للتبعيض؛ أيْ: بعضاً من الحق؛ لأنّه لم يسمعوا القرآن كلّه.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ التي تدل علىٰ التجدد والاستمرار، ولم يقل: قالوا؛ لأنهم استمروا في إيمانهم.

﴿رَبَّنَآ﴾: ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنهم يشعرون: أن الله قريب؛ فهو مطلع عليهم، فلم يستعملوا ياء النداء؛ التي تدل علىٰ البعد.

﴿ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا﴾: آمنا: صدقنا بما أنزلت، الفاء: عاطفة رابطة؛ أي: السبب بالمسبب.

﴿فَٱكْتُبْنَا﴾: اجعلنا: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: لم يقولوا: من الشاهدين؛ لأن من: تعني: الأنبياء والرسل، وهم ليسوا من الأنبياء والرسل.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: جمع شاهد؛ أي: الذين يشهدون بألوهيتك، وبربوبيَّتك، ووحدانيَّتك، وبنبوَّة رسولك.

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَمَا لَنَا﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَمَا﴾: للاستفهام، والتعظيم، ورداً على لوم قومهم لهم بالإيمان؛ كما قال ابن عباس .

﴿لَا﴾: نافية.

﴿نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، إيمان العقيدة، والإيمان بالله؛ يقتضي الإيمان بالملائكة، وكتبه، والرسل، واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَمَا﴾: بمعنى: الذي.

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: من: استغراقية، الحق: الآيات، أو القرآن، أو الوحي.

﴿وَنَطْمَعُ﴾: الطمع: الرغبة في توقع الخير في المستقبل، مع عدم تقديم الأسباب الكافية.

﴿أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا﴾: أي: الجنة، أن: حرف مصدري؛ يفيد الاستقبال؛ أيْ: أن يدخلنا ربنا الجنة في المستقبل.

﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جمع صالح؛ أيْ: من صلح إيمانه، وصلح عمله، (قوله وفعله)، واستقام حاله، والصلاح تعريفه بشكل عام: كل ما يتمكن به من الخير، أو يتخلص به من الشر، وهو ما يفعله العبد لنفسه. ارجع إلىٰ الآية (١٣٠) في سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ الصالحين.

[٨٥] ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾: الفاء: للتأكيد، أثابهم: مشتقة من ثوب، وثياب؛ إذ كان الناس قديماً يأخذون أصواف أغنامهم؛ ليصنعوا منها ملابسهم، فبعد جزّها يعطونها الغازل؛ لكي تُغزل، فيصنع لهم ثياباً، فهم يرسلونه صوفاً، ثم يتسلمونه ثوباً.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾: معناها: أعطاهم جزاء طاعتهم، وجزاء ما قالوا.

﴿بِمَا قَالُواْ﴾: الباء: سببية، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي؛ أي: الذي قالوا؛ أيْ: بسبب الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود، والاستمرار، والبقاء إلىٰ الأزل من نقطة البدء، يبدأ لحظة دخولهم الجنة.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يشير إلىٰ الثواب العظيم.

﴿جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: هؤلاء الذين آمنوا بالله وبالقرآن، أمثال: النجاشي، وأصحابه، وغيرهم، وقد وصلوا إلىٰ درجة الإحسان، وأصبح الإحسان صفة

ثابتة لهم، ولذلك سمّاهم ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أيْ: أحسنوا إحسان الكم، وإحسان الكيف. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٢)؛ لمزيد من البيان.

[٨٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾: أيْ: جحدوا، وأنكروا، ولم يؤمنوا بوجود الخالق، وصفاته ووحدانيته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: القرآنية منها، والكونية، والمعجزات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يدلُّ علىٰ البعد، وسوء منزلتهم.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: جمع صاحب، والصاحب: هو الذي يألف صاحبه، ويلازمه، ملازمة دائمة، وفيه دلالة علىٰ عشق النار لهم، وأنها لا تفارقهم أبداً، وهم لا يفارقونها.

و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: مأخوذة من الجحوم، يقال: جحمت النار: اضطربت، وتأججت، فلا تخمد.

[٨٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾:

أخرج البخاري رحمه الله في «صحيحه»: حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛ قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا؛ فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء؛ فلا أتزوج

أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله! إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فنزلت هذه الآية؛ لتبين لهم الصواب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء إلىٰ الذين هم علىٰ درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: الطيبات: جمع طيب، والطيب الطاهر اللذيذ الطعم المستساغ للنفس هو والحلال ما أحله الشرع وأباحه، وتشمل: الأطعمة، والأشربة، والنساء، أمّا التحريم والتحليل؛ فإنما موكول إلىٰ الخالق، وليس لكم أن تحرموا، أو تحلِّلوا، كما تريدون. ارجع إلىٰ الآية التالية (٨٨) في نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: لا: الناهية.

وتكرار (لا): لتوكيد النفي؛ أيْ: لا تتعدوا حدود الله فيما أحلَّه الله لكم إلىٰ ما حرَّمه، ولا تسرفوا في تناول الطيبات.

والاعتداء: هو تجاوز الحد، فيما حرَّم الله، أو فيما حلَّله، مثل: أكل لحم الميتة، أو الخنزير من دون اضطرار وشدة، أو تحرموا الزواج، أو تصوموا صيام الوصال؛ أيْ: كل يوم من أيام السنة، أو تحرِّموا أكل اللحوم؛ للزهد.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ لَا﴾: النافية.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين لحدود الله، الذين يحرِّمون ما أحلَّ الله تعالىٰ؛ كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، أو يحلون ما حرَّم الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ الآية (١١٣) من نفس السورة.

[٨٨] ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾:

﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا ﴾: أيْ: من ما؛ أيْ: من بعض ما رزقكم الله؛ لأننا غير قادرين أن نأكل كلّ ما رزقنا الله ، والرزق: هو كل ما انتفع به؛ من مأكل، ومشرب، وملبس، وعلم، وأولاد، وأخلاق، فما يتغذىٰ به الإنسان يجوز أن يكون حلالاً أو حراماً.

وليس كل ما يتغذَّىٰ به الإنسان يُعد رزقاً؛ فالذي يتغذَّىٰ بما جاء به عن طريق السرقة، والظلم، والرشوة، والبغي: لا يعد رزقاً.

الحلال: ما نص الشارع علىٰ حِلِّه، وكذلك ما لم ينصَّ الشارع علىٰ تحريمه في حكم عام، أو خاص يعتبر مباحاً، ويحلُّ أكله.

الطيب: الطاهر غير النجس.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: أطيعوا ما يأمركم الله به، واجتنبوا ما ينهاكم عنه، فهذا يقيكم من عقابه وعذابه.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾: إيماناً ثابتاً، لا يتغير، ودائم، ومستمر.

﴿ بِهِۦ ﴾: جار ومجرور، فيه تقديم؛ أيْ: لم يقل: الذي أنتم مؤمنون به، وذلك للحصر؛ أيْ: فقط به وحده مؤمنون.

ولو أخّر به، فقال: الذي أنتم مؤمنون به؛ لكان يعني: تؤمنون بغيره، وهذا غير مباح.

[٨٩] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

نزلت في الصحابة الذين أقسموا بأن:

١ - أحدهم: سيصوم الدهر كلَّه، ولا يفطر.

٢ - وأحدهم: أنه لن يتزوج.

٣ - وآخر: سيصلي الليل والنهار.

وبعد أن نزلت آيــة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾.

ســأل الصحابة رضي الله عنهم رســول الله ﷺ: ماذا نصنع بأيماننا التي حلفنا؛ فنزلت هذه الآية.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾: لا يعاقبكم، وليس عليكم إثم، أو ذنب في اللغو في أيمانكم.

﴿بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: اللغو: ما يجري على اللســان، بلا قصد، أو عزيمة؛ فهو مجرَّد قول، من دون تفكير، أو وعي؛ أيْ: أن تمر الكلمة على اللسان دون أن تمر على القلب، وعدم المؤاخذة يكون على هذا النوع من الأيمان.

اللغو: ما لا يُعتدّ به مــن كلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة، ولا نفع، كأن تقول: لا والله، والله أن تأتي للغداء معنا؛ هذا هو اللغو بعينه.

كلام دون أن يكــون للقلب فيه تصميم، أو نيــة؛ أيْ: كلمات تجري على ألســنتنا، لا نعنيها، مثال: حينما تدعو الأم على ابنها بالمــوت، أو الألم، لكنها مستعدة أن تفديه بنفسها إذا احتاج الأمر.

﴿عَقَّدتُّمُ﴾: هــي دليل على أنها عمليــة جزم قلبية؛ أيْ: إن القســم انعقد باللسان والقلب.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف اســتدراك وتوكيد؛ أيْ: إثبات ما يتوهم نفيه، أو نفي ما يتوهم ثبوته.

﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾: عليكم كفارة، بما: الباء: للإلصاق.

﴿عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾: أي: الأيمان التي أكدتموها، باليمين أو الحلف، وبالعزم أو الترك؛ فهذه الأيمان كلها لها كفارة، حددت بثلاثة أنواع، إذا حنثتم باليمين، أما إذا لم تحنثوا؛ فليس عليكم كفارة.

١ - إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم على المسلم أن يقدر ذلك حسب البلد، وحسب الزمان، وأوسط من حيث الجودة أو الثمن، والكفارة: مشتقة من الكفر، والكفر: هو الستر والتغطية، ثم استعملت في الشرع؛ لما يزيل، أو يمحو الذنب المنعقد بيمين.

٢ - أو كسوتهم: كسوة عشرة مساكين.

٣ - أو تحرير رقبة: عتق رقبة، واختلف الفقهاء في كونها رقبة مسلمة، أو غير مسلمة.

٤ - فمن لم يجد؛ فصيام ثلاثة أيام، سواء صام الثلاثة أيام بشكل متتابع، أم بشكل متفرق.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلى الكفارة عن اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، أو صيام ثلاثة أيام: إن حنث في القسم، ولو تأملت سترى أن تحرير رقبة قد جاءت في الوسط، فالحق لم يرتب لنا الكفارة، وإنما علينا نحن أن نختار الكفارة الملائمة في هذه الآية.

وانتبه! إلى مجيء (أو) هنا التي تعني: التخيير، وليس الترتيب في الكفارة، وعلى المفتي أن يختار الكفارة التي تناسب الشخص الذي حنث في يمينه، فإن كان غنياً يختار له الصيام، ولا يختار له المال، أو الطعام، أو الكسوة؛ لأن ذلك كله لا قيمة عنده، وإن كان فقيراً يختار له الصيام فوق الأخرى.

ويأتي الحق سبحانه ليقول بعد ذلك: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾: أيْ: علينا ألَّا نحلف هذه الأيمان الجارية على ألسنتنا، ونحذر ثانياً من الحنث في الأيمان.

[٨٩] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما بيّن لكم ما ذكر في مسألة اليمين، واللغو، والكفارة.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح، ويفصل، ويصرف، التبين قد يكون عن طريق التفصيل والتصريف.

﴿لَكُمۡ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكم خاصَّة.

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: آيات الأحكام، والفرائض، والأوامر، والنواهي، وغيرها، وقال: آياته، ولم يقل: الآيات: نسب الآيات إليه تشريفاً؛ فهي آيات مهمة وخاصَّة.

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: آيات القرآن.

﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: لعل: أداة رجاء، تستعمل للأمور الميسور تحققها.

﴿تَشۡكُرُونَ﴾: الشكر: هو الثناء على المنعم، وهو الله ، بالنِّعمة؛ لأن هذه التشريعات تستحق منا الشكر؛ إذ جعلت اللغو غير مؤاخذ عليه، كما جعلت اليمين الذي نعقده له كفارة، وفي كل الأمور تيسير، فالحق سبحانه يستحق الشكر الدائم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان عن الشكر.

❖❖❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٩٠ - ٩٥]

[٩٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا؛ بتكليف جديد، أو حكم، واستعمل فيها ياء النداء، والهاء: للتنبيه.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿ٱلْخَمْرُ﴾: اسم لكل ما خامر العقل؛ أيْ: خالطه، أو غطاه، أو ستره.

﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾: القمار، مشتقة من اليسر: وهو كسب المال بلا جهد.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: قيل: هي النصب: حجارة كانت حول الكعبة في الزمن القديم، كانوا يذبحون عليها؛ تقرباً للآلهة، وقيل: هي الأصنام، والتماثيل.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: أقداح كان يكتب عليها: أمرني ربي، أو نهاني ربي، أو افعل، أو لا تفعل، وهي سبعة أقداح، أو أكثر.

﴿رِجْسٌ﴾: عمل قذر، قبيح، خبيث، مستقذر، حساً، أو معنىً؛ لأن النفس الحكيمة، والعقل الحكيم يعافه (يستقبحه).

منها ما هو مستقذر حساً: مثل الخمر، والميتة، والدم المسفوح.

ومنها ما هو مستقذر معنىً: الأزلام، الأنصاب، الميسر، وتسمَّى الأوثان.

بينما الرجز: هو العذاب، والرجس: يطلق على الأصنام، والأوثان، والآثام،

والمعاصي، والرجس: أعم من الرجز؛ فهي تشـــمل الشيء أو القبيح والمستقذر وأيضاً العذاب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان.

﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: من تزيين الشـــيطان، ووساوسه، وإضلاله. وكما قال تعالىٰ في سورة النساء، آية (١١٩-١٢٠): ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: كونه رجســاً من عمل الشيطان؛ فلذلك يقتضي اجتنابه؛ أي: ابتعدوا عنه، ولا تقربوه.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: من الاجتناب: وهو أن يعطي الإنسان الشيء المتجنب جانبه، ويعني: عدم الاقتراب منه، فلا يكفي عدم القيام به، بل عدم الاقتراب منه، وقالوا: الاجتناب: أقوىٰ من التحريم، والهاء: في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: تعود علىٰ عمل الشيطان والرجس.

والرجس: يعني: الأربعة المذكورة، وهي: الخمر، والميســـر، والأنصاب، والأزلام، ولم يترك هذا الأمر؛ للاستحسان العقلي، والاستنباط؛ لكي يُفتي فيه، بل صرّح به، فقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعلَّ هنا: للتعليل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: أيْ: تفوزون فـــي الآخرة بالجنة، ورضا الله. ولبيان مزيد من معنىٰ (تفلحون)؛ ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة، تفيد التوكيد.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: الخطاب موجَّه إلىٰ الذين آمنوا.

وهل الشيطان قادر علىٰ إنفاذ ما يريد؟

الجواب: نعم إذا أطاعه الإنسان، واتبع خطواته، وأمرته نفسه الأمارة بالسوء، وضعف إيمانه، ولا يستطيع الشيطان أن يقهر أو يكره إنساناً علىٰ فعل شيء، ولكنه يُزين له الفعل، ويوسوس له، وليس له سلطة، أو قدرة علىٰ الإكراه، أو الإقناع: ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

فحين يُزين للإنسان شرب الخمر، ولعب الميسر: هذا بدوره يؤدِّي إلىٰ العداوة والبغضاء.

﴿ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ﴾: البغضاء: شدة الكراهية وعدم الرضا؛ ارجع إلىٰ الآية (٦٤) من نفس السورة؛ للبيان.

والعداوة: تؤدِّي إلىٰ البغضاء، أو بالعكس، وكثيراً ما نرىٰ حوادث القتل والإجرام تحدث في أماكن شرب الخمر والقمار.

﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: ولم يذكر الأنصاب والأزلام، واكتفىٰ بالخمر والميسر، ونسب وقوع العداوة والبغضاء إلىٰ الشيطان؛ لأنه هو المُزين لهما، والموسوس بفعلها.

﴿فِى﴾: هنا تفيد السببية؛ أيْ: بسبب الخمر، والميسر، أو ظرفية؛ تعني: في فعلها العداوة والبغضاء.

﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: أيْ: يصرفكم عن ذكر الله، وعن الصلاة.

ونلاحظ تكرار (عن)؛ لأن الشيطان قد يصدّ عن ذكر الله وحده، أو عن الصلاة وحدها، أو كليهما معاً، فكلٌّ من الذكر والصلاة منفرد بذاته.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، هل: للاستفهام بمعنىٰ: الأمر، والنهي؛ أي: انتهوا.

وكان تحريم الخمر تدريجياً علىٰ أربع مراحل:

المرحلة الأولىٰ: قيل: إن أول آية جاءت في سياق التحريم هي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧].

المرحلة الثانية: ثم نزلت الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]. بعد أن سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الخمر والميسر.

المرحلة الثالثة: ثم نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣].

المرحلة الرابعة: ثم نزلت الآية الأخيرة، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة:٩٠].

بالتحريم المطلق في الدنيا.

وهكذا كان تدرّج الأحكام، خطوةً خطوةً، حتىٰ تألف النفوس، وتتربّىٰ علىٰ التقوىٰ، وتبتعد عن الإثم، والمعصية بحكمة، وتفكير، فلا تعود إليها بعد تركها.

وهذه المراحل تتناسب، أو تطابق ترتيب نزول السور، فسورة النحل ترتيب

نزولها (٧٠)، أما سورة البقرة فترتيب نزولها (٨٧)، وأما سورة النساء فترتيب نزولها (٩٢)، وأما سورة المائدة فترتيب نزولها (١١٢).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: وفي الآية (٣٢) من سورة آل عمران قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾، ولمعرفة الفرق بين هاتين الآيتين: ارجع إلى الآية (٥٩) من سورة النساء.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: فيما أمركم به، أو نهاكم عنه، وأطيعوا الرسول فيما فصل لكم من الأحكام، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق.

فالله أمر بالصلاة بشكل مجمل، ولم يفصل كيفية الصلاة، وعدد الركعات، وماذا نقول في كل ركعة، فجاء الرسول ﷺ؛ ليفصل لنا ما أمرنا الله به، فهنا علينا أن نطيع الله ونطيع رسوله.

﴿وَٱحۡذَرُواْ﴾: من الحذر: وهو توقي الضرر سواء أكان ظناً أم يقيناً، هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها واحذروا، جاء التحذير هنا؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق ذكر الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، وكلها رجس من عمل الشيطان، فناسب ذلك ذكر التحذير من الوقوع فيها.

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد، إن: الشرطية؛ تفيد أو تحمل معنى الاحتمال، والقلّة.

﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: التولي: وهو أشد الأغراض؛ أي: الابتعاد؛ أي: أعرضتم، ورفضتم الإذعان لما أمركم الله به؛ من الاجتناب، والطاعة.

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾: جواب الشرط لجملة ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾.

فاعلموا أنكم لن تضروا الله تعالىٰ، ولا رسوله ﷺ شيئاً؛ لأن وظيفة رسول الله ﷺ: هي التبليغ فقط.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾: علىٰ: تفيد العلو، والمشقة علىٰ رسولنا محمد ﷺ، وتقديم علىٰ: تفيد الحصر.

﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾: الإيصال، إيصال ما أنزل الله تعالىٰ من الآيات، والأحكام، وأيضاً تبيان ما نُزل إليكم.

و﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: تعني: إيصال البلاغ، أو تبليغ كل فرد بصورة مباشرة، أو غير مباشرة المنهج بشكل كامل دون أي نقص.

[٩٣] ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

سبب النزول: بعد نزول الآية السابقة؛ بتحريم الخمر والميسر، سأل أناس رسول الله ﷺ عن مصير إخوانهم الذين أسلموا، وكانوا يشربون الخمر، ويتعاطون الميسر، وماتوا، أو قتلوا في سبيل الله قبل نزول هذه الآية؛ فجاء الرد الإلهي علىٰ سؤالهم.

﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ﴾: أيْ: إثم، أو ذنب، أو جرم.

﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾: طعموا هنا: تشمل الطعام، والشراب (أي: الخمر).

واستعمل ﴿لَيْسَ﴾: للنفي بدلاً من (لا)؛ فقال: ليس عليهم جناح، بدلاً من: لا جناح عليهم؛ لأن لا جناح عليهم: لا: نافية للجنس أقوىٰ توكيداً في النفي من ليس؛ لأن (لا جناح عليهم) جملة اسمية، بينما ليس عليهم جناح جملة فعلية، والجملة الاسمية أقوىٰ من الفعلية، ولذلك نجد القرآن يستعمل (لا جناح عليهم) في العبادات، والأمور الأسرية، والحقوق الزوجية؛ أي: الأمور الأكثر أهمية، ويستعمل (ليس عليهم جناح) في أمور الطعام، والشراب، ودخول البيوت، واللباس؛ أي: الأمور الأقل أهمية من السابقة.

ثم صنَّف ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلىٰ ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وشربوا الخمر، وتعاطوا الميسر، وماتوا أو قتلوا قبل نزول هذه الآية: ليس عليهم جناح (إثم) علىٰ شرط أنهم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أيْ: ماتوا، أو قتلوا؛ وهم في حالة التقوىٰ، والإيمان، والأعمال الصالحة.

الصنف الثاني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وشربوا الخمر، أو تعاطوا الميسر، ولا زالوا أحياء؛ ليس عليهم إثم أو حرج قبل نزول هذه الآية علىٰ شرط أن يتجنبوا شربها بعد نزول الآية، وأن لا يتعاطوا الميسر، ويستمروا علىٰ إيمانهم وتقواهم.

الصنف الثالث: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ولم يشربوا الخمر، أو يتعاطوا الميسر قبل نزول هذه الآية، أو بعد نزولها؛ أيْ: هؤلاء الذين ﴿ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾: أيْ: استمروا في تقواهم، وإحسانهم؛ فهؤلاء لهم أعظم الدرجات.

وانتبـه! إلىٰ مجيء ﴿ثُمَّ﴾، وتكرارها مرتين: لا تفيد الترتيب والتراخي في الزمن، وإنمـا تفيد في تباين الدرجات بين هـؤلاء الأصناف، فالصنف الثالث: أعظـم درجة، وأفضل من الصنف الثاني، والصنف الثاني: أعظم درجة، وأفضل من الصنف الأول.

لننظر مرة أخـرىٰ إلىٰ الآيـة: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾:

هنا ثلاث تقوات، وآمنوا مرتين، وعملوا الصالحات مرة، وأحسـنوا مرة، فما تفسير كل ذلك؟

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾: إذا: شـرطية، ما: للتوكيـد زائدة، اتقوا: شـرب الخمر، والمعاصي، والشرك، اتقوا: أيْ: أطاعوا أوامر الله سبحانه، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَّءَامَنُواْ﴾: بالله، ورسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أقاموا الفرائض، والنوافل، وذكر الله.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: اتقوا شـرب الخمر، بعـد تحريمها، وآمنوا بالله، ورسـله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر.

ثم اتقوا: اسـتقاموا علىٰ تقواهم بامتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه بما فيها شرب الخمر، والميسر.

﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾: وأحسنوا العمل الصالح، (كمّاً وكيفاً)، وأحسنوا الإيمان بعد ترك شرب الخمر، والتقوىٰ.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جمع محسن، وهو من أحسن في إيمانه، وتقواه، وعبادته، كمًّاً وكيفاً؛ فهؤلاء مع الذين يحبهم الله تعالىٰ.

فالتقوىٰ الأولىٰ: في الآية تعني: امتثال ما أمر الله به، ونهىٰ عنه.

والتقوىٰ الثانية: تعني: عدم شرب الخمر، والميسر، والأزلام.

التقوىٰ الثالثة: الاستقامة علىٰ طاعة الله، وامتثال أوامر الله.

[٩٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المحرمات الدائمة في كل زمان ومكان في مطلع السورة؛ كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وذكر الخمر وغيره من المحرمات في الآية (٩٠).

يذكر في هذه الآية محرمات من نوع خاص؛ أيْ: في أزمنة خاصَّة، وأمكنة خاصَّة؛ مثل: الصيد المحرم فقط، في زمن الإحرام، وفي مكان خاص، هو الحرم وقت الحج، علىٰ نحو ما، ابتلىٰ الله به بني إسرائيل في تحريم الصيد عليهم يوم السبت. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، الآيتان (١٦٣-١٦٤).

ابتلىٰ اللهُ المؤمنين في زمن الإحرام، وداخل الحرم بعدم الصيد، فينادي

الله تعالىٰ الذين آمنـوا بأمر جديد، فيقول تعالىٰ: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في (يبلونكم): لزيادة التوكيد.

وقيل: حدث هـذا الابتلاء في عام الحديبية، عندما كان رسـول الله ﷺ وصحابتـه في طريقهم إلىٰ العمـرة، فكان الطير والصيـد تأتيهم من كل مكان، ونزلـت هذه الآية؛ تنهاهم عن الصيد، وهم في حالة الإحرام للعمرة، فكان ذلك ابتلاءً وامتحاناً؛ لمعرفة صدق إيمانهم، وطاعتهم.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾: الباء: للإلصاق، من: للتبعيض؛ أيْ: بعض الصيد، وهو صيد البر، أما صيد البحر؛ فقد كان حلاً لهم.

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: تلتقطه أيديكم من دون جهد؛ أيْ: سـهلة الصيد، أو باستعمال أدوات الصيد من الجوارح والكلاب؛ التي تستعمل لصيد الغزلان، وغيرها.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: الـلام: لام التعليل، ليـس المقصود هنا ليعلم الله من يخافه بالغيب، كما هو الظاهر في الآية، فالله يعلم ذلك منذ الأزل، يعلم ما سـيحدث لكم؛ من الطاعة، أو المعصية قبل خلقكـم، وليعلم هنا؛ أيْ: لكي يقيم عليكم الحُجَّة؛ أيْ: تعلموا أنفسكم من أطاع ممن عصىٰ، فلا يدعي أحد أنه لو ابتُلي لفعل كذا، وكذا، والابتلاء هنا؛ ليرىٰ هو نفسه نتيجة ابتلائه.

﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: الخوف من الله بالغيب، أشد من الخوف منه بالعلن.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿ٱعْتَدَىٰ﴾: تجاوز حدود الله، واصطاد، وعصىٰ، وأخلَّ بإحرامه.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد هذا الأمر بالنهي.

﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، فله: اللام: لام الاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة.

[٩٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾:

يخاطب الله سبحانه الذين آمنوا بأمر تكليفي جديد، وينبههم باستعمال هاء التنبيه في كلمة يا أيها، فيقول: ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: لا: الناهية؛ أيْ: لا تصطادوا وأنتم حرم؛ أيْ: وأنتم مُحرمون، زمن الإحرام للحج، أو العمرة، أو كليهما معاً، وداخل الحرم؛ أيْ: ممنوع أن يصطاد المحرم شيئاً، منذ بلوغه الميقات.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم﴾: بعد النهي قتله؛ أيْ: أخطأ حين قتله، سواء لم يعلم بالحكم، أو نسي الحكم، أو تعمد الصيد؛ الحكم واحد.

كلمة ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾: اعتبر الخطأ هنا عمداً؛ لأن الحكم واحد (أي: الجزاء واحد)، وذلك لكي ينتبه المسلم، وليكون في منتهى اليقظة الإيمانية والحذر.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: الفاء: جواب للشرط؛ أيْ: عليه جزاء مماثل لما قتل، من النِّعم، والإبل، والبقر، والغنم، والماعز.

﴿مِّثْلُ﴾: تعني: المثلية بالقيمة، والشكل، مثال: قتلَ نعامة؛ عليه بعير.

إذا قتل ضبعاً؛ فعليه كبش، ضباً؛ عليه شاة، غزالاً؛ عليه عنزة، وهكذا.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أي: الذي يحكم، ويقرر ذلك اثنان: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أيْ: رجلان، معروفان بالإيمان والعدل، ممن تثقون بهم.

﴿ذَوَا﴾: ذو؛ بمعنىٰ: صاحب؛ أيْ: يتصفان بالعدل.

﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾: هديـاً ما يهدىٰ من الذبائح ابتغاء وجه الله؛ أيْ: يصل إلىٰ الحرم، ويذبح بالحرم، وخصت الكعبة للتعظيم.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾: هذا هو الخيـار الثاني، للذي اصطاد خطأ، ولا يملك القدرة علىٰ أن يقدم الهدي، فعليه إطعام مسـاكين، يحدِّد عددَهم الاثنان ذوا العدل.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾: وإذا كان المخطـئ لا يسـتطيع الإطعام فعليه أن يصوم أياماً بعدد الفقراء الذين كان يستحقون الطعام.

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: اللام: لام التعليل، أو الاستحقاق؛ أيْ: ليذوق جزاء ذنبه، سوء عاقبة قتله للصيد، والوبال مأخوذة من الثقل، والشدة، والوخامة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أيْ: شديداً.

انتبه! إلىٰ أن الله شبه الإنسـان الذي هتك حرمة الإحرام بالإنسان الذي يذوق طعاماً وخيماً. ارجع إلىٰ سورة الحشر، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: عفا الله بذلك الإطعام، أو الصيام، أو الهدي عن الصيد في حال الإحرام، قبل نزول هذه الآية، وصدور الحكم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى قتل الصيد، وهو محرم، بعد نزول النهي.

﴿وَمَنْ﴾: ابتدائية، استغراقية.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾: والانتقام: أو الثأر، سلب النِّعمة منه أولاً، ثم تعذيبه ثانياً؛ لأن الانتقام نقيض الإنعام، وهناك فرق بين الانتقام والعقاب؛ فالعقاب: هو الجزاء الذي يعقب الجرم.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: والله عزيز، لا يُغلب، ولا يُقهر، ذو انتقام؛ أيْ: قادر على الانتقام، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾.

انتبه! ﴿أَوْ﴾: في هذه الآية؛ تعني: التخيير، وليس الترتيب.

وعلى ذوي العدل تقرير، أو اختيار؛ أي: الكفارات التي تناسب المخطئ، الذي قتل الصيد.

❖ ❖ ❖

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

سورة المائدة [الآيات ٩٦ - ١٠٣]

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾: أبيح لكم.

﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: سواء أكنتم محرمين أم غير محرمين، وصيد البحر يشمل كل الحيوانات البحرية، واللؤلؤة والمرجان.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما يؤكل من صيده، فهناك حيوانات بحرية، لا تؤكل.

﴿مَتَٰعًا﴾: أيْ: ما ينتفع منه، والمتاع. ارجع إلىٰ الآية (١٤) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص، السيارة؛ أي: المسافرون.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾: يعيد تأكيد تحريم صيد البر أثناء الإحرام، بعكس صيد البحر فهو مباح للمقيم والمسافر.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: امتثلوا أوامره، وتجنبوا محارمه، واجعلوا بينكم وبين عذابه حاجزاً وافياً.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم والإجلال.

﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور، وتقديمها؛ ليدل علىٰ الحصر والقصر، أنه إليه فقط

لا إلىٰ غيره سوف ﴿تُحْشَرُونَ﴾: يوم القيامة يوم الحشر، والحشر؛ يعني: إخراج الموتىٰ من قبورهم، وسوقهم إلىٰ أرض المحشر والجمع؛ للحساب والجزاء.

الاختلاف بين نهاية هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، ونهاية الآية (٨٨) من السورة نفسها: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: يعني: في الآخرة الآية في سياق الآخرة.

﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: يعني: في الدنيا، الآية جاءت في سياق الدنيا.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: الجعل؛ أي: التصيير؛ أيْ: صيَّر الله الكعبة البيت الحرام، قياماً للناس، والجعل؛ يستعمل في الأشياء الحسّية.

﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: البيت الحرام، بدلٌ من الكعبة.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: أيْ: قواماً لحياتهم؛ أي: الكعبة شيء، يحفظ لهم قيام حياتهم، كما أن الطعام والشراب، واستبقاء النسل، أشياء تقوم عليها الحياة، وكذلك الكعبة شيء ضروري، يحفظ قيام الحياة الدنيوية والأخروية، فقوله تعالىٰ: ﴿قِيَامًا﴾ لها عدة معانٍ:

فالكعبة ﴿قِيَامًا﴾: تحفظ للناس (للمسلمين) بقاء دِينهم وقبلتهم.

و﴿قِيَامًا﴾: لإتمام فريضة الحج والعمرة.

و﴿قِيَامًا﴾: لحفظ حياتهم؛ إذ هي مثابة وأمن، ومكان لكل خائف وملجأ، و﴿قِيَامًا﴾: لما يحصل في الحج من تبادل المنافع، والمصالح، والتعايش، والتجارة الضرورية؛ لحفظ حياة القائمين عليها.

و﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: البيت من البيتوتة، المكان الذي تأوي إليه، وتستريح فيه.

﴿ٱلْحَرَامَ﴾: مشتقة من حرمته وقدسيته، فلا قتال فيه. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٢٥)؛ لبيان معنىٰ البيت الحرام، الكعبة المسجد الحرام.

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: اسم جنس؛ يعني: الأشهر الحرم الأربعة.

والحرمة في كلمة الشهر الحرام، جاءت من حرمة القتال فيه.

﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: ما يُهدىٰ إلىٰ الكعبة، وإلىٰ البيت، حيث أقيمت بوادٍ غير ذي زرع.

﴿وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾: جمع قلادة، والقلادة ما يقلد به الهدي؛ علامة له، وإشعاراً أنه مهداة إلىٰ البيت الحرام، فلا يؤذىٰ، أو يتعرض له.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعيد، يشير إلىٰ جعل الكعبة، قياماً للناس، وما ذكر من حرمة الصيد في الإحرام، وحرمة الأشهر الحرم.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾: اللام: لام التعليل؛ أيْ: جعل كل ذلك، وحقق ذلك، ليدلكم علىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: للتوكيد ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: كل ما يجري في كونه من أفعال وأقوال حلال، أو حرام.

﴿مَا﴾: للعاقل، وغير العاقل. ارجع إلىٰ الآية (٢٩) من سورة آل عمران.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: عليم بما يصلح لكم قوام حياتكم، وأمور دِينكم، ودنياكم، وآخرتكم، ولذلك أمركم بها، وكلفكم بالقيام بها لحكمة ما، وليس عبثاً.

[٩٨] ﴿ أَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

﴿ أَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ﴾: علم اليقين؛ للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن انتهك محارمه وخالفه.

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: صفة من صفات الجلال، يقابلها صفتان من صفات الجمال، هي الغفور الرحيم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١١)؛ لبيان معنى العقاب.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن أطاعه، وأمن به، ولم يشرك به.

﴿غَفُورٌ﴾: صفة مبالغة، لغافر، كثير الغفر؛ أي: الستر، بمعنى محو الخطايا، مهما عظمت وتعددت إلا الكفر والشرك.

﴿رَّحِيمٌ﴾: صفة مبالغة، من الرحمة، لا يعجل العقوبة؛ لمن أذنب، لعلَّه يتوب ويرجع؛ أيْ: رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، رحيم على وزن فعيل؛ أيْ: صفة ثابتة لذاته.

[٩٩] ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾:

﴿ مَّا ﴾: النافية.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿ٱلرَّسُولِ﴾: محمد ﷺ، أو غيره من الرسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر فقط.

﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: البلاغ؛ أي: التبليغ، وليس عليه الهداية، إيصال ما أنزل الله من الآيات، والأحكام، والذكر الحكيم، إلى الناس، وتبيان ما أُنزل إليهم من ربهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي ﴿تُبۡدُونَ﴾، أو مصدرية: ما أبديتم.

﴿مَا تُبۡدُونَ﴾: تظهرون للعلن.

﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾: تكرار ما؛ يفيد التوكيد، وفصل كلٍّ من الإبداء والكتمان، على حدة، أو كليهما معاً؛ أيْ: ما تسرون، أو تخفون.

والإخفاء أعم من الكتمان، والكتمان غالباً ما يكون بالمعاني.

والإخفاء يكون في الأشياء الحسية والمعاني معاً.

[١٠٠] ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾:

أسباب النزول: عن جابر أن رجلاً، قال للنبي ﷺ: إن الخمر كانت تجارتي، فأخرجت من بيع الخمر مالاً، فهل ينفعني ذلك المال، إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل إلَّا الطيب». انظر في أسباب النزول للواحدي.

﴿لَّا﴾: النافية.

﴿يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾: أيْ: لا يساوي الخبيث الطيب؛ أي: الحلال والحرام، أو الجيد والخبيث مقداراً، ولا إنفاقاً، ولا مصيراً، ولا درجة.

﴿ٱلۡخَبِيثُ﴾: الحرام، السُّحت، الرِّجس.

﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الحلال الطاهر.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾: لو: هنا شرطية.

والعجب هو السرور؛ أيْ: لا تفرح بـ﴿ٱلۡخَبِيثِ﴾: لأنه زائل وممحوق البركة، وفائدته باطلة، أو ليس له ثواب، فالطيب القليل، هو أربى، وأفضل من

الخبيث الكثير. وفي الآية حث على التأمل في كل شيء لتميز خبثه من طيبه، والعبرة ليست بالكثرة أو الجم أو الكم، وإنما بالكيف والنوع والجودة؛ الطيب والطهارة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: التزموا بالطيب الحلال، واجتنبوا الخبيث الحرام.

﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يا أصحاب العقول النيرة، الصفوة؛ الذين هداهم الله الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بالعمل، بالطيب، وتجنب الخبث، واتّخاذكم الأسباب الأخرى؛ للفلاح، وتدعون الله، راجين القبول، والنجاة من النار، والفوز بالجنة. ارجع إلى الآية ٥ من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[١٠١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت هذه الآية حينما فرض الله الحج، فقال أحد الصحابة: أكلَّ عامٍ يا رسول الله، فلم يجبه رسول الله ﷺ، حتى كرَّر السؤال ثلاث مرات، فقال عندها رسول الله ﷺ للسائل: ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله، لو قلت: نعم ، لوجبت، ولو وجبت، ثم تركتم؛ لضللتم، اسكتوا عني ما سكتُّ عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، هذا ما رواه مسلم عن أبي هريرة.

وقيل: نزلت في رجل سأل رسول الله ﷺ عن أبيه: أفي الجنة أم في النار؟ رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.

وقيل: نزلت حينما سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: نداء إلى الذين آمنوا، بتكليف جديد، والهاء في أيها: للتنبيه.

﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾: لا: الناهية.

﴿تَسْـَٔلُواْ﴾: أسئلة اللغو؛ أيْ: لا حاجة، ولا داعي للسؤال عنها، لا تسألوا الرسول ﷺ.

﴿عَنْ أَشْيَآءَ ﴾: سكت عنها القرآن.

﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال والقلة.

﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾: أيْ: تظهر لكم الإجابة عنها.

﴿تَسُؤْكُمْ﴾: تحزنكم، أو تسيء إليكم، أو لا تعجبكم.

﴿وَإِن ﴾: شرطية.

﴿تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا﴾: حين ينزل القرآن، فإن أجيب عنها بفرض، أو إيجاب، أو نهي، أو حكم؛ كان بها؛ أيْ: إن سألتم عن أشياء ضرورية، عندها انتظروا نزول الوحي بالجواب، مثل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾، أو المحيض، أو اليتامى، ولا تقولوا: أن الرسول ﷺ لا يعلم.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: أيْ: أمسك الله عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً، رحمة بكم، أو لحكمة ما، ولا تقولوا: إن الرسول لا يعلم الإجابة عنها، أو هو ليس نبياً.

وقد تعني: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: لم يحاسب السائل عليها، أو يؤاخذه على سؤاله، ويفرض عليه كفارة أو عقوبة.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: غفور: كثير الغفر، أو المغفرة، صيغة مبالغة، يغفر الذنوب جميعاً، مهما كانت كبيرة، أو صغيرة، أو كماً أو نوعاً؛ إلّا الشرك، حتى يتوب العبد.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل لكم العقوبة؛ مع قدرته على ذلك.

حليم لمن عصاه؛ ينعم على خلقه، كثير الصفح، والأناة.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق؛ يفيد التوكيد.

﴿سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: مثل قوم صالح، حينما سألوا عن الناقة؛ كآية، أو معجزة، أو بني إسرائيل حين سألوا عن أوصاف البقرة التي أمروا أن يذبحوها، أو عيسى حينما سألوه أن ينزل عليهم مائدةً من السماء.

﴿ثُمَّ﴾: للحال، والتوكيد.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: أيْ: كانوا يسألون رسلهم، فإذا أخبروهم، أو تحقق ما طلبوه، أصبحوا بسبب عدم تصديقها كافرين، وصفة الكفر ثابتة لهم.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿مَا جَعَلَ﴾: ما شرع، ما أوجب، ما أمر، ما صير.

والجعل: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أي: مرحلة تالية للخلف، وقد يعني: توجيه المخلوق إلى مهمته في الحياة.

فالخلق والجعل لله تعالى وحده، وعلينا أن لا نتدخل في ذلك، فالله سبحانه خلق الخنزير؛ ليأكل القاذورات، فعلى الإنسان ألَّا يُغير هذا الجعل، فلا يحوله إلى غير مهمته، فيذبحه ويأكل لحمه.

مثال آخر: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: التبني هو إفساد في الجعل.

﴿مَا﴾: النافية؛ للعاقل، ولغير العاقل.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾: من: الاستغراقية.

﴿بَحِيرَةٍ﴾: إذا ولدت الناقة خمسة بطون؛ آخرها: أنثى شقوا أذنها شقاً واسعاً؛ يعني: بحروا الناقة، وتركوها، فلا تنحر، ولا يُحمل عليها، ولا تطرد من الماء، أو أي مرعى؛ أيْ: تأكل، وترعى أينما تشاء.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾: الناقة: التي تُسيب بنذرها للآلهة، ولا يحمل عليها، وترعى حيث تشاء.

﴿وَصِيلَةٍ﴾: إذا ولدت ذكراً وأنثى في بطن واحد، فلا يذبحونها، ويقال: وصلت أخاها.

﴿حَامٍ﴾: الفحل؛ الذي لقح عشرة أجيال من الإناث، فيقولون: حمى ظهره، فلا يُحمل عليه، ولا يُمنع الماء، والمرعى.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: الافتراء: هو اختلاف الكذب، والكذب في هذه الآية معرف بأل التعريف مقارنة بـ يفترون على الله كذباً: نكره فالكذب في هذه الآية يتعلق بالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

وكل هذه: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام: هي اختراعات أهل الجاهلية والكفر؛ الذين يفترون على الله الكذب؛ أيْ: يختلقون الكذب، وينسبونه إلى الله، مع أنها مُسخَّرة لخدمة الإنسان؛ ليأكل من لبنها، ويسخِّرها لما يريد، وكيف يشاء، وليس كما زعم الكفار.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أكثرهم تعود على الذين كفروا.

﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا: النافية، يعقلون: يفهمون؛ لأنهم يحلِّلون ويحرِّمون كما يشاؤون من دون علم، ولأنهم يفترون على الله الكذب.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

سورة المائدة [الآيات ١٠٤ - ١٠٨]

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، يدل على حتمية الحدوث.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: أيْ: للذين أشركوا، ومن هو القائل لا يهم معرفته، والمهم المقولة.

﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾:

﴿تَعَالَوْاْ﴾: تعني: ارتفعوا؛ أي: التزموا أو اتبعوا ما أنزل الله وإلى الرسول؛ كأنهم انحطوا وانحدروا بقولهم: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: وتعني: دعونا نبيِّن لكم ما أحلَّ الله تعالى، وما حرَّم، وما أحلَّ الرسول ﷺ، وما حرَّم عليكم بدلاً من تقليد آبائكم.

﴿إِلَىٰ مَآ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي أنزل الله في القرآن، من تحليل وتحريم.

﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: فيما آتاكم به، ونهاكم عنه؛ أيْ: ما حلل وحرم.

أيْ: تعالوا لنبيِّن لكم كذبكم وباطلكم.

قالوا: حسبنا، يكفينا، ولسنا بحاجة إلى غير ما وجدنا عليه آباءنا.

﴿مَا وَجَدْنَا﴾: ما: اسم موصول؛ يعني: الذي ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾،

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٧٠) في سورة البقرة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ﴾. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (١٧٠) للبيان.

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، توبيخي، والواو: استئنافية، وتقديره: أيكفيكم ذلك، ولو كان آباؤكم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾: انتبه! إلىٰ أنه وصفهم في الآية السابقة (١٠٣) بلا يعقلون، وأما آباؤهم؛ فقد وصفهم بلا يعلمون، ولا يهتدون؛ أيْ: لا علم، ولا هداية.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾: من الدِّين، وما حكمُ الله تعالىٰ؛ أيْ: جميعهم جهلة، و﴿شَيۡـٔٗا﴾: نكرة؛ لتشمل أيَّ شيء مهما كان، والشيء: هو أقل القليل.

﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾: إلىٰ ما شرع الله، وإلىٰ الحق، لا هم، ولا آباؤهم.

فهم وآباؤهم: لا يعقلون، ولا يعلمون، ولا يهتدون، ثلاث صفات تدل علىٰ الجهل، وعدم الفهم، والضلال.

[١٠٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾:

نداء جديد إلىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بتوجيه آخر، ووصية أخرىٰ.

﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: أيْ: حافظوا علىٰ أنفسكم، أو احفظوا أنفسكم، من الوقوع في المعاصي، والشرك.

وألزموا أنفسكم هدايتها، وإصلاحها؛ أيْ: أصلحوا أنفسكم أولاً، وذلك بطاعة الله، وأداء الواجبات، والفرائض، وتطبيق الإسلام.

كذلك احـذروا التقليد الأعمىٰ؛ الذي وقع به هؤلاء الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة، حينما قلَّدوا آباءَهم.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾:

﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: إذا: شرطية، تعني: الحتمية؛ يعني: يجب أن تهتدوا أولاً، ثم يبقىٰ عليكم واجب الأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن الهداية لا تتم حتىٰ تهدوا غيركم إلىٰ ما اهتديتم إليه.

فإذا قمتم بذلك وبيَّنتم لهم طريق الخير، والهدىٰ، والصلاح، وبعدها ضلَّ هؤلاء، فلا يضرُّكم بعد ذلك ضلالهم، وقال أبو بكر رضي الله عنه في تفسير هذه الآية، حينما قام خطيباً، أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُـولُ: «إِنَّ النَّـاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَـكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ». رواه الإمام أحمد في المسند، وأصحاب السنن، وابن حبان.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: إلىٰ الله: تقديم الجار والمجرور، لفظ الجلالة؛ يدل علىٰ الحصر؛ أيْ: إلىٰ الله وحده مرجعكم.

﴿جَمِيعًا﴾: توكيد.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: استئنافية. ينبئكم: يخبركم في يوم القيامة، أو يطلعكم علىٰ صحيفة أعمالكم في الدنيا.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فـي الدنيا من خير وشـر، وتعملون: تشـمل الأقوال، والأعمال.

[١٠٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾:

أسباب النزول: روىٰ البخاري وغيره: «خرج بديل السهمي، مولىٰ عمرو بن العاص مع عدي بن زيد، وتميم بن أوس، وكانا نصرانيين، تجاراً إلىٰ الشام، حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق مرض بديل، فكتب وصية بيده، ثم دسَّها في متاعه، وأوصىٰ تميماً وعدياً أن يدفعا متاعه إلىٰ أهله، فلما مات فتحا متاعه، وأخذا إناءً من فضة منقوشاً بالذهب، وقدِما المدينة علىٰ أهله، فدفعا متاعه، ففتح أهله متاعه، فوجدا فيها الوصية، ولم يجد أهله إناء الفضة، فسألوهما؛ فأنكرا سرقتهما للإناء، فترافعوا إلىٰ النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية مشيرةً إلىٰ ما يجب فعله في هذه الحالة».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ﴾: نداء جديد بوصية أخرىٰ: لا تنسوا في لحظة مواجهة الموت الوصية، إن كان مديناً لأحد، أو كان له دَين علىٰ أحد، وكذلك إن سافر أحدكم في الأرض؛ فعليه أن يوصي (يكتب وصيته حتىٰ لا يضيع علىٰ ورثته حقٌّ لهم، ويسدد ما عليه من دين ويبرئ ذمته.

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾: إذا: شرطية تفيد الحتمية والكثرة؛ حضر أحدكم الموت: من خصائص القرآن استعمال حضر في سياق الأحكام، والوصايا المتعلقة بالموت، وحضر تعني: شهد أو قارب علىٰ الموت، ويستعمل القرآن جاء أو المجيء للأجل، ويستعمل الموت حين نتكلم عن الموت.

﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾: وأن يشهد على الوصية اثنان من المسلمين، يتصفان بالعدل، والإيمان، والأخلاق لحسنة.

﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أو آخران من غيركم: أيْ: من غير المسلمين.

أيْ: إذا كان مسافراً مع غير أناس مسلمين فأصابته مصيبة الموت؛ فعليه أيضاً أن يشهدهم على الوصية، فلا عذر، ولا بُدَّ من شهادة اثنين مسلمين، أو غير مسلمين، والأفضل أن يكونا ذوي عدل.

﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾: أيْ: حضر أحدكمُ الموت: عندها اكتبوا الوصية، وأشهدوا ذوي عدل.

﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: أيْ: بعد موت الموصي، وترك الوصية: إن حدث شك في صدق الشاهدين؛ أيْ: في شهادتهما أنهما لا يقولان الحقيقة، أو شك في أمانتهما.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: تستدعونهما للقسم بعد الصلاة (أيِّ صلاة)، والقسم في القرآن: يقترن بالصدق، وأما اليمين فينطلق على القسم مقارنة بالخلق الذي يأتي في سياق الكذب أو إضمار الكذب.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾: نص القسم هو: أقسم بالله ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾. وانظر كيف أضاف الله الشهادة إليه فقال: (ولا نكتم شهادة الله)؛ لتعظيم خطر الشهادة حين القسم بها.

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿ٱلْآثِمِينَ﴾: جمع آثم: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لبيان معنى الإثم.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾:

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، ظهر كذب الشاهدين، أو ظهر خيانتهما، أو شك يُستدعى للشهادة اثنان ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: يُدعى آخران.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: أيْ: من أقارب الميت، فيقسمان بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الآخرين؛ أيْ: أصدق.

ونص الشهادة: ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلى الحكم، أو الذي تم فيه ردُّ اليمين على الورثة.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب.

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: من دون تحريف، أو خيانة. ويقال جاء بالشيء

الفلاني على وجهه؛ أي: أحسنه أو أكمله، واستفيد اسم الوجه ليدل على كمال الشيء؛ أي: كمال الشهادة تشبيهاً بوجه الإنسان الذي يعرف به.

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾:

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ﴾: تعود على ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ أيْ: عليهما أن يعلما أن أولياء الميت يمكن أن ترد أيمانهم؛ أي: لا تُقبل فيخافوا أن ترد أيمانهم، وتنكشف، أو تظهر فضيحتهم إذا خانوا، أو كذبوا.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بعدم الخيانة، والكذب، وإياكم واليمين الغموس، وأطيعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: لأوامره، ونواهيه، وما يوصي به إياكم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: والله لا يهدي هؤلاء الذين خرجوا عن طاعة الله، وساروا على طريق الفسق، واستمروا عليه؛ حتى أصبحوا من الفاسقين (جملة اسمية)؛ تفيد ثبوت صفة الفسق عندهم، ولم يقل: الذين فسقوا (جملة فعلية)؛ تدل على التجدُّد، أو التكرار، وليس الثبوت.

❖ ❖ ❖

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

سورة المائدة [الآيات ١٠٩ - ١١٣]

[١٠٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾: يوم الحساب، يوم القيامة، والرسل هم الأنبياء والرسل.

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: أيْ: ماذا كانت إجابة أممكم لكم؟

﴿مَاذَآ﴾: استفهام للتقرير، أكثر توكيداً مما لو قال: ما أجبتم. وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ (يوم الجمع) فيقول ماذا أجبتم بصيغة المضارع، وهذا سيكون يوم القيامة، ثم جاء بصيغة الماضي بقولهم (لا علم لنا) رغم أنه لم يقع بعد ليدلنا علىٰ تأكيد وقوعه وكأنه حصل أو وقع، والله سبحانه خالق الزمان فالكل متساوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾: يا لها من إجابة دقيقة! لا علم لنا! علىٰ الرغم من أنهم يعلمون أن هناك قسماً من الناس، استجابوا لدعوتهم، أو كثيراً لم يستجب، ولكون الرسل غير مطلعين علىٰ نوايا القلوب والسرائر، وإن كانوا يعلمون ظواهر الأمور، ولكنهم لا يعلمون ماذا حدث لمن آمن أو كفر من هؤلاء الذين استجابوا لهم، بعد موت الرسل.

ولذلك أجابوا: إنك أنت علام الغيوب، وهذا يعتبر قمة الأدب، والحكمة، والأمانة؛ لأنهم لا علم لهم بما حدث بعد موتهم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾:

﴿إِنَّكَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَنتَ﴾: تفيد الحصر.

لأنك أنت وحدك: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: علام: صيغة مبالغة، علام ما غاب عن العباد، ما غاب عن عيونهم وحواسهم، الغيب: مصدر غاب يغيب، ويشمل علم الآخرة، وعلم البرزخ، والجنة والنار، وردت علام الغيوب في أربع آيات في سورة المائدة، آية (١٠٩)، وآية (١١٦)، وسورة سبأ، آية (٤٨)، وسورة التوبة، آية (٧٨). ارجع إلى سورة التوبة، آية (٧٨)؛ لمزيد من البيان.

[١١٠] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: بعد سؤال الرسل: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، وردهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

ينتقل ليسأل عيسى ابن مريم من بين الرسل كافة، سؤالاً خاصاً به وبأمه، وهذا الحدث، والأسئلة يوم القيامة، وفي أرض المحشر، وإذا انتبهنا إلى كلام الله سبحانه؛ سنجده بصيغة الماضي، ويوم القيامة في المستقبل!

لأن الزمن بالنسبة إليه واحد، سواء أكان في الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل؛ فهو خالق الزمن، وله الخيرة في اختيار أي زمن، أو جاء بصيغة الماضي؛ كأنه حدث وانتهى.

قبل السؤال الخاص عن: كيف اتخذوا عيسىٰ وأمه إلهين، يبدأ يسرد بعض النِّعم الخاصَّة بعيسىٰ وأمه .

ويبدأ بذكر تأييده بروح القدس؛ أيْ: بجبريل .

والتأييد؛ يعني: (قوَّيناك)، والتأييد: مأخوذ من اليد، وبما أن اليد هي آلة القوة، والدفاع عن النفس ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: اسم لجبريل ؛ لطهارته، والقدس: هو الله سبحانه، وإضافة القدس للروح هي للتشريف فقط، مثل القول: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، وسمِّي (روحاً): لأن المنهج الذي حمل للرسل هو حياة للنفوس، فقد سمِّي جبريل بالروح، كما سمِّي القرآن روحاً؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢].

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: تكلم الناس في المهد؛ كمعجزة خارقة حين قلت للناس: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣١].

﴿وَكَهْلًا﴾: تدعوهم إلىٰ الإيمان حين تكون كهلاً. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، الآية (٤٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: وإذ، تعني: واذكر.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الكتابة، والخط.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: فقه الأحكام، والشريعة، والدِّين.

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كتاب موسىٰ .

﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾: الكتاب الذي أُنزل عليك.

﴿وَإِذْ﴾: واذكر: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، الآية (٤٩)؛ للمقارنة بين فتنفخ فيه وتنفخ فيها.

النفخ: في آية المائدة هنا يعود إلى الهيئة، ولذلك أنث، وجاء بكلمة ﴿فِيهَا﴾.

والمعجزة: ليست في تشكيل الطير؛ كطير، وكهيئة، وإنما في تحول الطير الجامد إلى طير يطير بجناحيه.

وذكر كلمة ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات؛ للتوكيد أنه : هو الذي قام بذلك، وليس عيسى .

﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾: تشفي الأكمه: وهو الذي يولد أعمى؛ العمى الجنيني، والأبرص: وهو مرض فقدان الجلد للون البشرة، فيصبح مصاباً ببقع بيضاء متناثرة؛ بسبب نقص هرمون الملانيين.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾:

واذكر: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ﴾: أيْ: تحيي الموتى بإذني (بإذن الله).

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: واذكر ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾: منعت وصرفت.

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾: حينما همُّوا بقتلك برفعك إلي.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات التي ذكرت سابقاً.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الفاء: استئنافية؛ الذين كفروا من بني إسرائيل.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: إن: حرف نفي؛ أيْ: ما هذا، والنفي: بـ(إن) أقوىٰ من النفي: بـ(ما).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر واضح، لا يخفىٰ علىٰ أيِّ إنسانٍ، والسحر نفسه واضح وبيِّن، وفي قراءة أخرىٰ قالوا: (إن هذا إلا ساحر مبين)؛ أيْ: عيسىٰ، ساحر، وما جاء به السحر؛ لتعريف السحر: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٠٢)، وسورة طه، آية (٥٨). ووصف ما جاء به عيسىٰ بالسحر يعني أن عيسىٰ ساحر وحكم الساحر في شريعة بني إسرائيل أن يقتل؛ إذ أن السحر عندهم كفر.

واتَّهموه بالسحر لما رأوا من تأثيره القوي في النفوس، وكانوا يظنون أن كل فعل غريب خارق للعادة سحراً، والحقيقة: هو ليس سحراً، بل هو حقيقة.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾:

واذكر ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء؛ أيْ: ألهمتهم أن يؤمنوا بي وبرسولي؛ أيْ: ألقىٰ في قلوبهم خواطر الإيمان؛ أيْ: إلهام قلبي. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

﴿بِى وَبِرَسُولِى﴾: الباء: للإلصاق، والتأكيد.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: قالوا؛ أي: الحواريون، آمنا: بألوهيَّتك، وربوبيَّتك، ووحدانيَّتك، بأننا: فيها تأكيد بنون النسوة.

ولنلاحظ الاختلاف بين قولهم.

﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: في هذه الآية، وقولهم في سورة آل عمران الآية (٥٢): ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٢) من سورة آل عمران؛ لمعرفة التباين.

[١١٢] ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أيْ: واذكر إذ قال الحواريون، أو حين قال الحواريون.

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: ارجع إلىٰ سورة آل عمران، الآية (٥٢)؛ لبيان معنىٰ الحواريين.

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: يا: النداء للبعد.

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: نادوه باسمه، ولم يقولوا: يا رسول الله، أو: يا نبي الله، نداء خال من التوقير والاحترام؛ لأن القاعدة هي حين ينادي الأدنىٰ الأعلىٰ باسمه؛ هذا يدل علىٰ قلة احترام.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: هل: للاستفهام، أقوىٰ وأكد من الاستفهام بالهمزة.

انتبه! إلىٰ قولهم: قالوا: ربك، ولم يقولوا: ربنا، فهذا يدل علىٰ أنهم يعتبرون عيسىٰ أقرب إلىٰ الله منهم.

﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: الحواريون آمنوا سابقاً، وقالوا: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾، وأشهدوا الله كذلك بقولهم: أننا مسلمون؛ أيْ: موحِّدون.

فهم لا يشكون بأن الله قادر علىٰ إنزال مائدة، ولكن السؤال هنا معناه: هل يستجيب لنا ربك؟ هم يسألون كما سأل إبراهيم ؛ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أيْ: أراد رؤية الكيفية، وعملية إحياء الموتىٰ، وهو لا يشك بقدرة الله أبداً علىٰ الإحياء.

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: قال عيسىٰ للحواريين: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أطيعوا الله، وامتثلوا أوامره، وتجنبوا نواهيه؛ أفضل لكم.

﴿إِن﴾: شرطية.

أو ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بقدرة الله؛ فاتقوا الله؛ أيْ: لا تسألوا مثل هذا السؤال.

[١١٣] ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

﴿قَالُواْ﴾: معلِّلين سؤالهم.

﴿نُرِيدُ أَن﴾: حرف مصدري؛ تفيد التعليل؛ للأكل منها، فنحن بحاجة إلىٰ الطعام.

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: تزداد قلوبنا يقيناً.

﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: بأنك رسول الله، علم اليقين نشهد أنها نزلت من السماء.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: نخبر بني إسرائيل؛ الذين لم يشهدوا نزول المائدة من السماء إذا رجعنا إليهم، أو شاهدين لك بالنبوَّة، وشاهدين لله بالوحدانية والقدرة، وشاهدين: تدل علىٰ الثبوت، وفيها مبالغة مقارنة بقوله: من الشهداء؛ لأنها جملة اسمية.

❖ ❖ ❖

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

سورة المائدة [الآيات ١١٤ - ١٢٠]

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾: ولم يقل: اللهم ربي، ولم يستعمل ياء النداء؛ يا ربنا؛ للدلالة عن شعوره بقربه من الله، بل قال: اللهم ربنا؛ أيْ: راح يصحِّح ما قاله الحواريون؛ إذ قالوا: هل يستطيع ربك، فقد دعا بالألوهية، والربوبية معاً، بقوله: اللهم ربنا؛ أي: جمع بين الإلوهية والربوبية استعطافاً لله ليجيب دعاءهم.

وهذا يدل علىٰ كمال الإيمان في قلب عيسىٰ ، مقارنة بإيمان هؤلاء الحواريين الناقص.

﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قدَّم الجار والمجرور؛ أيْ: علينا خاصَّة؛ للقصر والحصر.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾: أيْ: يكون اليوم الذي أنزلت فيه المائدة عيداً لنا نعظمه، نحن ومن بعدنا، وقيل: نزلت يوم الأحد، ثم اتخذه النصارىٰ عيداً؛ أيْ: مجمعاً لهم؛ كيوم الجمعة بالنسبة للمسلمين، وكلمة العيد؛ أي: الذي يعود ويتكرر.

﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾: أيْ: أولنا من جاء أولاً، وآخرنا لمن جاء بعدنا.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: معجزة منك؛ دالة علىٰ عظمتك وقدرتك.

﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: استعمل عيسىٰ بدلاً من الطعام الرزق؛ لأن الرزق كلمة عامة، تشمل: الطعام، والشراب، والمال، والعلم، والأخلاق، وكلُّ شيء، ينتفع به هو رزق.

﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أنت: ضمير منفصل؛ يدل على القصر والتأكيد.

[١١٥] ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي﴾: نون الإفراد؛ للدلالة على الوحدانية.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ﴾: من: شرطية للعاقل، وتشمل: المفرد، والجمع، يكفر بعد: أيْ: من بعد نزول المائدة.

﴿مِنكُمۡ﴾: أنتم خاصَّة، وليس غيركم؛ لأنهم هم الذي سألوا ذلك.

﴿فَإِنِّيٓ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وهي للتوكيد.

﴿أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

ففي هذه الآية تهديد ووعيد، بأشد العذاب؛ لأهل المائدة إن كفروا بعد نزولها.

وبسبب هذا التهديد قال بعض المفسرين: لم تنزل، وبعضهم قالوا: نزلت، والروايات ترجِّح أنها نزلت.

[١١٦] ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾:

﴿وَإِذۡ﴾: واذكر حين قال الله: يا عيسى ابن مريم، هذا المشهد مشهد يوم القيامة، وبدلاً من سيقول، ﴿قَالَ﴾؛ لأن الزمن عند الله الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل كله واحد؛ لأنه سبحانه خالق الزمان، والمكان، وقوله: ﴿قَالَ﴾ بالماضي: يدل كأنه حدث.

﴿ءَأَنتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام تقريري.

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾: والله سبحانه يعلم أن عيسىٰ لم يقل ذلك، وإنما قال ذلك أتباعه، قالوا: اتخذوا عيسىٰ وأمه إلهين، ونسبوه إلىٰ عيسىٰ ؛ افتراءً علىٰ عيسىٰ، فالله سبحانه يريد أن يبرِّئَ عيسىٰ يوم القيامة من كذبهم.

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾:

﴿قَالَ﴾: عيسىٰ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: انظر كيف نزه عيسىٰ ربه أولاً قائلاً سبحانك فهو لا يطيق سماع الشرك بالله قبل أن ينزه نفسه مما قالوا. ثانياً: قوله سبحانه تنزيه الله أولاً أهم من تنزيه عيسىٰ لنفسه تنزيهاً لك؛ أيْ: أنزهك تنزيهاً عما لا يليق بك؛ من الشريك، والولد، والندِّ، والمثيل.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يَكُونُ لِىٓ﴾: يحق لي، أو ينبغي لي.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾: أي: اتخذوني إلهاً، وأمي.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنتُ﴾: قلته؛ فقد علمته.

﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أيْ: تعلم ما في نفسي؛ أيْ: تعلم ما أخفيه، وتعلم قولي، وعملي، والنفس تعني: الذات.

﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾: ذاتك المنزَّهة عن كل تشبيه، وتعطيل، وأن تكون نفساً كنفوس البشر.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾:

﴿عَلَّٰمُ﴾: صيغة مبالغة: من علم، تعلم غيب خلقك، وغيب كونك، وكل

ما يغيب عن العيون، والحواس. ارجع إلىٰ الآية (١٠٩) من نفس السورة، والآية (٧٨) من سورة التوبة لمزيد من البيان.

[١١٧] ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾:

﴿ مَا ﴾: النافية.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾: إلا حصراً ﴿ مَا ﴾: الذي أمرتني به.

﴿ أَنِ ﴾: للتوكيد.

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى ﴾: وربكم؛ أيْ: وحدوا ربي وربكم، وأخلصوا له العبادة.

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾:

﴿ شَهِيدًا ﴾: من شهد، أو شاهد، أو علم، أو عاين، الشهيد: من شاهد وعاين؛ لفترة معينة ومحدودة، والشهيد: لا يمتد علمه وشهادته إلىٰ الذات الداخلية والنية، كما هي شهادة الله سبحانه؛ الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

أما البشر، أو عيسىٰ حين يكون شهيداً عليهم؛ فشهادته محدودة مدَّة بقائه بينهم، والإنسان يكون شهيداً لحادثة معينة، أو فترة ما، بينما الله سبحانه شهادته ليلاً ونهاراً في كل ثانية، ورقابته مطلقة غير محدودة بفترة معينة؛ من خلق آدم إلىٰ آخر فرد يُخلق، وتمتد شهادته إلىٰ يوم القيامة.

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾:

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء: عاطفة. لما: ظرفية زمانية؛ أيْ: حين.

﴿ تَوَفَّيْتَنِى ﴾: رفعتني إلىٰ السماء، والتوفِّي: هو أخذ الشيء وافياً كاملاً: بالجسد، والروح، والنفس.

وجاء ذلك في قوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأعمالهم، الشاهد عليهم، والحفيظ، والرقابة مطلقة، وأقوىٰ من الشهادة.

الرقيب: من رقب، والمراقب الحارس، والناظر عن قصد، ولا تفوته حركة من الحركات.

و﴿أَنتَ﴾: تفيد توكيد القصر الحقيقي، علىٰ أن الله سبحانه هو الرقيب الحقيقي، وليس غيره.

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: تكرار ﴿وَأَنتَ﴾: للتوكيد، والقصر الحقيقي، أن الشهيد الحقيقي هو الله، وليس غيره؛ لأن شهادته لا تنتهي علىٰ مر العصور، ومطلقة، وسواء أكان الله سبحانه رقيباً، أو شهيداً، فشهادته ورقابته مطلقة، وتمتد إلىٰ كل ذات، وكل نفس. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الشهيد والشاهد.

[١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: فهذا حقك؛ لأنهم أخطؤوا؛ أشركوا.

﴿عِبَادُكَ﴾: الكل في الآخرة عباد، لم يعد هناك طاعات؛ ليقول: عباد وعبيد، ولم يقل: إنك أنت الغفور الرحيم؛ لأنهم أشركوا، فعيسىٰ لا يضمن لهم المغفرة، أو الشفاعة.

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، تغفر لهم: تستر وتمحو خطاياهم، وذنوبهم، ولا تعاقبهم عليها.

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: أنت: ضمير منفصل، وتوكيد، وحصر، على أن الله وحده: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب، ولا يُقهر، والممتنع ليس بحاجة إلى أحدٍ من خلقه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المدبر لشؤون خلقه؛ بالحكمة المطلقة، لا يثيب، ولا يعاقب؛ إلا عن حكمة، والحكيم من الحكم، أو الحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

لنقارن قول إبراهيم ، وقول عيسى :

في سورة إبراهيم، الآية (٣٦) قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

جاءت هذه الآية في سياق الفتنة بالأصنام.

وفي سورة المائدة، الآية (١١٨): ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

جاءت هذه الآية في سياق فتنة عيسى وأمه ، اتخذوني وأمي إلهين.

والفتنة بالأصنام أقل فتنة بعيسى وأمه، ولذلك اختلفت نهاية الآيات.

[١١٩] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾: هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب؛ أيْ: هذا يوم القيامة.

﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: صدقهم في الدنيا، ينفعهم في يوم الجزاء.

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: كعيسى ابن مريم ، وأمه الصدِّيقة، والذين صدقوا الله بإيمانهم، فعبدوه، ولم يشركوا به.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: جنـاتٌ مثل جنات عـدن، أو الخلد، أو جنات النعيم، أو الفردوس.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾: الخلود: استمرار البقاء من وقت مبتدأ؛ من بداية دخولهم إلىٰ ما لا نهاية له، أبداً: تفييد التوكيد علىٰ الخلود.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: بطاعتهم، وإيمانهم.

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾: بثوابه، وجزائه، وإحسانه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: هو أعظم أنواع الفوز، ويعني: الفوز بالجنة، ورضوان الله، والنجاة من النار. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لبيان أنواع الفوز ودرجاته.

[١٢٠] ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾:

﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: لله: الـلام: لام الاختصاص، الملك: الحكم، والقضاء في السموات والأرض، وما بينهنَّ لله وحده سبحانه.

﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور، اسـم الجلالة، تقديمه يدل علىٰ الحصر، فقط لله سبحانه؛ فهو الحاكم، والمالك، والمدبِّر، والمصرف.

﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾: ما: تشـمل الأجناس كلها: الملائكـة، والإنس، والجن. ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: وهو: ضمير منفصـل؛ يدل علىٰ التوكيد، والحصر. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠)؛ للبيان.

❖ ❖ ❖

سورة الأنعام

ترتيبها ٦ آياتها ١٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦)، وفي النزول (٥٥)، نزلت بعد سورة الحجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة:

رُوِيَ عن ابن عباس : أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة ليلاً بمكة، وحولها (٧٠) ألف ملك يجأرون بالتسبيح.

وقيل: بعض آياتها القليلة مدنية.

تهتم بأصول العقيدة، والإيمان، والبعث، والجزاء، وإثبات الألوهية، والوحدانية له تعالىٰ، والوحي، ومحاجة إبراهيم لقومه، ومفاتح الغيب، والوصايا العشر، وغيرها.

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾:

بدأت هذه السورة بالحمد لله، ولتعلم أن هناك خمسَ سورٍ في القرآن؛ بدأت بالحمد لله، وهي:

١ - سورة الفاتحة.

٢ - سورة الأنعام.

٣ - سورة الكهف.

٤ - سورة سبأ.

٥ - سورة فاطر.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: اللام: في لله: لام الاستحقاق. له الثناء والجلال على نعمه علينا وعلى الناس باللسان وبالطاعة.

(ال) التعريف في الحمد: تفيد الاستغراق لكل المحامد.

المحمود على وجه الإطلاق حمداً مستمراً، غير مقيد بزمن، وسواء أأنعم أم لم ينعم .

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جملة اسمية؛ تدل على ثبات الحمد لله، واستمراره، منذ الأزل. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: الذي اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ﴾: الخلق: هو الإيجاد ابتداءً، ويعني: التقدير، والتسوية، والحساب.

والخلق: إذا نسب إلى الله هو الإيجاد من العدم على مثال غير سابق.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خلق السموات والأرض؛ من أعظم المخلوقات بعد خلق العرش، وأعظم من خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢)، والآية (٢٩)، والأعراف، آية (٥٤)، وسورة فصلت (٩-١٢)؛ للبيان العلمي المفصل لخلق السموات والأرض.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: الجعل: يأتي بعد الخلق، أو يلي الخلق.

والجعل: إيجاد شيء من شيء، والخلق: أعم من الجعل، أو الجعل قد يحمل معانيَ كثيرة؛ منها: الصنع، والتبديل، والاعتقاد، والظن، والتغيير.

الخلق: لا يتعلق بشيء آخر، أما الجعل فيكون متعلق بشيء آخر، فالله سبحانه خلق السموات والأرض، وبعد ذلك جعل الظلمات والنور.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الظلمات: جمع ظلمة ويقصد بها في هذه الآية الظلمات الحسية، والأصل في الكون هو الظلمة، وهي أسبق في الوجود من النور، والظلمات: جمع؛ تشمل ظلمات الكون، والبر، وظلمات البحر، وظلمة الليل، وظلمة القبر، وهناك الظلمات الفكرية والاعتقادية كظلمة الكفر والشرك والجهل والنفاق... وغيرها.

﴿وَٱلنُّورَ﴾: النور الحسي واحد، وهو الذي يمحو الظلام. ارجع إلىٰ سورة يونس، آية (٦٧) للبيان، وهناك فرق بين النور والضياء؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٧) للبيان، وهناك النور الذي يمثل نور الإيمان والقرآن والإسلام وهو نور واحد.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: ثم: تفيد الاستبعاد؛ أيْ: من المستبعد بعد كل هذا الخلق، والجعل من الله؛ ينحرف، وينصرف الذين كفروا؛ أي: يشركون به إلىٰ عبادة غيره، ويجعلون له عدلاً مساوياً له في العبادة والدعاء.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والرب: يعني: المربي، والرزاق، والمدبر، والخالق، والمقيت.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: من الفعل عدل، ويعني: الميل عن الحق والصواب، والانحراف مع الهوىٰ، والعدل يعني: المساواة والحكم بالعدل، فهذا الفعل عدل من أفعال التضاد، ويفهم المعنىٰ من سياق الآيات؛ أي: يميلون عن عبادة الإله الحق إلىٰ غيره.

وذكر كلمة بربهم رغم كونهم لا يستحقون إضافة كلمة الرب إليهم؛ فهو ما زال خالقهم، ومربيهم، ورازقهم.

وكلمة ﴿يَعْدِلُونَ﴾: ذكرت في القرآن في خمسة مواضع:

١ - سورة الأنعام، آية (١): ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

٢ - سورة الأنعام، آية (١٥٠): ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

٣ - سورة الأعراف، الآية (١٥٩): ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

٤ - سورة الأعراف، آية (١٨١): ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

٥ - سورة النمل، آية (٦٠): ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: هو ضمير منفصل؛ يفيد معنىٰ الحصر.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول؛ يفيد التوكيد؛ أيْ: هو الوحيد القادر علىٰ أن يخلقكم من طين، ولا يوجد غيره يخلق مثل هذا الخلق.

﴿مِّن﴾: للابتداء.

﴿طِينٍ﴾: أيْ: خلق آدم من طين، وخلقكم من آدم، والسؤال هنا: كيف تحول الطين إلىٰ بشر، فالجنين يتغذَّىٰ من دم الأم، والدم مستمد من الغذاء الطعام والشراب، وغذائها وشرابها مستمد من تراب الأرض، فكل هذه الخضار والثمار واللحوم والألبان تستمد غذائها من الأرض وتربتها، فجسم الإنسان فيه أكثر من (١٧) معدن من معادن الأرض، فالإنسان خلق من تراب، وبعد الموت يفنىٰ يتحول إلىٰ تراب مرة أخرىٰ. ارجع إلىٰ سورة الروم، آية (٢٠)؛ لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (٢٦) لبيان مراحل خلق آدم.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: ثم: للتراخي في الزمن، بين الخلق والموت.

﴿قَضَىٰٓ﴾: حكم، وحدّد لكم ﴿أَجَلًا﴾: تموتون عند انتهائه، والأجل هو الوقت المحدد، أو المضروب؛ لانقضاء الشيء، وأجل الإنسان هو الوقت؛ لانقضاء عمره.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: يوم القيامة.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: ثم: حرف عطف؛ تفيد الاستبعاد؛ أيْ: إنكم تشكُّون في البعث، بعد هذه الدلائل، والخلق من طين والموت، وتمترون: من المرية، وهي التردد في الأمر، والمرية: مأخوذة من مري الناقة، يَمْريها، إذا مسح ضرعها للدرّ؛ لاستخراج اللبن بعد أن انتهىٰ من حلبها؛ لأنه يشك لا زال فيها لبن يمكن استخراجه.

أيْ: أنتم تمترون بالبعث والحساب، والمراء: هو الجدال بالباطل بعد

ظهور وتبيَّن الحق من هذه الآيات، والدلائل على أنه سبحانه الخالق، وأنه الإله الواحد الذي يجب أن يُعبد ويطاع أمره.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: هو: للتوكيد، الإله المعبود، والمدبر، والحاكم، والمالك للسموات، والأرض، والمسيطر عليهن.

﴿ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ۖ﴾: في: ظرفية؛ السموات وفي الأرض: تكرار (في) تفيد فصل السموات عن الأرض؛ أي: كل على حده، وكلاهما معاً في السموات، وفي الأرض بعلمه وقدرته.

﴿ٱللَّهُ﴾: الاسم الدال على ذات الله العليا. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (١).

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾: السر: هو إخفاء الشيء في النفس فلا يطلع عليه أحد ويعلم نواياكم، وما يدور في خواطركم، وما تخفونه، وتكتمونه، وتسرونه؛ من أفعال، وأقوال.

﴿وَجَهْرَكُمْ﴾: ما تقولونه في العلن، والجهر: يعني: رفع الصوت.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: إعادة، وتكرار، يعلم: للتوكيد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذي تكسبون من حسنات، وسيئات، ورزق، وأموال، وذنوب، وخطايا.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾: الواو: استئنافية، وما: نافية. تأتيهم: أيْ: كفار قريش.

﴿مِّنْ﴾: للابتداء، والاستغراق.

﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: آية من آيات القرآن، أو معجزة، أو آية كونية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: معرضين: جمع معرض: والمعرض هو التارك والمبتعد. أيْ: كانوا مبتعدين عنها، وغير مهتمين، غير مصدِّقين بها، والتولي أشد من الإعراض.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتحقيق، والتوكيد.

﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتأكيد، الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، والذي لا يكون غيره، ويتمثل بالوحي (القرآن) والإسلام.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: لما: ظرفية زمانية.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد. سوف: أداة للاستقبال، وتدل على التراخي في الزمن؛ أيْ: حينما ﴿يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

إذنْ: هناك ثلاث مراحل:

١ - الإعراض عن الدِّين الصراط المستقيم.

٢ - التكذيب بمحمد ﷺ، والقرآن، والآيات.

٣ - الاستهزاء بالله، وآياته، ورسوله، والاستهزاء: هو التصغير، والتحقير، والعيب من الشيء، أو الآخر.

والغاية واحدة، وهي رفضهم للدخول، أو قبول الإسلام.

لنقارن بين الآيتين:

سورة الأنعام، الآية (٥): ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

سورة الشعراء، الآية (٦): ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

في آية سورة الأنعام: استعمل (سوف)؛ كونها أبعد في الاستقبال من السين؛ أيْ: سوف نؤخِّر عنهم العذاب ليوم القيامة، وهذه الآية جاءت في سياق عموم الكافرين.

أما الآية من سورة الشعراء؛ فاستعمل السين مبنية على تعجيل العقوبة لقريش؛ فهؤلاء سنعجل لهم العقوبة في الدنيا؛ بسبب إعراضهم، وتكذيبهم.

﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: سوف يعلمون عاقبة استهزائهم يوم القيامة، ولبيان معنى الاستهزاء؛ ارجع إلى الآية (١٠) في نفس السورة.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتعجب، ألم مقارنة بـ(أولم) ألم: تدل على القلة، وأولم: تدل على الكثرة، كذلك زيادة الواو في أولم تدل على شدة الإنكار؛ أي: الآية فيها توكيد وإنكار أشد من (ألم).

﴿كَمْ﴾: خبرية؛ تفيد العدد الكثير، أو الكبير من القرون المهلكة.

﴿مِن قَبْلِهِم﴾: من: الابتدائية، الاستغراقية، وتدل على القرب، وتعني: الذين جاؤوا مباشرة من القرون قبل قريش.

﴿مِّن قَرْنٍ﴾: القرن: اسم أهل كل عصر، فهو بمعنى جماعة من الناس يعيشون معاً في مدة من الزمن؛ لاقترانهم في زمن معين، أو القرن؛ وهو مئة سنة.

﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: أعطيناهم القوة، والسلطان، والسعة، والمال، وكل مستويات التمكين، ويشمل الأمن، والرخاء، ورغد العيش، والقدرة على إقامة شعائر الدِّين، والحرية.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾: ما لم نعطِكم، ونمدَّكم به، أو نزوِّدكم به.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾:

﴿وَأَرْسَلْنَا﴾: أيْ: أنزلنا المطر عليهم، وأرسلنا: تعني باستمرار وكثرة، وأنزلنا: تعني القلة.

وعبَّر عن المطر بالسماء، وتعريف السماء: كل ما علاك، ومنها: السحاب.

﴿مِّدْرَارًا﴾: يدل على الكثرة، ويدلُّ على الرحمة، وليس العذاب، ومدراراً: من الدر؛ أيْ: سيلان اللبن بكثرة، ثم استعير للمطر الغزير، المتتابع.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾: دلالة على كثرة الأنهار، وبناء الجسور، فتجري الأنهار من تحتهم، وتعني: سعة العيش، والرفاهية.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، أهلكناهم، الهلاك يعني: العذاب والموت بكفرهم، ومعاصيهم، وتكذيبهم لرسلنا، وما جاؤوهم به من

الآيات. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥)؛ لبيان معنى الهلاك، وسورة الأعراف آية (٤).

﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: الإنشاء؛ يعني: إحداث جيل بعد جيل، أو نخلق قوماً غيرهم، فلا يكونوا أمثالهم.

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من: تعني: مباشرة بعدهم، من دون فاصل زمني.

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: جماعة من الناس غيرهم، يعيشون معاً في مئة عام.

[٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾: كما اقترح مشركو مكة أن يُنزل عليهم كتاباً؛ من عند الله حتى يؤمنوا بأنك رسوله، والقرآن حق؛ أيْ: ولو استجبنا لطلبهم، ونزلنا عليك كتاباً في قرطاس؛ أيْ: مكتوب في صحائف الورق، نزلنا مقارنة بأنزلنا؛ نزلنا: تعني منجماً على دفعات؛ أنزلنا: أي: جملة واحدة، ونزلنا: تأتي في سياق التوكيد والاهتمام، وفي سياق الخاص، وأنزل: في سياق العام.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: رأوه بأعينهم، وشعروا به بأيديهم أنه حق. اللام: في كلمة لقال: لام التوكيد.

قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: من أهل مكة.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي، وتوكيد.

﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: أيْ: ما هذا إلَّا سحر مبين، سحر واضح بنفسه، وكل

واحد يقرؤه، يعلم أنه سحر، وهو سحر، لا يحتاج إلىٰ برهان. (إن): أقوىٰ في النفي من (ما).

ووصفوه بالسحر؛ لأنهم رأوا تأثيره القوي في النفوس، والقلوب، وكانوا يظنون أن كل فعل غريب خارق للعادة سحراً، أو يشبه السحر، ولتعريف السحر: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لمزيد من البيان.

[٨] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: الذين كفروا.

﴿لَوْلَآ﴾: أداة حضٍّ وتمنٍّ، أنزل عليه علىٰ محمد ﷺ، ملك من الملائكة؛ ليصدقه، أو يكون معه نذيراً.

ولو استجاب الله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: أيْ: لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا بعدها.

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يُنظَرُونَ﴾: أيْ: لا يمهلون، أو يؤخَّرون، ويكون هذا هو عاقبة كبرهم وعنادهم.

❖❖❖

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الجزء ١٣

سورة الأنعام [الآيات ٩ - ١٨]

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: ملكاً، ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ﴾: بصورة رجل؛ لأنهم ليس عندهم القدرة على رؤية أيِّ ملك من الملائكة، ولَالْتَبَسَ الأمر عليهم.

ولقالوا: كيف نعرف أنه ملك، ونحن بشر؟ إذا لا بُدَّ من إنزال ملك بصورة بشر، عندها سيلتبس الأمر عليهم أكثر فأكثر، وسيصبحون في ريبهم يتردَّدون، كما الْتبس عليهم أمر نبوَّتك، ونزول القرآن عليك.

[١٠] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَلَقَدِ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: للام التوكيد. قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ﴾: الاستهزاء: هو التحقير، والتصغير، والعيب والاستخفاف، والتهكم بالرسل، والضحك أحياناً بدون سبب يدعو إليه، والاستهزاء أعم من السخرية.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾.: من: تدل على القرب الزمني.

﴿بِرُسُلٍ﴾: الباء: للإلصاق، رسل: نكرة؛ للتكثير، والتفخيم.

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾: الفاء: عاطفة؛ لربط السبب بالمسبب. حاق: أحاط، ونزل، ووقع العذاب بهؤلاء الذين سخروا من رسلهم بسبب

استهزائهم بهم، وتكذيبهم لهم، والحيق: هو ما يلحق بالإنسان من مكروه. ارجع إلىٰ سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان في حاق، والفرق بين حاق ونزل.

﴿بِٱلَّذِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ أيْ: ملازمة العذاب لهم.

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: ما: بمعنىٰ: الذي، وفي هذه الآية حث لرسول الله ﷺ علىٰ الصبر علىٰ ما يلاقيه من سخرية، واستهزاء.

[١١] ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، سافروا في الأرض للرزق والتجارة، أو العلم.

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن؛ أي: خلال سفركم أو بعد قضاء حوائجكم انظروا، أو زوروا آثار من قبلكم؛ لتعرفوا ما حلَّ بهم من العقوبات. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٣٧)؛ للبيان، والفرق بين فسيروا، ثم سيروا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال، والتعجب والتحذير.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة في القرآن دائماً يأتي في سياق العذاب، أما تأنيث العاقبة؛ أيْ: لو قال : كيف كانت عاقبة؛ لدلَّ ذلك علىٰ العاقبة الحسنة.

﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: جمع مُكذب بالرسل؛ أيْ: غير المصدقين بهم، وما حلَّ بهم من العذاب، والمكذبين: جملة اسمية تفيد ثبات صفة الكذب عندهم.

[١٢] ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قُل لِّمَن﴾: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص. ﴿لِّمَن﴾: اسم استفهام تقريري.

﴿مَّا﴾: للعموم، والشمول، العاقل وغير العاقل.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما في السموات السبع نفسها، وما فيها من خلق

الملائكة، والكواكب، والأقمار، والنجوم، والأرض نفسها بالطبقات السبع، وما فيها من خلق (جن وإنس)، ونباتات، وحيوانات، ومعادن، وكنوز.

﴿قُل لِّلَّهِ﴾: وحده حكماً وملكاً، واللام في لله: لام الملكية، أو الاختصاص.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: قضىٰ، وحكم علىٰ نفسه، تفضُّلاً منه وإحساناً، ليُعلم ويطمئن عباده، أنه هو أرحم الراحمين، وكتب فيها توكيد أكثر من حكم.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك النون في يجمعنكم: لزيادة التوكيد، إلىٰ يوم القيامة، للحساب والجزاء، وقيل: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: في قبوركم إلىٰ يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ﴾: تعني: الانتهاء.

أو ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: تعني: في يوم القيامة؛ ليجازيكم علىٰ أعمالكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: تعني: الريب: أقوىٰ من الشك، والريب: هو الشك، والاتهام، لا ريب فيه: في قدومه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر، والشرك، والمعاصي؛ مما أدَّىٰ إلىٰ دخولها النار، وبذلك خسروا أنفسهم في كل زمان، ومكان، ولا تعني في الماضي فقط، وإذا نظرنا إلىٰ الآية (٢٠) في نفس السورة نجد تشابه نهاية الآية (١٢) والآية (٢٠) وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا ليس بتكرار، ولكن الآية (١٢) جاءت في سياق المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، والآية (٢٠) في سياق أهل الكتاب الذين يعرفون الرسول ولا يؤمنون به.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: سببية، هم ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: نافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدِّقون بيوم القيامة، أو بالجزاء، والحساب، والبعث، ولا يؤمنون برسلهم، وما أنزل الله عليهم؛ أيْ: أن سبب الخسارة لأنفسهم أنهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

وكأن هذه الآية تتمة للآية السابقة (١٢).

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾: وله أيضاً ما سكن في الليل والنهار.

سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس حين سألت قريش رسول الله ﷺ أن يرجع إلىٰ دِين آبائه، ويجعلوا له نصيباً من الأموال؛ حتىٰ يكون أغناهم؛ فنزلت هذه الآية، وتعني: وله كل ما سكن في السموات والأرض، وكل ما تحرك.

﴿مَا﴾: للعاقل، وغير العاقل؛ له في كل زمان ومكان؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

﴿وَلَهُۥ﴾: اللام: لام الملكية؛ له وحده، أو الاختصاص، له الكمال وحده، ما سكن وما تحرك في الكون كله؛ من كوكب، أو نجم، أو مجرة، أو طير، أو شيء مهما كان من كنوز، وأموال، وثروات.

﴿وَلَهُۥ﴾: قدَّم الجار والمجرور. له: للحصر.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: توكيد للكمال، ومن صفاته: السميع، يسمع ما في الكون، من سر وعلن، ويسمع كل ما يقوله الثقلان من الجن والإنس، وهي صيغة مبالغة من السمع.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة؛ كثير العلم، أحاط علمه بجميع خلقه، وكونه، وكل شيء، عليم بخفايا الصدور، عليم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون.

ونلاحظ أنه ذكر ﴿مَاسَكَنَ﴾، ولم يذكر ما تحرك؛ للاختصار، ويسمَّى ذلك الاكتفاء بأحد الضدين، فهنا اكتفى بالسكون، دون ذكر الحركة؛ لأن السكون هو الأغلب، وعاقبة كل متحرك السكون، ولأن السكون راحة، والراحة نعمة.

[١٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: حين سألت قريش رسول الله ﷺ، أن يرجع إلى دِين آبائه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: أيْ: لا أتخذ ولياً غير الله، معيناً وكيلاً حفيظاً، والولي المعين، والذي يتولى أمري، والحليف، أو القريب، أو الحفيظ.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الذي أخرج وأظهرَ الخلق للوجود لأول مرة على غير سابق مثال، وسواء أكانت السموات، أم الأرض، أم خلق الإنسان، وغيره من المخلوقات عامة.

﴿فَاطِرِ﴾: اسم فاعل، من فعل: فطر؛ كأنه شق عنه فظهر، قيل: تفطر الشجر؛ إذا تشقق بالورق.

وفطر الله السموات والأرض؛ أيْ: أوجدها وأظهرها، ولا يقال: فاطر، إلّا لله وحده.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: أيْ: هو يَرزق، ولا يُرزق، وهو يُطعِم ولا يأكل؛ كقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٧].

وجاء بضمير الفصل (هو): للتوكيد؛ ليدل هو وحده، هو الذي يرزق، وإن كان هناك من يُطعم، أو يرزق، فهو الرزاق الحقيقي، وغيره ممن يُطعم أو يرزق هو من المرزوقين الذين أغناهم الله سبحانه.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أن أكون: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد؛ أيْ: أول من أسلم من هذه الأُمة، أو أول من أسلم درجة، أول الموحِّدين، والمخلصين لله تعالىٰ، ومعنىٰ قل: إني أمرت أن أكون أول من أسلم، ولا تكوننَّ من المشركين: أُمرت بالإسلام، ونهيت عن الشرك.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ولا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: والنون: للتوكيد، توكيد النهي بدلاً من (ولا تكون).

وإن كان هذا الخطاب للنبي ﷺ؛ فهو خطاب لأمّته بعدم الشرك.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بالله تعالىٰ، أيّاً كان نوع الشرك.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل يا محمد ﷺ.

﴿إِنِّيٓ﴾: يفيد التوكيد.

﴿أَخَافُ﴾: الخوف: هو توقُّع الضرر المشكوك في وقوعه، والخوف خلاف الطمأنينة.

﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: إن شرطية؛ تفيد الندرة، أو الاحتمال، العصيان: عدم امتثال أوامر الله وتجنب نواهيه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يعني: يوم القيامة، وجاء بصيغة النكرة؛ للتهويل، والتعظيم.

﴿عَذَابَ﴾: قد تعني اليوم، يوم عظيم، أو العذاب عظيم في ذلك اليوم، أو كلاهما معاً.

[١٦] ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾:

﴿مَّن﴾: شرطية.

﴿يُصْرَفْ﴾: يبعد عنه، أو يمنع عنه العذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أيْ: يوم القيامة.

﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، وقد حرف تحقيق؛ لزيادة التوكيد.

﴿رَحِمَهُ﴾: نجاه من العذاب، ومن أهوال ذلك اليوم.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى الفوز برحمة الله تعالى.

﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: الفوز، الظاهر الواضح، لكل إنسان، والفوز البيِّن، لا يحتاج إلى برهان. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في المعنى ومعرفة أنواع أو درجات الفوز في القرآن والفروق.

[١٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والندرة.

﴿يَمْسَسْكَ اللَّهُ﴾: من المس: أقل اللمس، أو اللمس الخفيف؛ الذي لا يكاد يُذكر، ويمسسك: تعني: المس الشديد، أو المتكرر.

﴿بِضُرٍّ﴾: الباء: للإلصاق. ضرٍّ: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه، أو بدنه، أو عرضه، أو ماله، من فقر، ومرض، وحزن، وألم.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، لا: النافية للجنس.

﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ﴾: حصراً، لا كاشف؛ أيْ: لا صارف له، ولا مزيل له، أو منجٍ منه؛ إلّا هو سبحانه وحده.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، يمسسك: ولم يقل يمسك؛ يمسسك: تعني المس المتكرر، والمس يأتي في سياق الضر وغير الضر والشديد.

﴿بِخَيْرٍ﴾: الباء: للإلصاق. خير: أيِّ خير، والخير هو الشيء الحسن النافع.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: الفاء: جواب الشرط. هو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، كامل القدرة.

لنقارن الآن بين الآية رقم (١٧) من سورة الأنعام، والآية (١٠٧) من سورة يونس.

الآية (١٧) من سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية (١٠٧) من سورة يونس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

مطلع كلا الآيتين متشابه، ويتحدث عن الضر الذي لا يكشفه إلا الله، إذا وقع، والضر لا يتمنَّاه أحد أن يقع، أما الخير؛ فالكل يتمَّناه أن يقع، بعكس الضر، والخير: إما أن يكون واقعاً الآن فعلاً، أو سيقع في المستقبل.

فالآية في سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تدل على كونه واقعاً الآن، وعبَّر عنه : بالمسِّ الشديد.

وأما في سورة يونس: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ

مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: فتدل الآية على أن الخير لم يقع بعد، أو يحصل، ويتمنَّاه الإنسان أن يحدث، ونفهم ذلك من قوله سبحانه: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: الذي يدل على المستقبل.

[١٨] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾:

﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالب، والقهر: الغلبة والقدرة، والقاهر: اسم فاعل من قهر؛ أيْ: غلب.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد والقصر، أن الله هو القاهر الحقيقي، القاهر الذي خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، وقهر كلَّ شيء.

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: فوق: من الفوقية؛ فهو فوقهم بقهره، وبتذليله إياهم.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل؛ يفيد القصر والتوكيد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في خلقه وشرعه؛ أي: المدبر لشؤون خلقه، وشرعه، وكونه، بحكمه، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأمور، والأسرار، والخفايا، وذوات الصدور.

❖ ❖ ❖

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٩ - ٢٧]

[١٩] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس : أن رؤساء مكة من المشركين، أتوا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا محمد! ما نرىٰ أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارىٰ؛ فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾:

﴿قُلْ﴾: أيْ: اسأل يا محمد المشركين.

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: ما هي أعظم شهادة تبغونها، أني رسول الله إليكم، والشهادة عظمتها؛ تدل علىٰ عِظم الشهيد؛ أي: المُدلي بالشهادة؛ فإن أجابوك: الله؛ كان بها، وإن لم يجيبوك عندها قل: الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: فشهادة الله هي أكبر، وأعظم شهادة؛ علىٰ نبوَّتك، ولا تحتاج إلىٰ شيء آخر، أو شهادة أخرىٰ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾، وقل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾: لأنذركم به من عذاب الله؛ معنىٰ الإنذار هنا: الإعلام، والتخويف، أو التحذير.

﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: أيْ: هو نذير كذلك؛ لكل من بلغه القرآن من العرب، أو العجم؛ أيْ: وصل إليه، وتبيَّن ما فيه، وفهمه بلغته الخاصة؛ لأن الكثير يصل إليه القرآن، لكن لا يفهمون منه حرفاً، ولا آية.

﴿وَمَنۢ﴾: استغراقية، ويؤيِّد ذلك قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وهذا يعني: ومن بلغه إلىٰ يوم القيامة.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: بعد إنذارهم؛ يوبخهم وينكر عليهم ما يقومون به من الشرك، فيقول:

﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الهمزة: استفهام تقريري إنكاري، وتوبيخ.

﴿لَتَشْهَدُونَ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد أيضاً.

﴿مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾: مثل اللات، والعزىٰ، ومناة.

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾: معكم: بأن مع الله آلهة أخرىٰ.

﴿إِنَّمَا﴾: للحصر. قل: إنما هو إله واحد.

﴿هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: هو: ضمير منفصل؛ للتوكيد. إله واحد: لا يلد ولا يولد. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَإِنَّنِى﴾: النون: للتوكيد.

﴿بَرِىٓءٌ﴾: من برئ؛ أيْ: تخلَّى، وابتعد.

﴿مِمَّآ﴾: هي مركبة من + ما. من: ابتدائية، وما: اسم موصول، أو مصدرية؛ أيْ: بريء من الذين تشركون به، ومن شرككم.

﴿تُشْرِكُونَ﴾: تجعلون مع الله إلهاً آخر. تشركون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدُّد، وتكرار شركهم، وعدم إقلاعهم عنه.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

في الآية السابقة: علمنا أن رؤساء مكة من المشركين سألوا اليهود والنصارىٰ: أن يشهدوا لرسول الله ﷺ، بما ذكر عندهم في كتبهم ووصفه، فأنكروا ذلك، وزعموا أنه ليس له ذكر عندهم في كتبهم، فجاء الرد المباشر من الله ؛ ليفضح كذبهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: أي: اليهود والنصارىٰ، الكتاب: التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: أيْ: رسول الله ﷺ.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾: بما عندهم من الأخبار في كتبهم؛ فإن وصفه ونعته، واسم بلده، وصفة أمته ﷺ، كل ذلك موجود عندهم في التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾: تشبيه مرسل، في علم الجمال اللغوي، يعرفون صفات محمد ﷺ؛ كما يعرفون أبناءَهم.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٢) من سورة الأنعام للمقارنة، وهذه الآية ليس تكراراً للآية (١٢) هذه الآية جاءت في سياق الذين

أتيناهم الكتاب (اليهود والنصارىٰ)، والآية (١٢) جاءت في سياق المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب.

والفاء في فهم: تفيد التوكيد، هذا يدل علىٰ أن إنكار نبوَّة محمد ﷺ خسارة للنفس، وافتراء علىٰ الله تعالىٰ.

[٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾:

استفهام علىٰ سبيل السؤال؛ كي يشارك المخاطب بالإجابة، فيقول: لا أحد حتىٰ تقام عليه الحُجَّة، أما لو قال: ولا أظلم؛ فهو كلام إنشائي، علىٰ سياق الخبر.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من استفهام؛ يفيد النفي، والتوبيخ، والمعنىٰ: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، والافتراء: هو الكذب المتعمد، مثل من قال: أوحي إليَّ، ولم يوحَ إليه، أو نسبوا له الولد، والبنات، والشريك. ومَنْ: تفيد المفرد، أو الجمع، والعاقل.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾: أيْ: آيات القرآن، ودلائله الكونية، والمعجزات، والآيات التي جاءت في التوراة والإنجيل التي تدل علىٰ صدق نبوَّة محمد ﷺ، وجاءت كذباً بصيغة النكرة؛ لتشمل كل أنواع الكذب، ولو جاءت بصيغة المعرف بأل؛ أي: الكذب؛ لدلت علىٰ كذب محدد بعينه.

﴿إِنَّهُۥ لَا﴾: إن: تفيد التوكيد. لا: النافية.

﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: سواء أكانوا من الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، أم من ظلموا الناس، وضلوا عن سواء السبيل، والظالم: هو كل من يخرج عن منهج الله تعالىٰ، والفلاح: هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فهؤلاء الظالمون: لن يكونوا

من المفلحيـــن في الآخرة؛ أي: الفائزين بالجنـــة، والناجين من النار. ارجع إلىٰ ســـورة البقرة، آية (٥) لبيان معنىٰ الفلاح، وإذا قارنا هذه الآية ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مع الآية (١٧) في ســـورة يونس وهي قولـــه تعالىٰ: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ المجرمـــون: أعم من الظالمين، والإجرام: أوســـع معنىٰ من الظلم، الظلم: جزء من الإجرام، وكذلك سبق آية يونس قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آيـــة:١٣]، وآية يونس اســـتعمل فيها (فمن)، وآية الأنعام (ومن أظلم)؛ الفاء في آية يونس تدل أن ما قبلها سبب ما بعدها.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: يوم الحشر، يوم القيامة، وجاء بصيغة النكرة؛ للتهويل، والتعظيم.

﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: المشـــركين، وآلهتهم بمن فيهم الذيـــن كفروا من أهل الكتاب، وغيرهم، والأصنام، والأنداد، والرؤساء.

﴿جَمِيعًا﴾: توكيد.

﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: لها معانٍ ثلاث:

١ - ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: كلهم.

٢ - ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: مجتمعين.

٣ - أو يُراد كلا المعنيين؛ أيْ: نحشرهم كلهم مجتمعين.

﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾: ثمّ: تفيد التوغل في التوكيد.

﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿أَيْنَ﴾: استفهام، أو سؤال توبيخ.

﴿شُرَكَآؤُكُمُ﴾: الأوثان، والأصنام، وعيسىٰ، وعزير، أو الملائكة.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء لله، وأنداد، أو سيقربونكم إلىٰ الله زلفىٰ، وتزعمون: من الزعم: وهو القول غير المستند إلىٰ دليل، وأكثر ما يقع في الباطل، أو هو: ادِّعاء العلم غير الصحيح.

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للترتيب الذكري (العددي).

﴿لَمْ تَكُن﴾: لم: حرف جزم.

﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: الفتنة في هذه الآية تعني: القول، والكلام، والكذب، اعتبر فتنة، أو القول: هو فتنة في المعنىٰ، أو المعذرة، أو فضيحتهم، أو بليتهم، أو عاقبة كفرهم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٧٠)؛ لبيان معنىٰ الفتنة.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر؛ أيْ: لم تكن فتنتهم إلّا مقالتهم فقط: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿أَن قَالُوا۟﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: فهم يبادرون إلىٰ إنكار الشرك، والقسم بالله (واو القسم): للتأكيد.

ويقسمون بالله يوم القيامة: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ كي يصدقهم الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

﴿مَا﴾: للنفي تنفي الماضي والحال وخاصة وقد تنفي المستقبل.

﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: جواب القسم؛ فهم يحاولون الكذب في الآخرة، كما كذبوا في الدنيا مشركين بالله جمع مشرك.

[٢٤] ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿انظُرْ﴾: نظرة تعجُّب، نظرة قلبية.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام للسؤال عن الحال، وتفيد التعجب، والتوبيخ، والإنكار.

﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: بقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أيْ: بنفي الشرك عن أنفسهم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: غاب عنهم، ولم يعد يتذكرون، ما كانوا يفترون في الدنيا؛ أيْ: يكذبون الكذب المتعمد، بقولهم: إن الأصنام ستشفع لهم، أو تقربهم عند الله زلفىٰ، أو تمنع عنهم العذاب.

﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو مصدرية؛ أيْ: غاب عنهم: لم يحضر، هؤلاء الشركاء الذين كانوا يفترون سيشفعون لهم يوم القيامة، أو أنكروا أنهم كانوا لهم أتباعاً.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾: عن قصدٍ، وعمدٍ، أما لو قال: يسمع إليك؛ فقد يكون سمعه عرضاً، من دون قصد.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: لا لكي يتبيَّن له الحق والهداية، ولكن للاستمرار

في الكفر، والتكذيب، والعناد، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٢) في سورة يونس وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: جاءت في سياق قلة المستمعون، وأما يستمعون إليك جاءت في سياق الكثرة.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾: أغطية، وحُجُب أن يفقهوه.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد؛ أيْ: لئلّا يفقهوه؛ أي: القرآن.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صمم، وثقل، فلا يسمعونه سماع قبول.

ولم نجعل علىٰ قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقراً، قهراً عنهم، بل هم الذين اختاروا الكفر سبيلاً، واستمروا فيه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٨٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: وإن يروا كل آية قرآنية، أو كونية، أو معجزة، لا يؤمنوا بها، لا يصدقوها، وكل آية دالة علىٰ صدق الرسول، يجحدون بها، وينكرونها.

لنقارن هذه الآية من سورة الأنعام، مع الآية (٤٢) من سورة يونس.

في سورة الأنعام؛ يقول: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وفي سورة يونس: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، والفرق بين الآيتين: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: تدل علىٰ قلة عدد المستمعين، قيل: كانوا (٥-٧)، وأما ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: فتدل علىٰ كثرة عدد المستمعين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف للمستقبل، وشرطية.

﴿جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾: حضروا عندك. يجادلونك: الجدال هو الحوار بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق أو حقيقة، أو إظهار حجة، أو دفع شبهة، وقد يحدث فيه مشادة ومخاصمة.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: ولم يقل: جادلوك، بصيغة الماضي، بل بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار جدالهم، وأن جدالهم لم يتوقف بعد، وإضافة النون في كلمة: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: ولم يقل: يجادلوك، تدل على التوكيد.

﴿يَقُولُ﴾: جاء بالفعل المضارع؛ ليدل على تجدد قولهم، والاستمرار فيه، ولم يقل: قالوا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾: إن: حرف نفي؛ أيْ: ما هذا؟ وإن: أشد نفياً من (ما).

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة، ويدل على القرب، ويشير إلى القرآن الكريم.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: إلّا: أداة حصر؛ أي: القرآن ما هو إلا أساطير الأولين؛ أيْ: جمع أسطورة، وأكاذيب، وخرافات، أمليت عليه، أو طلب كتابتها، وتعني كله، جميع ما فيه، كل آية وكلمة من أساطير الأولين؛ الذين جاؤوا من قبل، وانقرضوا، وماتوا.

[٢٦] ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾:

﴿وَهُمۡ﴾: يعني: كفار مكة.

﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: ينهون من النهي، والهاء في ﴿عَنۡهُ﴾: تعود إما إلى القرآن، أو

إلى محمد ﷺ؛ أيْ: كفار قريش ينهون الناس عن اتّباع القرآن، واتّباع محمد ﷺ، أو كليهما، أو الاستماع لهما.

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾: من النأي: وهو الابتعاد عنه ﷺ، عن محمد ﷺ، أو القرآن، أو كليهما.

﴿وَإِن﴾: حرف نفي، بمعنى: ما، ﴿وَإِن﴾: أقوى نفياً من ما.

﴿يُهْلِكُونَ﴾: من الهلاك. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥)؛ للبيان، أو الأعراف آية (٤).

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ما: النافية، وما يشعرون أنهم يهلكون، ويخسرون أنفسهم، بعملهم هذا، ولو شعروا؛ لربما كفوا عن النهي، والنأي.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: شرطية، وجوابها محذوف، تقديره: (لرأيت عجباً، أو شيئاً عظيماً).

﴿تَرَىٰٓ﴾: للتعجب، رؤية قلبية، أو رؤية حقيقية بصرية.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان، للمستقبل؛ لأنه في حكم المحقق.

﴿وُقِفُوا۟﴾: فعل ماضٍ؛ فالماضي، أو الحاضر، أو المستقبل كله متساوٍ عند الله ، والضمير يعود على الذين كفروا، وأشركوا بالله تعالى.

﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: عرضوا على النار، أو عاينوها؛ لأنهم انكروها وانكروا

عذابها كما قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن:٤٣]، فهي تعرض عليهم كقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠]، وهم يعرضون كقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الشورى:٤٥].

﴿فَقَالُوا۟﴾: الفاء: عاطفة، وللتوكيد.

﴿يَٰلَيْتَنَا﴾: يا: للنداء، ليت: حرف مشبه بالفعل؛ للتمني، وتستعمل: لتمني المستحيل، ووقوعه.

﴿نُرَدُّ﴾: إلى الحياة الدنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾: لا: النافية.

﴿نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بآيات ربنا: القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات.

❖ ❖ ❖

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

سورة الأنعام [الآيات ٢٨ - ٣٥]

[٢٨] ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: ظهرت لهم أعمالهم الخفية التي عملوها في الدنيا في صحائف أعمالهم من النفاق، والسيئات، والشرك، وغيرها من المعاصي.

﴿مَّا كَانُوا﴾: يخفونه في قلوبهم؛ من صدق محمد ﷺ، ونعته، وراحوا يتمنون لو عادوا إلى الدنيا.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أيْ: حين كانوا أحياء.

﴿وَلَوْ﴾: شرطية، ردوا إلى الدنيا، كما سألوا الله في سورة فاطر، آية (٣٧): ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

﴿لَعَادُوا﴾: اللام: لام التوكيد.

لعادوا إلى ارتكاب ما نهوا عنه؛ أيْ: سيفعلون مثلما فعلوا من قبل؛ من الشرك، وسيِّئ الأعمال.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَكَاذِبُونَ﴾: اللام: للتوكيد، للإيغال في التوكيد، في وعدهم: بأن يكونوا مؤمنين.

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أيْ: صفة الكذب عندهم صفة ثابتة، ومستمرة.

[٢٩] ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: هم الآن في الآخرة، وقالوا حينما كانوا في الدنيا: إن هي إلا حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين.

﴿إِنۡ﴾: حرف نفي، أقوى من (ما) في النفي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أيْ: قالوا: ما هي إلَّا حياتنا الدنيا فقط حصراً، وما نحن بمبعوثين، ليس هناك آخرة.

لننظر إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٧]، فما هو الفرق؟

في الآية (٣٧) سورة المؤمنون: أضاف: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾، بينما في الآية (٢٩) من سورة الأنعام: لم يرد ذكر: نموت ونحيا.

السبب: هو أن آية سورة المؤمنون: جاءت في سياق الحياة الدنيا، قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾، وهم لا زالوا أحياء.

بينما آية سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾: من دون نموت ونحيا، قالوا ذلك وهم في الآخرة.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية. لو: شرطية، حذف جواب الشرط؛ للإبهام، والمبالغة، وتقديره: لرأيت العجب، والأمور العظام.

﴿تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أيْ: عرضوا على ربهم؛ لأنهم انكروا لقاء ربهم فقال ربهم أليس هذا بالحق، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨].

﴿قَالَ أَلَيْسَ﴾: استفهام توبيخي.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة، ويفيد القرب، ويشير إلى الوقوف أمام الرب، والبعث، والجزاء.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: بلى وربنا: الواو: واو القسم؛ أيْ: أقسموا بربهم أن كل ما وعده حق (البعث، والحشر، ويوم القيامة).

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: الفاء: للتوكيد، قال فذوقوا العذاب: أيْ: عذاب النار.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الباء: السببية، أو البدلية؛ أيْ: بسبب كفركم، أو بدل كفركم.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، والباء: للإلصاق، والتوكيد، كذبوا بلقاء الله: أيْ: بالبعث، والحساب، والجزاء.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، انتهاء الغاية.

﴿جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: جاءتهم: المجيء فيه معنىٰ الصعوبة؛ أيْ: جاءتهم بصعوبة، وجاءتهم فجأة. الساعة: لحظة تهدم النظام الكوني الحالي، أو ساعة احتضارهم، والقيامة الصغرىٰ.

﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾: الحسرة أشد درجات الندم.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: من التفريط: الإهمال والتقصير، ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية؛ أيْ: يا حسرة علىٰ تفريطنا في جنب الله تعالىٰ.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: الأوزار: أي: الذنوب، والوزر: أصله هو الحمل علىٰ الظهر، وأطلق علىٰ الذنب لثقله. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت، آية (١٣) للمقارنة.

﴿أَلَا﴾: أداة حضٍّ علىٰ الندم.

﴿سَاءَ﴾ فعل ماضٍ؛ لإنشاء الذمِّ؛ أيْ: بئس.

﴿مَا﴾: نكرة.

﴿يَزِرُونَ﴾: ساء ما يحملون علىٰ ظهورهم؛ من الذنوب، والآثام، والخطايا.

لنقارن بين هذه الآية (٣١) من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾، مع الآية (٤٠) من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

استعمل: ﴿جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ في الآية (٣١)؛ لأن السياق في الآخرة (تتحدث عن الآخرة)، استعمل جاء؛ أيْ: فيها معنىٰ الشدة والصعوبة؛ لأن الساعة جاءت وحصلت، واستعمل: ﴿أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ في الآية (٤٠)؛ لأن السياق في الدنيا، استعمل: أتىٰ؛ لأن الساعة لم تحدث، وتقوم بعد، إذنْ استعمل: (أتىٰ) قبل حدوث الساعة، و(جاء) بعد حدوث الساعة، وجاء تعني: وصل المكان وبصعوبة، وأتىٰ: لا زال في طريقه ولم يصل بعد.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: نافية.

﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر، وسمّاها الحياة الدنيا؛ لأن حقيقتها دنيا، وهناك حياة تقابل الحياة الدنيا؛ هي حياة عُليا، حياة الآخرة.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: ما هو اللعب، وما هو اللهو. ﴿لَعِبٌ﴾: هو شغل، لا يُلهي عن واجب، واللعب يسمَّىٰ لهواً، إذا صرفك عن عمل واجب؛ مثل: الصلاة، واللعب للأطفال دون سن (١٥) أمر طبيعي، وأما البالغ، أو الكبير إن كان يلعب لعبة وأتىٰ وقت الصلاة، ولم يصلِّ فاللعب حينها يصبح لهواً بحقِّه، وإذا كان اللعب مفيداً له؛ كالرياضة، والسباحة، فلا حرج في ذلك، إذا لم يُشغله عن واجباته، أما إذا كان اللعب تضييع للوقت يذمُّ عليه، ويعتبر عبثاً.

﴿وَلَهْوٌ﴾: هو كل ما يُلهي عن واجب، واللهو أسوأ من اللعب.

وإذا تأملنا آيات القرآن (الأنعام آية:٣٢)، (محمد آية:٣٦)، (الحديد آية:٢٠): نجد أن الله سبحانه قدم اللعب على اللهو، وفقط في آية واحدة (العنكبوت آية:٦٤) قدم اللهو على اللعب، فتقديم اللعب على اللهو في الأنعام، ومحمد، والحديد يتماشى مع مرحلة الطفولة (اللعب)، ومرحلة الشباب والكهولة (مرحلة اللهو)، وهذا هو الأصل والأصل لا يسئل عنه، وهذا هو حقيقة الحياة الدنيا، وأما في آية العنكبوت تقديم اللهو على اللعب هو كون الآية جاءت في سياق المكلفين ولا يسئل هذا السؤال، والإجابة عليه إلا من جاوز سن اللعب واضح في سن التكليف ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت:٦١].

حين يلعب الكبير بأي شيء يلهيه عن واجب؛ يسمَّى هذا لهواً.

أما إذا مارس الكبير لعب الرياضة؛ كالسباحة، والتمارين، ولم يُلهه ذلك عن واجب؛ فيسمَّى ذلك لعباً، واللهو: أعم من اللعب، ويحدث في كل زمن.

﴿ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: لأنها مليئة بالشهوات التي تلهي الإنسان عن طاعة الله.

وتقديم اللهو على اللعب أسوأ من تقديم اللعب على اللهو.

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾: هي الجنة.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل.

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص. اتقوا: أطاعوا أوامر الله، واجتنبوا محارمه.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام، يحمل معنى الحث على الفعل، والتفكر،

والتعجب، وإنكار ذلك الترك، ويحمل معنىٰ الأمر بفعله؛ أيْ: فكروا، استنبطوا، وزنوا الأشياء والمعطيات.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: من العقل: وهو الأداة التي تؤدِّي مهمة الاختيار ما بين البدائل، وللموازنة بين الدلائل واستنباط النتائج للوصول إلىٰ الحقائق.

[٣٣] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق والتوكيد؛ أيْ: نعلم.

﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾: إنه: لزيادة التوكيد؛ أيْ: إننا نعلم بكل توكيد.

﴿لَيَحْزُنُكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وتفيد أيضاً التوكيد، والحزُن: بضم الزاي: هو ألم النفس؛ أيْ: ضيق في الصدر علىٰ شيء قد مضىٰ، ضيق مؤقت، له مدة من الزمن، قد تطول، أو تقصر، ثم ينتهي.

أما الحزَن: بفتح الزاي: فهو ضيق في الصدر، ولكنه دائم، وليس مؤقتاً، كما هو الحال في الحزُن الذي يستمر إلىٰ زمن الموت؛ أيْ: يموت ومعه حزنه؛ كالمحكوم عليه بالإعدام، أو الموت بالسرطان؛ فالحزن لا ينقضي ويزول.

﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: يقولون: جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل: (الذي قالوا)؛ بصيغة الماضي؛ ليدل علىٰ استمرار ما يقولون، وأنه لم يتوقف، أو حكاية الحال، بدل الذي قالوا؛ لبشاعة ما قالوا.

والذي يقولون: إنك ساحر، أو مجنون، أو كذاب، أو لست مرسلاً، وغيره، أو ما يقولونه في عدم إيمانهم، وكفرهم، أو تمشي في الأسواق، أو ليس لك جنة من نخيل، وعنب، ولولا أنزل إليك ملك.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: للتعليل، إنهم للتوكيد.

﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: لا تفيد النفي، ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار عدم تكذيبهم لك في نفوسهم وفي السر.

وإضافة النون تفيد التوكيد، ولم يقل: يكذبوك؛ كما جاء في سورة الحج، الآية (٤٢): ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾، لم يضف نون التوكيد؛ لأنه لا حاجة لتوكيد تكذيبهم.

ولا ننسى أنه في الآية (١٤٧) من سورة الأنعام، قال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾.

وفي سورة آل عمران، الآية (١٨٤)، قال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

فنحن أمام آيات مختلفة:

١ - لا يكذبونك.

٢ - وإن يكذبوك (الفرق بزيادة نون التوكيد).

٣ - فإن كذبوك.

فكيف نجمع بين لا يكذبوك، وبين فإن كذبوك؟

لا يكذبونك: في باطن أنفسهم، وفي نجواهم وسرهم؛ لأنك أنت الصادق الأمين، في أعينهم؛ إذ يعرفونك منذ سن الصغر، أنك لا تكذب، وأطلقوا عليك اسم الصادق الأمين.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال؛ أيْ: كذبوك أمام الناس؛ ليصدوا الناس عن الدخول في دِينك، واتباعك.

و﴿كَذَّبُوكَ﴾: جاءت بصيغة الماضي؛ لتدل على حادثة ما، وانتهت، أو زمن معين وانتهى؛ حين قالوا: ساحر، أو مجنون، أو يعلمه بشر، وغيرها؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾:

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وصفوا بالظالمين، وأن الظلم عندهم صفة ثابتة؛ لكونها جملة اسمية، تدل على الثبوت، والظلم: قد يعني الشرك؛ أي: المشركون بآيات الله، يجحدون، أو الظالمون؛ لكونهم يجحدون بآيات الله، سواء أكانت الآيات القرآنية، أم الكونية والمعجزات.

﴿يَجۡحَدُونَ﴾: من الجحود؛ أيْ: ينكرون آيات الله، ولا يؤمنون بها، والباء بآيات: تدل على الإلصاق، والاستمرار.

وهناك فرق بين الإنكار والجحود:

الجحود: هو إنكار الشيء الظاهر؛ أيْ: هم ينكرون آيات الله كلها، الظاهرة، والمعلومة، مع العلم بها؛ فالجحود أخص من الإنكار، وقد يكون أمراً لسانياً قولياً، أيْ: ينكره بلسانه فقط، للعناد، ولكنه في نفسه يُقرُّ ذلك.

الإنكار: هو إنكار الشيء الخفي غالباً، وقد يشمل الشيء الظاهر.

أو الإنكار للشيء مع العلم به، أو غير العلم به، مثل إنكار النِّعمة؛ لأنها تكون خفية، كما قال تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣].

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾:

هذه الآية تشير إلىٰ سنة تكذيب الرسل كان أمراً شائعاً في الأمم السابقة، فما يحدث لك؛ إنما حدث لرسل من قبلك.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة. لقد: اللام: للتوكيد، قد: لزيادة التوكيد.

﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: كذبت: التاء: تاء التأنيث، تدل علىٰ الكثرة؛ أيْ: كثرة الرسل الذين كُذِبوا من قبل مجيئك؛ أيْ: هناك الكثير من الرسل الذين جاؤوا من قبلك، قد كُذِّبوا، ولو قال: كذب رسل من قبلك؛ لدلَّ ذلك علىٰ القلة؛ لأن مجيء الفعل بصيغة التذكير يدل علىٰ القلة، ومجيء الفعل بصيغة التأنيث يدل علىٰ الكثرة، كما قال تعالىٰ في سورة يوسف، آية (٣٠): ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾.

﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾: الفاء: تفيد التوكيد.

﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية؛ أيْ: صبروا علىٰ الذي كذبوا، أو علىٰ تكذيب أممهم لهم، ولم يصبروا فقط، بل أيضاً أوذوا.

﴿وَأُوذُوا﴾: من قبل الكافرين، والمستكبرين، من الملأ من أقوامهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية؛ تعني: نهاية الغاية، ويعني: استمرار تكذيبهم وإيذائهم، حتىٰ النهاية، وهي: ﴿أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.

﴿أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: سواء كان بالنصر والغلبة، أو الفتح، ونجاة الرسل وأتباعهم الذين آمنوا بالله.

﴿أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: أتاهم: تدل علىٰ السهولة، واليسر، وجاءهم: تدل علىٰ

الصعوبة، والعسر، والمشـقة وأتاهم؛ أيْ: نصرناهم بسهولة، ويسر، فكانوا هم الغالبين، والنصر: يكون بالعُدة والعتـاد، والقوة، والقتال، أما الفتح: فيكون من دون قتال غالباً، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١٠) في سورة يوسف وهي قوله تعالىٰ: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: نجد أن جاءهم جاءت في سياق استيئس الرسُل وهي حالة أشـد وأصعب بكثير فـي حالة الصَّبر علىٰ تكذيب الرسـل ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾ التي وردت في آية الأنعام.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا: نافيـة للجنـس؛ أيْ: لا تغيير، ولا تبديل في وعد الله لرسله، ولعباده المؤمنين بالنصر، كما جاء في آيات كثيرة:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: [الحج:٤٠].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿جَآءَكَ﴾: أخبرناك، وقصصنا عليك، واسـتعمل جاء بدلاً من أتاك؛ لأن أنباءَهم كانت شديدة ومرعبة.

﴿مِن نَّبَإِى﴾: مـن: ابتدائيـة، أو بعضية، من بعض أنبـاء: والنبأ: هو الخبر العظيم، المهم؛ أيْ: أخبرناك، أو أطلعناك علىٰ أنباء الرسل المهمة في هذا القرآن كيف نصرناهم، ونجيناهم، وكيف دمرنا الذين كذبوا برسلهم.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: تشمل الأنبياء والرسل.

[٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

﴿وَإِن كَانَ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الندرة، أو الاحتمال.

﴿كَانَ﴾: للتوكيد.

﴿كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: أيْ: شق وعظيم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: الإعراض: هو التولي، والانصراف عن الإيمان، وعدم استجابتهم لك، وتكذيبهم، وكفرهم بآيات الله، والإعراض عن الدخول في الإسلام، والحقيقة: أن إعراضهم قد كبُر على رسول الله ﷺ، وشقَّ عليه ذلك، ودلَّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨].

﴿فَإِنِ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿ٱسْتَطَعْتَ أَن﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: أن تلتمس، أو تبحث عن نفقٍ في أعماق الأرض، فتسير فيه، حتى تعثر على آية؛ أيْ: معجزة فتأتيهم بها.

﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: أو تلتمس سُلَّماً في السماء؛ فترقى فيها؛ حتى تأتيهم بآية، كما اقترحوا؛ تدل على نبوَّتك، فائْت بها إن استطعت، وما طلبوه منك ليس أمراً جديداً، فكثير من الأقوام طلبوا من رسلهم آية أو آيات؛ أيْ: معجزات تدل على نبوَّتهم.

والحقيقة: حتى ولو جئتهم بما طلبوا، وليست آية واحدة، بل آيات عدة؛

فهم لن يؤمنوا، كما فعل من سبقهم، وهذه ليس مهمتك إن أنت إلّا نذير وبشير، فما عليك إلَّا بالصبر.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: لو: شرطية. شاء الله: المشيئة: تأتي قبل الإرادة.

﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: على الإيمان، والدِّين الواحد؛ حيث هو قادر على هدايتهم، أو إذا لم يهتدوا قهرهم، وحملهم على الإيمان، بإنزال آية من الآيات فوق رؤوسهم، وعندها يكون إيمانهم ليس اختياراً، بل قسراً، والله لا يريد ذلك، أو غني عن ذلك.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: والرسول ﷺ معصوم من الجهل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾.

فالخطاب مُوجَّه إليه ﷺ، لكن المقصود أمَّته المسلمة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لسنن الله وحكمه، وليس عليك هداهم، وإنما عليك البلاغ المبين، ولو شاء الله لجمعهم على الهدىٰ، وعلىٰ دِين واحد، أو لو شاء لهداهم أجمعين. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لبيان معنىٰ الجاهلين.

❖ ❖ ❖

الحزب ١٤

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ ۖ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

سورة الأنعام [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾:

المناسبة: لا يكبر عليك إعراض هؤلاء الجاحدين المعرضين، وعدم الاستجابة لك؛ فإنه لا يستجيب لك إلّا الذين يسمعون ﴿يَسْتَجِيبُ﴾، ولم يقل: إنما يُجيب، فهناك فرق بين استجاب، وأجاب.

استجاب: يعني لبَّىٰ بما دعاه إليه، وحقق ما طُلب منه، فإذا طلب منه أن يؤمن تراه حريصاً علىٰ التعلم، وتنفيذ ما يطلب منه، استجابة بالقول، والعمل.

أمَّا أجاب: فقد يجيبك بالرفض، أو القبول.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم وطاعة، إذنْ الذي يستجيب لدعائك إلىٰ الإيمان فقط الذين يسمعون سماع فهم، وتدبُّر، وطاعة؛ أي: الذين آمنوا.

والموتىٰ؛ أي: الذين كفروا فهم كالموتىٰ؛ لكونهم لا يسمعون سماع فهم، وطاعة، ولا يستجيبون لأي دعوة للإيمان، فهم في عداد الموتىٰ، رغم أنهم أحياء.

﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يوم القيامة من قبورهم، كيف يتم ذلك. ارجع إلىٰ سورة الروم، آية (١٩)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: ثم: تفيد الترتيب والتراخي، إليه: حصراً وقصراً، لا لأحدٍ غيره، يرجعون: للجزاء، والحساب.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

تستمر مواصلتهم للجدال.

﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: استئنافية. قالوا: أيْ: كفّار مكة.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حضٍّ.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: معجزة.

وكأنهم لا يريدون أن يعترفوا بالقرآن كمعجزة، رغم أنهم طلبوا طلباً آخر، حين قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: إن: تفيد التوكيد، قادر: على أن ينزل آية، أو أكثر من آية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ﴾: نجد في آية الأنعام نزل التي هي أكد وأبلغ من أنزل، ويرجع ذلك أن آية الأنعام جاءت في سياق: ﴿أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ﴾، وآية يونس جاءت في سياق: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ﴾: نجد أن آية الأنعام أشد وأصعب من آية يونس.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: ولم يقل: كلهم لا يعلمون.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله إذا استجاب لهم، وأنزلها عليهم، ولم يؤمنوا؛ لكانوا من المهلكين.

[٣٨] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من: استغراقية؛ تعني: الشمول؛ أيَّ دابة، مهما كانت. دابة: مشتقة من الدبِّ، وهو المشي، وبعضهم يطلق كلمة الدابَّة على كل ما يدبُّ على الأرض: من إنسان، أو حيوان، أو جنٍّ، وبعضهم يطلقها على الحيوان فقط. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٦٤)؛ لمزيد من البيان، وسورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ولم يقل: على الأرض؛ لأن ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: تعطي معنى على الأرض، وفي داخل الأرض معاً، ولأن الأرض تشمل الطبقة الغازية المحيطة بالأرض، والتي هي تخص الأرض.

ولو قال: على الأرض؛ لما شملت الدواب الكثيرة التي تعيش تحت الأرض.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النافية؛ لتوكيد النفي.

﴿طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: من المعلوم أن معظم الطيور تحتاج إلى أجنحة لتطير بها، وذكر ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: الأمة هنا معناها: جماعة معينة لها صفات معينة، وعمل، وزمان.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾: ما: نافية.

﴿فَرَّطْنَا﴾: من التفريط، وهو التقصير والتضييع؛ أيْ: لم نترك شيئاً إلا بيَّنَّاه لكم مما تحتاجون إليه من أمور الدنيا والدِّين.

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: مثل اللوح المحفوظ، أو القرآن.

﴿مِن شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، وشيء: نكرة.

يشتمل كل شيء صغير، وكبير، مهما كان نوعه وجنسه، والشيء: أقل القليل؛ إلّا وذكر في اللوح المحفوظ، أو القرآن.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور، اسم الجلالة، وتقديم الجار والمجرور: يفيد الحصر، والقصر، بدلاً من القول: ثم يحشرون إلىٰ ربهم.

﴿يُحْشَرُونَ﴾: إليه، وحده يحشرون.

والحشر: يتم بعد البعث من القبور، ويشمل السوق إلىٰ أرض المحشر، والجمع.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أيْ: آيات القرآن، شبههم ربُّهم بالصُّم؛ الذين لا يسمعون أبداً، والبكم؛ الذين لا ينطقون رغم أنهم يسمعون، ويتكلمون، والباء: للإلصاق.

﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾: صم؛ لأنهم أصموا أذانهم عن سماع الحق وتلقي القرآن؛

لا يسمعون القرآن وآياته، وما أنزل إليهم من ربهم، وبكم؛ لأنهم لا ينطقون، ويقرؤون القرآن؛ أيْ: سماع تدبر، وهداية، أو نطق بالحق.

في الظلمات: وصفهم بالصم والبكم التائه في الظلمات (لتعدد الظلمات) ومنها ظلمة الشرك، والكفر، والضلالة، والمعاصي.

﴿مَن﴾: ابتدائية، تضم المفرد، أو الجمع، وتعني العاقل.

﴿يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾: أيْ: من اختار، واستحب الضلالة على الهدى، ولا يريد الخروج منها يتركه وشأنه؛ فيموت على الكفر، والشرك، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، ومن اختار الهداية يساعده كي يبقى، ويستقيم على الصراط المستقيم: وهو الإسلام.

وجاء بالصمم، قبل النطق؛ لأن الإنسان لا يتكلم إلَّا إذا سمع، أو كون جهاز السمع يخلق قبل جهاز النطق.

وقوله: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾: إضافة الواو يدل على أنهم جماعات مختلفة، منهم: الأصم، ومنهم الأبكم.

ولو قال: صم بكم، من دون الواو؛ لدلَّ ذلك أنهم جماعة واحدة، أصابها الصم والبكم معاً؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨) للمقارنة وهي قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾.

﴿يَشَإِ﴾: من المشيئة، والمشيئة تأتي قبل الإرادة، والمشيئة أو غريزة الإيمان موجودة عند كل عبد، وما عليه إلَّا أن يبعثها ويوقظها في قلبه، وكما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أيْ: أخبروني إِخبارَ من له علم ودراية، أخبروني بشيء من التأكيد.

والهمزة في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: للاستفهام، والتقرير، والتعجب، والرؤية هنا رؤية بصرية، ورؤية قلبية، فكرية؛ بمعنىٰ: العلم.

وزيادة الكاف كلمة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: مقارنة بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: لزيادة التنبيه، والتوكيد، فكأن المخاطب غافلٌ، والأمر يستوجب التنبيه؛ لأن الآية التي قبلها تحدثت عن الذين في الظلمات، والصم والبكم، فمثل هؤلاء يحتاجون إلىٰ تنبيه شديد، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾، بدلاً من أرأيتم، مبالغة في الإخبار؛ لأن هناك عذاباً، وهلاكاً قادماً عليهم.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾: إن شرطية، وتفيد القلة في الحدوث؛ لأن هذا الحدث؛ أيْ: وقوع العذاب، أو مجيء الساعة يحدث مرة واحدة فقط.

﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: الذي كان يأتي الأمم السابقة؛ كالريح الحاصبة، والعقيم، والصيحة، والرجفة.

﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أيْ: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، أو ساعة الاحتضار، أو ساعة الكرب والهلاك.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام التوبيخي، أتدعون عندها حجراً، أو وثناً، أو صنماً؛ لمساعدتكم، وإنقاذكم من العذاب.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: المعنى: إن كنتم حقاً صادقين أخبروني من تدعون، وتستغيثون حين نزول البلاء بكم؛ لكشف الضر عنكم، آلله سبحانه، أم غيره.

إذنْ: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: فيها تنبيه أشد وأكثر من أرأيتم، وكذلك مبالغة في الإخبار، وذلك كلُّه ناتج عن زيادة الكاف.

ومثال آخر: هو كلمة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] مقارنة بكلمة: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: فيها تعجب، وإخبار أشد؛ أيْ: أعلمني، وأخبرني بكل تأكيد مقارنة بكلمة ﴿أَرَءَيْتَ﴾.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل؛ يدل على القصر الحقيقي، والتوكيد فقط.

﴿إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: أيْ: فقط إياه وحده تدعون لإنقاذكم.

﴿تَدْعُونَ﴾: عند الشدائد.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: أيْ: يرفع عنكم العذاب، أو يزيله، أو يكشف الضر، أو البأس.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة إن شاء أن يستجيب لكم، فله الخيرة.

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: في تلك الفترة، فترة الإنقاذ، وكشف الضر، تنسون

ما كنتم تشـــركون به من قبل؛ لأنكم حينئذٍ تعلمون حق اليقين: أن الله هو الذي بيده الملك، والحاكم، والقادر على إنقاذكم.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٤)؛ للبيان.

﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: قال: ﴿أَرْسَلْنَآ﴾: ولم يقـــل: بعثنا؛ إذ هناك فرق بينهما؛ ارجع إلى الآية (٦٤) من سورة النساء؛ للبيان، أو البقرة، آية (١١٩).

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: أيْ: بعد أن كذبوا رســـلهم، عاقبناهم، والأخذ يعني: بشدة، وقوة.

﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: القحط، والفقر، والجوع، والخوف، والعواصف، والبراكين، والأوبئة، والكوارث الجوية تصيب الجميع.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض، والألم، والفقر، والجوع، يصيب الفرد وحده.

فالبأســـاء؛ تعني: الإصابة عامة تشـــمل الجميع، والضراء: خاصة تصيب الفرد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: التضرع: هـــو التذلل، والاســـتكانة، والخضوع؛ لعلَّهم يرجعون إلى طريق الإيمان، والتضرع: قد يُقبل، أو لا يُقبل.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٩٤) من سورة الأعراف.

في سورة الأنعام، الآية (٤٢): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

وسورة الأعراف، الآية (٩٤): ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

الاختلاف الأول بكلمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾: ما: للنفي؛ أيْ: آية الأنعام: تؤكد، وآية الأعراف: تنفي.

الاختلاف الثاني: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ﴾، ﴿أَرْسَلْنَا فِى﴾: إلىٰ: تفيد الانتهاء، أرسلنا إلىٰ الإرسال، لا يقتضي المكث، وإنما يقتضي التبليغ والعودة.

أما أرسلنا في: فتفيد الظرفية، أرسلنا في: الإرسال؛ يعني: المكث، والدخول فيهم، مع التبليغ، والانتظار.

الاختلاف الثالث: أمم مقابل قرية، الأمم أكثر عدداً من القرية.

الاختلاف الرابع: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: أطول بعدد الحروف، وفيها تشديد واحد، عدد المتضرعين أكثر بكثير، من القرية، فزيادة البناء في كلمة ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: لتناسب زيادة عدد السكان، وتضرعهم أقل شدة من تضرع أهل القرية.

﴿يَضَّرَّعُونَ ﴾: الكلمة أقصر، وفيها تشديدان؛ لأن عدد المتضرعين في القرية أقل من عدد المتضرعين من الأمم، ولكن تضرع أهل القرية رغم عددهم القليل هو أشد تضرعاً من تضرع الأمم.

[٤٣] ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ فَلَوْلَآ﴾: الفاء: استئنافية. لولا: حرف توبيخ، وندم؛ لأنها دخلت علىٰ فعل ماض، ولو دخلت علىٰ المضارع؛ فهي للحضِّ والحثِّ.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للماضي.

﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا.

﴿تَضَرَّعُواْ﴾: أظهروا الخضوع، والتذلل لله تعالىٰ، وأنابوا إلىٰ ربهم وتابوا.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك.

﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: بدلاً من أن تلين، وتتوب، وتندم علىٰ العكس قست قلوبهم، وأقاموا علىٰ كفرهم، ولم يرتدعوا.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: قبل مجيئهم بأسنا.

وقال: ما يعملون: ولم يقل: ما عملوا؛ لأن عملهم استمر، وتكرَّر، وتجدَّد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي كانوا يعملون، أو مصدرية؛ أيْ: زيَّن لهم الشيطان أعمالهم.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، وتدل علىٰ التعقيب والمباشرة.

﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي ذكروا به؛ أيْ: ما وعظوا، أو تضرعوا.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أبواب: ولم يقل: باب ليصور لك كثرة الخيرات والرخاء، والسرور، والرزق، والنعيم؛ حتىٰ يظنوا ظناً باطلاً، ما نزل بهم، وحلّ بهم، ليس انتقاماً، أو أمراً سيئاً، وما يحدث لهم الآن من فتح

وخيرات؛ لكونهم يستحقونها، وعندئذٍ يفرحون، وعندما يبلغ فرحهم وسرورهم أقصاه: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: أيْ: أطبقنا عليهم العذاب فجأة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟﴾: حرف لنهاية الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية للمستقبل؛ فرحوا: بطروا؛ أي: بلغ فرحهم أقصىٰ درجاته، وهو الفرح المذموم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنىٰ الفرح وأنواعه.

﴿فَإِذَا﴾: للمفاجأة.

﴿هُم﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد علىٰ كونهم ﴿مُّبْلِسُونَ﴾.

﴿مُّبْلِسُونَ﴾: مرة أخرىٰ، يائسون من رحمة الله، ومنقطع رجاؤهم، وساكتون، منقطعة حججهم، ليس عندهم ما يقولونه؛ من كلام في اكتئاب، وكسوف، وحزن، وحسرة، وندم، ولكون هذه المرة ليست المرة الأولىٰ التي تمر بهم فهم قد كذبوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذه إحدىٰ السنن الكونية في الاستدراج في العذاب. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (٧٧)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ مبلسون.

❖ ❖ ❖

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة الأنعام [الآيات ٤٥ - ٥٢]

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَقُطِعَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أيْ: آخرهم، والدابر: التابع من الخلف؛ أيْ: هلكوا واستُؤصِلوا جميعاً.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: السؤال هنا: كيف نفسر قوله تعالىٰ: والحمد لله رب العالمين، ولم يقل: وهو العزيز الحكيم كما في الآيات الأخرىٰ.

الحمد لله هنا قد يكون لسببين:

الأول: لأنه انتهىٰ أمر الذين ظلموا، بكونهم هلكوا عن بكرة أبيهم، وانتهىٰ أمر فسادهم، وظلمهم في الأرض، فهذا يستحق الحمد.

والثاني: الحمد لله علىٰ نعمته علىٰ المؤمنين بأن أنجاهم ونصر رسله وأوليائه.

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، والتقرير.

والرؤية هنا: رؤية قلبية، ورؤية بصرية، وتعني: أخبروني بشكل مؤكد، أو من له علم ودراية. ارجع إلىٰ الآية (٤٠)، من نفس السورة؛ لمعرفة الفرق بين أرأيتم، وأرأيتكم.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تدل على الاحتمال.

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾: الأخذ يعني بقوة وشدة والأخذ هنا قد يكون الأخذ الحقيقي بالطمس أو بالتعطيل، بمرض ما، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: على عقولكم، فتصبح لا تعي ولا تفهم، أو لا يدخلها إيمان، أو يخرج منها كفر، والطبع أشد من الختم؛ لأن الختم لا زال فيه بريق أمل أما الطبع انتهى الأمر.

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: من: استفهامية، إله: غير الله يأتيكم به: يُعيدُ إليكم سمعكم وأبصاركم؛ أيْ: يشفيكم، وتعني: يهديكم للإيمان.

﴿ٱنظُرْ﴾: أيْ: فكِّر وتمعَّن.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والسؤال عن الحال والتعجب، والإنكار.

﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: الآيات: جمع آية، أيْ: نكرر، ونوضِّح الآية الواحدة، أو المسألة الواحدة بأساليب متعددة، مختلفة، وصور شتى؛ حتى يتبيَّن، وينكشف المعنى الحق، والخفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤).

﴿ثُمَّ﴾: للإيغال في التوكيد.

﴿هُمْ﴾: يفيد التوكيد.

﴿يَصْدِفُونَ﴾: من صدف؛ أيْ: أعرض إعراضاً شديداً، وقيل: أيضاً صرف غيره عنها؛ أيْ: أضل غيره، وصدف عنه: مال، وأعرض عنه، ميلاً شديداً، والإعراض، أو الميل قد يكون خفيفاً، فتبقى بجانب الشخص الذي تعرض عنه، ولكن إذا صدفت تذهب إلى الجانب البعيد الآخر.

إذنْ الصدف: الإعراض عن الشيء، إضافة للذهاب إلى الجانب البعيد، إلى ناحية بعيدة، وذكرت هذه الكلمة في سورة الأنعام أربع مرات.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٠) للبيان.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾: بشكل مفاجئ، دون أيِّ إنذار، أو علامة سابقة، أو ليلاً، هل تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم، وأهليكم، أو تنصركم آلهتكم التي تدعون من دون الله.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: أي: أتاكم عذاب الله ظاهراً، عياناً، بإنذار، ومقدِّمات، أو نهاراً، وذكر ﴿جَهْرَةً﴾: هنا لكيلا يقولوا: لو جاءنا جهرة؛ لكنا قادرين علىٰ ردِّه، أو دفعه؛ أيْ: أنتم عاجزون عن دفع العذاب في كلا الحالين: إن أتاكم بغتة، أو جهرةً.

﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾: استفهام تقريري، أو إنكاري؛ بمعنىٰ النفي؛ أيْ: ما يهلك بالعذاب، إلّا القوم الظالمون، وفي الآية تهديد ووعيد للظالمين.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر، والقصر علىٰ القوم الظالمين.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: جمع ظالم؛ لنفسه، أو لغيره، أو معاً. والظالمون، والظلم: هو الخروج عن دِين الله، أو المنهج.

قد تعني المشركون؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤) لمعرفة معنىٰ الظلم.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: نفي للتوكيد.

﴿نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا﴾: للحصر.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان، فهذه مهمتهم، الإبلاغ، الإنذار، والتبشير.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾: مهمة الناس الإيمان، والإصلاح، والاستجابة، أو بالعكس: رفض الاستجابة للمرسلين، كما سنرىٰ في الآية (٤٩)، والإيمان محلُّه القلب، والإصلاح، والطاعة من عمل الجوارح، مثل اليد، واللسان، وغيرها؛ لأن الفساد الذي يحدث في الأرض هو من عمل الإنسان.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية تشمل الفرد، والجمع.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ولا: نافية تعمل عمل ليس والخوف: هو توقع الضرر والمشكوك في وقوعه؛ ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

[٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾:

في الآية السابقة ذكر ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أما القسم الآخر: فهم الذين كذبوا بآيات الله، سواء أكانت القرآنية منها، أم الكونية، أم المعجزات، فهؤلاء يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون.

﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: يمسهم: يصيبهم العذاب، وشبه العذاب بأنه كائن حي؛ لأن المسَّ من صفات الأحياء.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق. وما: مصدرية.

﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿يَفْسُقُونَ﴾: أيْ: خروجهم عن طاعة الله، وعن الدِّين. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٦)؛ للبيان. يفسقون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدلّ علىٰ استمرار فسقهم، وتجدُّده.

[٥٠] ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر مهمة الرسل؛ مبشرين، ومنذرين، وبعد أن ذكر قول كفَّار مكة: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان:٨]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف:١٨٧]، وقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ﴾ [الأنعام:٨].

فأنزل الله رداً علىٰ بعض أسئلتهم.

﴿قُل﴾: لهم يا محمد ﷺ، ثلاثة أنباء:

أولاً: لا أقول لكم عندي خزائن الله، وهذه الخزائن مذكورة في سورة الحجر الآية (٢١)، وهي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. ارجع إلىٰ سورة الحجر، هي: النجوم السماوية التي يقدر عددها بالترليونات في كل مجرة من المجرات التي يتراوح عددها بين (٢٠٠,٠٠٠) مليون مجرة، و(٥٠٠,٠٠٠) مليون مجرة، وكل نجم من هذه النجوم هو فرن ذري جاهز لإنتاج ما يريده رب العالمين من معادن: كالذهب، والفضة، والحديد، والألماس، وغيرها من المعادن بكميات أكبر من الأرض، وفي هذه النجوم تتشكل كل المواد التي يحتاجها البشر فهي لا تنفد ولا تنقص.

ثانياً: ولا أعلمُ الغيبَ: الغيب: هو كل ما غاب عن البصر، والحواس، أو المدركات.

ثالثاً: ولا أقول لكم إني ملك؛ أيْ: من الملائكة.

وتكرار (لا) ثلاث مرات يفيد التوكيد، وفصل كل أمر عن الآخر، أو الكل معاً.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾:

﴿إِنْ ﴾: نافية، وأقوىٰ من النفي من (ما)؛ أيْ: ما أتبع إلَّا ما يوحىٰ إليّ.

﴿إِلَّا ﴾: تفيد الاختصاص والحصر.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء، ﴿إِلَيَّ ﴾: من ربي؛ أيْ: كل ما يُلقي إليَّ الله من تكاليف، وتعاليم دِينية، وآيات. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

وهو بذلك ينفي عن نفسه أيَّ صفة من صفات الألوهية، وهي ملكية الخزائن، وعلم الغيب، وكونه من الملائكة؛ أيْ: له طاقة، وقدرة تفوق القدرة البشرية.

﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾: هل: استفهام توبيخي، يستوي الأعمىٰ: الضال، الكافر، أو المكذب بآيات الله تعالىٰ، والبصير، المهتدي، المؤمن، والمصلح.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري علىٰ عدم تفكرهم، وتوبيخ علىٰ عدم استعمال عقولهم؛ أيْ: النظر فيما يوعظون به.

﴿أَفَلَا ﴾: الفاء: فاء السببية؛ أي: ما قبلها سبب لما بعدها، ألا: أداة تنبيه،

وحضٍّ، وتحمل معنىٰ الأمر؛ أيْ: لم لا تتدبَّرون في هـذه البراهين، والدلائل الدالَّة علىٰ وحدانية الله، وصدق رسـوله ﷺ، وإن الله هـو الإله الحق؛ الذي يستحق العبادة.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٣١) من سورة هود.

في سـورة الأنعام، الآية (٥٠): ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

وفي سورة هود، الآية (٣١): ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ حذف لكم في سورة هود.

الاختلاف يعود أولاً:

١ - آية سورة الأنعام: هي قول رسول الله محمد ﷺ، وآية سورة هود هي ما قاله نوح .

٢ - زيادة لكم في آية سـورة الأنعام؛ كانت رداً من رسـول الله ﷺ علىٰ قومه؛ الذين كانوا يسـألونه عن كثير من المعجـزات، ولذلك أضاف لكم؛ فيها توكيد، ولكم خاصة.

بينما نوح : لم يسأله قومه عن المعجزات التي سألتها قريشٌ رسولَ الله ﷺ.

[٥١] ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾: أيْ: بالقرآن؛ لقوله في سـورة الأنبيـاء، الآية (٤٥): ﴿قُلۡ

﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ بالقرآن، وقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يخافون: من الخوف وهو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، السؤال: وهل يخاف المؤمن أن يحشر إلى ربه؟ الجواب: لا.

إذنْ من هم هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم؟ هم الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا، أو فسقوا، وقيل: هم المؤمنون العاصون، الفاسقون.

وهذا الإنذار مُوجَّه إلى كل فرد، والإنذار هو إعلام مع تخويف، أو زجر، أو تحذير، ولعلَّهم إن جاءهم الإنذار أن يؤمنوا ويصلحوا.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: أيْ: في الدنيا، ﴿لَيْسَ﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: من غير الله من ولي.

﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾: من: استغراقية؛ تشمل أيَّ ولي. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢٢) لمعرفة الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

الولي: هو المعين، والحفيظ؛ يحفظ المؤمن، ويتولى شؤونه، ويُكن له المودة.

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: ولا: نافية. و(لا): في النفي أقوى من: (ليس).

إذنْ نفي الشفيع أقوى من نفي الولي. ارجع إلى الآية (٧٠) من نفس السورة للبيان.

وتعني: أيَّ شفيع، مهما كان من الإنس، أو الجن، أو الملائكة.

والشفيع: صيغة مبالغة من شـــافع: وهو الذي يطلب العفو لشخص آخر؛ لكي يدفع عنه العذاب لذنب، أو جرم فعله المشفوع له، ولا تتم الشفاعة إلَّا بإذنٍ ورضا من الله تعالىٰ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعـــلَّ: أداة رجاء، أو تعليل، لعـــلَّ هذا الإنذار يعيدهم إلىٰ طاعـــة الله، والإيمان، والإصلاح، وكذلك اتخذوا الأســـباب الأخرىٰ للتقوىٰ، وطلبوا من الله القبول أن يصبحوا من المتقين.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾:

ســـبب النزول: عدة روايات منها: أن رؤســـاء المشـــركين من قريش قالوا لرســـول الله ﷺ: لو طردت عنك فقراء المســـلمين، أمثـــال: عمار، وصهيب، وبلال، وخباب، وســـلمان، وغيرهم؛ لجلسنا معك، وحادثناك، فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين، فقالوا: فأقمهم عنا، إذا جئنا، فإذا أقمنا فأقعدهم معك إن شئت، ويبدو أن رســـول الله ﷺ قبل هذا الاقتراح طمعاً في إيمانهم؛ فنزلت هذه الآية. رواه مسلم.

وفـــي رواية أخرىٰ: رواها الطبري عن عكرمـــة: أنهم طلبوا من أبي طالب أن يكلِّم ابن أخيه رســـول الله ﷺ، فكلّم أبو طالب رســـول الله ﷺ في المسألة الســـابقة، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلنا ذلك حتىٰ ننتظر ماذا يريدون؛ فنزلت هذه الآية. والمهم عموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: ناهية.

﴿تَطْرُدِ﴾: الطرد: هو الإبعاد، والإقصاء.

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: قائمـــون علىٰ طاعـــة، وعبادة ربهم،

بالغداة والعشي؛ أي: الدائمون، والغداة: أول النهار، والعشي: آخر النهار؛ أي: الدائمون في العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: عبر عن الذات بالوجه، ذكر الجزء، ويراد به الكل؛ أيْ: ليس عبادتهم رياءً، وإنما سِمَتُهم الإخلاص لله تعالى وحده ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: أيْ: حساب هؤلاء على ربهم فقط، وليس عليك يا محمد ﷺ.

﴿مِّن شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، تستغرق كل شيء؛ والشيء هو كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً، ويعني: أقل القليل، وسواء أكان صغيراً، أم كبيراً، مهما كان نوعه، وفي هذا دليل على كرامتهم عند ربهم، وصدقهم، وإخلاصهم، ولا يجوز طرد هؤلاء، أو إشعارهم بذلك.

وذكر المفسرون شيئاً آخر، أراد الله أن يكرمهم به، فكان لا يقوم رسول الله ﷺ من مجلسه مع هؤلاء المستضعفين حتى يقوموا هم أولاً، ونزلت في حق هؤلاء الآية.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨].

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: اتباعاً لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؛ أيْ: لا يؤاخذون بحسابك، ولا أنت بحسابهم.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: الفاء: السببية.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم، أو ظلموا غيرهم. ارجع إلىٰ الآية (٤٧) من نفس السورة؛ لبيان معنىٰ الظلم.

وهذا الخطاب، وإن كان مُوجَّهاً لرسول الله ﷺ؛ فالمقصود به الدعاة إلىٰ الإسلام، ففيه إرشاد لمنهج الدعوة.

وإن الهداية لا تكون إلَّا بمشيئة الله، وأن مهمة الرسول ﷺ، أو الدعاة فقط التبليغ، والتبشير، والإنذار.

❖ ❖ ❖

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

ربع الحزب ١٤

سورة الأنعام [الآيات ٥٣ - ٥٩]

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما فتنّا المستكبرين من زعماء قريش بعدم الجلوس مع رسول الله ﷺ حتىٰ يطرد الفقراء الضعفاء من حوله ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: الفقير بالغني، والغني بالفقير، والقوي بالضعيف، والعالم بالجاهل، والفتنة: هي الابتلاء والاختبار، وقد تكون خيراً، أو شراً. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾: اللام: لام التوكيد. ليقولوا: تعود علىٰ المستكبرين من زعماء قريش، والأغنياء منهم.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: للاستفهام، والاستخفاف، والتهكم، والاستبعاد، والهاء: للتنبيه. أولاء: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ الفقراء من صحابة رسول الله ﷺ؛ الذين أسلموا معه.

﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: أيْ: فضَّلهم الله علينا، أو أنعم الله عليهم؛ بالهداية، والتوفيق.

﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: أيْ: من دوننا.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتقرير.

﴿ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾: ممن يقع منهم الإيمان والشكر، فيهديهم، ويوفقهم، بالشاكرين لأنعُم الله، فأكبر نعمة هي نعمة الإسلام والإيمان لله وحده. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لبيان معنىٰ الشاكرين.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، وإذا: ظرفية للمستقبل، وتتضمن معنىٰ الشرط.

﴿جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: أيْ: جاءك الذين يصدقون، ويؤمنون بآياتنا من هؤلاء الذين يريدون وجهه، ويدعون ربهم بالغداة والعشي، ونهيناك عن طردهم إذا جاؤوك هم، أو غيرهم من المؤمنين.

والمجيء فيه معنىٰ المشقة، والصعوبة؛ لكونهم كانوا يخفون إيمانهم خوفاً من كفار قريش.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد؛ أيْ: يا رسول الله ﷺ.

﴿فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ قل لهم يا محمد ﷺ لهم؛ أي: للذين يؤمنون: سلام عليكم؛ أي: ألقي عليهم تحية الإسلام، وهي السلام عليكم مع أن المتعارف عليه أن يلقي من يدخل السلام؛ فهذا يدل علىٰ كرامتهم عند الله تعالىٰ بأن يوصي نبيه ﷺ أن يبدأهم بالسلام حين دخولهم، وسلام جاءت بالرفع: لتدل علىٰ السلام الثابت الدائم، وفي هذا بشرىٰ للمؤمنين؛ سلام أمان من الله لكم؛ من ذنوبكم، و﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت، وكذلك نكرة تشمل سلام التحية، وسلام الأمن، وعدم الخوف، وسلام من كل مكروه، وغير مستحب.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾:

﴿كَتَبَ﴾: وعدكم ربكم من ذاته العلية الرحيمة، وتفضلاً منه، وإحساناً، ومِنَّةً. وقيل: كتب في اللوح المحفوظ علىٰ نفسه الرحمة، وأن يتقبل توبتكم.

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا﴾:

﴿أَنَّهُۥ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والعلَّة.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية، استغراقية.

انتبه إلىٰ قوله: من عمل، ولم يقل: كسب، كسب: تستعمل عادة في الخير، وليس في السوء.

﴿سُوٓءًا﴾: السوء: كلُّ إثم وقبح، يسوء إظهاره، أو سيِّئ العاقبة، مثل: المعاصي، والزِّنىٰ، والسيئات: الصغائر، والكبائر.

﴿سُوٓءًا﴾: نكرة؛ تشمل كلَّ سوءٍ.

﴿سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ﴾: الباء: السببية، سبب جهالة؛ أيْ: سفه وطيش، والطيش: هو عدم تدبر نتائج أفعاله، والسفه؛ لكونه لا يُقدِّر قيمة ما يفوته من الثواب والأجر، وما يلحقه من العذاب. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٧) لمعرفة الفرق بين جهل وجهالة.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾: ثم: هنا للبعد؛ أي: التباين بين عمل السوء، والتوبة، وهي ليست للتراخي في الزمن.

وأركان التوبة: الكف عن المعصية، وعدم العودة إليها، والندم، والإكثار من النوافل، وإصلاح ما أخذه.

﴿بَعْدِهِۦ﴾: من بعد عمل السوء.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: ردّ المظالم إلىٰ أهلها، وأصلح ما أفسده بالمعصية.

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: الفاء: جواب الشرط (أنه). أن: تفيد التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير المغفرة، ويغفر الذنوب العظام، ولو كانت مثل زبد البحر، ولا يفضح خلقه، ويستر ذنوبهم، ويمحوها، ويعفو عنها.

﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة، كثير الرحمة، لا يعجل العقاب، أو العذاب لعباده؛ حتىٰ يتوبوا، ودائم الرحمة، يمحو السيئات، ويثيب علىٰ الحسنات، فهو رحيم بعباده المؤمنين في الآخرة.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما فصّلنا لك في الآيات السابقة، كيف تتعامل مع الذين يؤمنون بآياتنا؛ من الفقراء والمستضعفين، والذين يستكبرون، وما هو مصيرهم.

﴿نُفَصِّلُ﴾: نبيِّن لك الآيات الأخرىٰ.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: اللام: للتوكيد؛ أيْ: ليتضح لك، ولغيرك، وينكشف لك.

﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:المجرمين: جمع مجرم؛ لغةً: جرم؛ أي: أذنب وارتكب ذنباً، وجرم تعني: قطع؛ أي: قطع جميع صِلاته بالله تعالىٰ، واصطلاحاً: كل من تمرد علىٰ أوامر الله ونواهيه ورفض الخضوع إليها؛ أي: ما يفعله المجرمون؛ أي: الكفار، المعاندون، المصرون علىٰ المعاصي، وارتكاب المخالفات الشرعية، وما سيكون مصيرهم.

وسبيل المجرمين: الطريق الذي يسلكه المجرمون، أو ما يقومون به؛ أيْ: نفصل ونبيِّن أمر كل فئة حتىٰ يظهر لك طريق سلوك المجرمين من المنافقين والمشركين، وكيف تتعامل مع كل فئة.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿نُهِيتُ﴾: من النهي: وهو المنع؛ أيْ: مُنعت.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: أعبد الذين تعبدون من غير الله،

مثل: هذه الأصنام، والآلهة، أو أدعوها للمساعدة، أو أطلب منها أيَّ شيء مثل: العون، والنصرة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿قُل﴾: تكرار قل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾: لا: النافية. أتبع أهواءكم ولم يقل لا أتبعكم، وإنما قال لا أتبع أهواءكم؛ جمع هوىٰ: وهو ما تميل إليه النفس باطلاً، بما لا ينبغي، ولا دليل، وبعيد عن الحق، والهوىٰ: يغلب عليه الذم، ويختص بالأداء والاعتقادات. وقيل: الهوىٰ هو المحبة المفرطة التي تعمي عن الحق؛ أي: لا أتبع دينكم، أو كقوله تعالىٰ ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، وهذا يدل علىٰ جهلهم واتباع شهواتهم.

﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، توكيد الضلالة، باتباع أهوائهم.

﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ﴾: إذا دعوتها، أو عبدتها.

﴿وَمَآ أَنَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، أنا: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: من: ابتدائية، المهتدين: السائرين علىٰ الصراط المستقيم، والمهتدين إلىٰ الحق إذا اتبعت أهواءَكم.

[٥٧] ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾:

﴿قُلۡ إِنِّي﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿بَيِّنَةٖ﴾: والبينة: كل ما يُبيَّن به الحق، من الحجج العقلية، أو الأدلة الحسية، أو الدلالة التي يتبيَّن بها الحق من الباطل؛ أي: القرآن.

﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾: به ترجع إلىٰ الرب، أو ترجع إلىٰ المنهج؛ أي: القرآن.

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾: ما: الأولىٰ: نافية، عندي؛ أيْ: بيدي، ما: الثانية: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي؛ أيْ: ما بيدي الأمر الذي تستعجلون به، والاستعجال: هو طلب الحدث قبل زمنه أو وقته، وهو: مذموم غالباً ونقيض العجلة الأناة، وهي محمودة.

﴿بِهِۦ﴾: تعود إلىٰ العذاب؛ إذ كانوا يشكّون في حدوثه، وأنه سينالهم؛ لأنهم كذبوا به، ولذلك كانوا يقولون: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾:

﴿إِنِ﴾: نافية، أشد نفياً من ما؛ تفيد التوكيد.

﴿ٱلْحُكْمُ﴾: الفصل، والقضاء؛ أيْ: متىٰ سيحل عليكم العذاب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر، الحكم بيد الله فقط؛ فهو يُصدر الحكم، أو يقضي القضاء متىٰ شاء.

﴿لِلَّهِ﴾: لام الاختصاص.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: أيْ: وكل ما يخبر به، ويقص علينا، هو الحق، وقص: ذكر الخبر، أو تتبع الأثر، وهو خير الفاصلين.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: خير من يحكم بالعدل، والفصل: هو القضاء، والحكم بين الحق والباطل، ومن يُدخل الجنة، ومن يُدخل النار.

[٥٨] ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿قُل﴾: يا محمد ﷺ.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط.

﴿أَنَّ﴾: يفيد التوكيد.

﴿عِندِى مَا﴾: ما: الذي اسم موصول.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: أي: العذاب.

﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: لقضي: اللام: للتوكيد، إما الإيمان والتصديق، وإما الهلاك، وما أمهلكم دقيقة.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لكن الأمر ليس لي، إنه يرجع إلىٰ الله العليم الحكيم، إن شاء عجل لكم العذاب، أو إن شاء أخَّر.

فهو ﴿أَعْلَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل، صيغة مبالغة بما يعمله الظالمون؛ فقد يؤمن بعضهم، أو لا يؤمن، وما يؤول إليه أمرهم؛ لأنه عالم الغيب والشهادة.

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: والباء: للإلصاق، الظالمين: المشركين، الظالمين لأنفسهم وغيرهم، وظلم النفس يكون بالخروج عن منهج الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾: وعنده: الواو: عاطفة؛ عنده: ظرف مكان، وتقديم عنده علىٰ مفاتح الغيب: يدل علىٰ الاختصاص والحصر؛ مفاتح جمع لـ(مِفتح): بكسر الميم، وهو آلة الفتح، وتسمَّىٰ المفتاح، وتجمع أيضاً علىٰ مفاتيح؛ أيْ: إنه سبحانه يملك المفاتيح التي تفتح الغيب، أو مشتقة من مَفتح: بفتح الميم؛ يعني: عنده خزائن الغيب.

والغيب: ما استأثر الله بعلمه، والغيب هنا يعني: الغيب المطلق؛ الذي لا يعلمه إلَّا الله، والغيب: هو كل ما غاب عنك، فهناك بعض الأمور الغيبية التي

أطلعها الله لرسله، وغيرها، وهذا النفي من الغيب غير المقصود هنا في هذه الآية، ومفاتح الغيب هي: خمسة جاء ذكرها في سورة لقمان آية (٣٤)، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾.

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية. إلا: أداة حصر، وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد؛ أي: فيها نفي واستثناء يفيد الاختصاص والإثبات.

وقيلت أقوال كثيرة في مفاتح الغيب منها:

الساعة، والأرحام، ما تفيض وما تزداد، والغيث، متىٰ ينزل، وأين، ومقداره، والموت، متىٰ، وبأي أرض، وبأي سبب، والرزق، ماذا نكسب غداً، ومقداره، ومن أين.

وقيل: مفاتح الغيب هي خزائنه؛ لقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾، فالمفاتيح لتلك الخزائن.

فعلينا أن نؤمن: بأنه لا يعلمها إلّا هو سبحانه، حصراً وقصراً، ويعلم كذلك:

﴿مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: من مخلوقات، وأرزاق، وجمادات، ونباتات.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ ﴾: انتبه إلىٰ تكرار ما الأولىٰ: اسم موصول؛ أي: الذي في البر والبحر.

وما الثانية: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ ﴾: نافية.

﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾: إلّا أداة حصر.

ولم يقل: إلا هو يعلمها؛ لأن هذا الأمر، لا يمكن أن يشاركه في علمه أحد، فلا حاجة لذكر (هو)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فيه إجمال، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ تفصيل واستخدام النفي والاستثناء مرة أخرىٰ يدل علىٰ الإثبات والتوكيد.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾: من أوراق الشجر والنباتات، يعلم زمن سقوطها، وأين تسقط، وما يطرأ عليها من تغيرات، ومصيرها.

﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾: ولا حبة، مهما كان نوعها.

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: في طبقات الأرض، وباطنها، ولا حبة فيها إجمال.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: تكرار ﴿وَلَا﴾: يفيد التوكيد، والنفي، وفيها تفصيل.

الرطب؛ قيل: هو الحي، أو ما يُنبت بالماء، أو الطري، أو الذي يتحرك (يربو وينمو).

اليابس؛ قيل: هو الميت، أو ما لا ينبت، أو لا حركة له؛ أي: الهامد.

إذنْ: لاحظ سعة علم الله، ثم عليك أن تؤمن بأن الله يعلم كلَّ شيء، جملةً وتفصيلاً؛ إذ يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وبعد علمه، جاءت الكتابة. وانظر إلىٰ تتابع الإجمال ثم التفصيل ثم الإجمال ثم التفصيل ثلاث مرات في آية واحدة.

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: هو مكتوب في اللوح المحفوظ.

❖ ❖ ❖

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

سورة الأنعام [الآيات ٦٠ - ٦٨]

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل؛ يفيد الاختصاص، والقصر.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: أيْ: يتوفَّى أنفسكم؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢].

﴿بِٱلَّيْلِ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد الظرف؛ أيْ: بالنوم الوفاة الصغرىٰ؛ كي ترتاح الجوارح، وتنشط بهذا النوم، وهو آية من آيات الله الدالة علىٰ قدرته علىٰ البعث. ارجع إلىٰ سورة الزمر، آية (٤٢)؛ للبيان.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: أيْ: كسبتم من الخير، والشر، والحسنات، والسيئات، بجوارحكم.

والاجتراح: هو الاكتساب باليد، أو القدم، أو الفم، واللسان، والعين، والأذن، وغيرها، وغالباً ما يكون في النهار.

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: فيه: أيْ: يوقظكم بالنهار، الباء: ظرفية؛ أيْ: في النهار، البعث يعني: اليقظة، والنهوض من النوم، كما سيقوم الميت، ويبعث من قبره، والنوم يشبه الموت.

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: اللام: لام التعليل، أجل مسمَّىٰ: لتبلغوا الأجل، الزمن الذي كُتب وقُدر لكم؛ لانقطاع حياتكم؛ أي: الموت.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: ثم: تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور هنا يفيد الحصر والقصر؛ أيْ: فقط إليه وحده مرجعكم، لا إلىٰ أحد غيره بعد حياة البرزخ.

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد.

﴿يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ينبئكم في يوم القيامة، بما كنتم تعلمون في الدنيا من خير، أو شر، والعمل يشمل: القول، والفعل؛ أيْ: ما كنتم تقولونه، وتفعلونه في دنياكم.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: جاء بضمير الفصل هو؛ ليدل علىٰ أنه هو وحده القاهر.

﴿الْقَاهِرُ﴾: الغالب، المسيطر، القوي، المقتدر، المتحكم، لا يعجزه شيء، ولا يخرج أحد من تحت سيطرته.

﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: أيْ: هو فوقهم بقهره، وهم تحته بذلِّهم، فهو قهر استعلاء، فهم المقهورون بلا اختيار، والمنقادون لحكمه، فيما لهم فيه اختيار، أو غير اختيار، يقهر بالمرض، وبالفقر، وبالموت، والأذىٰ، والضرر، والعذاب، وبالبأساء، والضراء.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: يحفظون أعمال العباد، ويكتبونها؛ لقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧].

وهم الكرام الكاتبون، ومنهم المعقبات: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، وأما الكرام الكاتبون فهم أربعة: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وأما الحفظة: جمع حافظ، موكلون بالعبد، يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله؛ أي: الذي قدَّره؛ خلَّوا بينه، وبين أمر الله؛ ليقع قضاء الله وقدره علىٰ عبده.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: قدَّم المفعول بـه على الفاعل؛ للاهتمام، ولأن الموت شـيء مكروه للإنسـان؛ فهو قد أخّره، ولم يقل: «حتى إذا جاء الموت أحدكم»، ومجـيء الموت صعب جداً، واسـتخدم جاء: المناسـبة للصعوبة، والمشقة، وسكراته بدلاً من أتى التي تدل على السهولة.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: نزعت ملائكة الموت روحه، بأمر من ملك الموت.

فالموت: ينسب إلى الله لقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢].

وينسـب إلى ملك الموت لقولـه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١].

وينسـب إلـى الرسـل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

انتبه ﴿رُسُلُنَا﴾: هنا تعني: ملك الموت، إضافة إلى الملائكة الذين يحملون الروح، ويصعدون بها إلى علّيين، أو سجين.

فقبض الروح بالنسبة إلى الله سبحانه أمرٌ، وإلى ملك الموت واسطة الذي يأمر الرسل بقبض الروح؛ لقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:١-٢].

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: فرط: أهمل، لا يهملون، ولا يقصرون، ولا يتجاوزون الحد؛ أيْ: لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون؛ حين يطلب منهم قبض الروح.

﴿وَهُمْ﴾: ضميـر منفصـل؛ يفيد التوكيـد، والقصر الحقيقـي على عدم تفريطهم.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التعقيب، والتراخي.

﴿رُدُّوٓاْ﴾: يعني: العباد، والـردّ يكون بعد الموت، بعد البعث، بعد النفخة الثانية، والرد: هو الرجوع المجبر عليه من دون إرادته، أو رغبته.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾: المولىٰ: المالك، ردوا إلىٰ مالكهم وحاكمهم.

﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾: صفة للمولىٰ؛ أي: الـذي لا يتغير، أو يتبدل؛ مهما طال الزمن، أو تغير.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: الحكم يشـمل القضاء، والفصل، وهنـاك فرق بين الحكم والقضـاء والفصل، فالحكم والقضـاء كقوله: يحكم بينهـم، أو يقضي بينهم، يسـتعملها القرآن بين أفراد الملـة الواحدة، أو الأمة الواحـدة، ويفصل بينهم: للفصـل بين الأمم، أو الأنبياء، وأممهم، أو للفصـل بين الحق والباطل، أو أهل الجنة والنار، والمؤمنين والمشـركين، وقيل: الفصل أشد من الحكم، والفصل من الحكم، فهو سـبحانه يحكم بينهم، ثم يفصل بينهم؛ فهو سـبحانه يحكم أو يقضـي بين أفراد الأمـة الواحدة، ثم يفصل بينهم؛ فريق إلـىٰ الجنة، وفريق إلىٰ السعير.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدل علىٰ التوكيد، والحصر.

﴿أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾: يحاسـب الخلـق، بوقت قصير، لا يعلمـه إلا هو، أو بكلمةِ: كن، فيكون، أو لمحة البصر؛ لأنه لا تخفىٰ عليه خافية.

سُـئِلَ الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: كيف يحاسب ربنا الناس جميعاً في وقت واحد؟ فقال: كما يرزقهم في وقت واحد.

[٦٣] ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

﴿قُلۡ مَن﴾: استفهام تقريري.

﴿يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: من الشـدائد؛ كالعواصف، والأعاصير،

والكـوارث الجوية: من زلازل، ورعد، وبرق، والعـرب تقول لليوم الذي تلقىٰ فيه الشدة: يوم مظلم.

كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

حينئـذٍ ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: لا تجدون ملجـأً إلّا إيّاه، تدعونه علانية وسراً، وبخشوع، وذل، وخوف.

﴿تَضَرُّعًا﴾: قـد تكون بالعلـن، مظهرين الضراعة، وهي شـدة الفقر إليه، والحاجة إليه، والذل، والانكسار.

﴿وَخُفْيَةً﴾: في الخفاء: أي التستر؛ أيْ: في أنفسكم، دعاء الصمت بالخفاء.

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

﴿لَّئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: حرف شرط؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿أَنجَىٰنَا﴾: من أنجىٰ، وأنجيتنا.

﴿أَنجَىٰنَا﴾: تفيد السـرعة، وقصر الزمن، ولم يقـل: لئن نجانا؛ تفيد البطء، والزمن الطويل؛ لأن الزمن قصير جداً في تلك الشـدائد، والصبر قليل، والنجاة يلزمها وقت قصير.

﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: من: ابتدائية. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسـم إشـارة؛ يفيد القرب، وتشير إلىٰ الشدة والمحنة.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك نون النسوة: لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: لله سبحانه، الشاكرين علىٰ نعمة النجاة. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان علىٰ الشاكرين.

[٦٤] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: الله ينقذكـم من هذه الكارثـة، أو المصيبة، وكذلك

﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل ﴿كُلِّ كَرْبٍ﴾: كرب: نكرة؛ أيِّ كرب مهما كانت شدته وحجمه.

الكرب: هو كلُّ غمٍّ شديد الذي يصحب الشدائد، ويصيب النفس، ويصاحبه ضيق في الصدر، ولا يستطيع أحد دفعه، أو رده في أغلب الأحوال إلا الله وحده سبحانه.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي، أو لتباين الصفات من التضرع، والشرك.

﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿تُشْرِكُونَ﴾: بالله تعالىٰ، وتجعلون له أنداداً بعد إذ أنجاكم منها.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾:

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾: هو: ضمير منفصل؛ يدلّ علىٰ الحصر، والتوكيد، ويعود علىٰ الله ؛ إذ هناك من البشر من هو قادر أن يبعث عليكم عذاباً، ولكن القادر الحقيقي هو الله وحده.

﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كالصواعق والرعد والبرق والصيحة والرياح المدمرة والمطر الغزير.

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الزلازل، والغرق، والفيضانات، والرجفة والخسف... وغيرها، من أنواع العذاب.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: شيعاً: جمع شيعة: وهم الأتباع والأنصار؛ الذين اجتمعوا علىٰ أمر ما، ولو كان باطلاً؛ أيْ: يجعلكم طوائف، ومذاهب متفرقة، متضاربة في الآراء، والعقيدة، والغايات.

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: أيْ: يخلط أمركم، خلط اضطراب، ويقال: لبست عليه الأمر؛ أيْ: لم أبيِّنه له.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: البأس: هو العذاب، أو الحرب، أو القتل،

والتدمير، والنهب، والسلب؛ أيْ: يطغى بعضكم على بعض بالقتل، والفساد، والسوء، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [الأنعام:١٢٩].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾:

انظر كيف نوضح، ونبيِّن الآية بأساليب مختلفة، وصور شتى؛ حتى يتبيَّن معناها الحقيقي، والخفي، والغاية من وراء ذلك؛ لعلَّهم يفقهون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه لغةً: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها، وهو الفهم للشيء؛ بدليله وعلته، يؤدِّي إلى الاعتبار، والاتعاظ، والعمل الأفضل، والوصول إلى الحق. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: القرآن.

﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: والحق: هو القرآن، أو الوحي، وهو الأمر الثابت؛ الذي لا يتغير، ولا يتبدل.

فالقرآن: حق ثابت، لا شك فيه، ولا ريب فيه، ولا يتغير، ولا يتبدل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ؛ أيْ: لا سبيل لإجباركم على الإيمان. ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: أيْ: حفيظ، ولا موكل إليَّ أموركم، ولا حسابكم، ولا كافيكم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٨) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: نجد أن (ما) في النفي أقوى من (ليس)، وكذلك الجملة الاسمية ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: تدل على الثبوت، وأقوى من الجملة الفعلية لست؛ فقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: أشد نفياً وأكد؛ فقد جاءت ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ في سيق الضلال والهداية، ولست في سياق التكذيب بالقرآن.

وكلمة ﴿قَوْمُكَ﴾: فيها تقريع لهم؛ لأنه شملهم جميعاً.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِّكُلِّ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿نَبَإٍ﴾: خبر عظيم، يخبر به الله تعالىٰ.

﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: أيْ: وقت يقع فيه؛ من غير تقديم، ولا تأخير، ومكان يذاع فيه النبأ.

﴿وَسَوْفَ﴾: حرف استقبال؛ يدل علىٰ البعد الزمني، والتراخي.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: صدق ما جاء به القرآن، أو الوحي، ومحمد ﷺ من خبر، ووعد، ووعيد، ووقوع، وما أخبر به من عذاب وجزاء، عاجلاً، كما وقع في بدر، أو آجلاً يوم القيامة.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

سبب النزول: كما قال ابن عباس : نزلت في أهل الأهواء، والبدع من المسلمين الذين يُؤَوِّلون الآيات بالباطل.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية متضمنة معنىٰ الشرط، وتدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿رَأَيْتَ﴾: رؤية بصرية، أو فكرية، قلبية.

﴿يَخُوضُونَ﴾: الخوض: أصله الدخول في الماء الكثير الذي يستر القدمين، وعندها لا يدري إلىٰ أيِّ موقع تقع أو تزل قدميه في هوة، أو حفرة، والخوض يكون من دون اهتداء.

﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: ومعنىٰ الخوض في آياتنا: لم تبيِّنه هذه الآية، وإنما بيَّنته آية أخرىٰ، في سورة النساء، الآية (١٤٠)، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ

فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾.

إذنْ الحوض؛ يعني: الكفر، أو الاستهزاء بآيات الله سبحانه.

وفي هـذه الآية كذلك يبيِّن الحكم فيما إذا استمر الصحابة في الجلوس مع الذين يخوضون في الآيات، والحكم هو أنكم إذنْ مثلهم؛ أيْ: في الذنب، والإثم، وبدعهم، ومعتقداتهم الباطلة، ﴿فَأَعْرِضْ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: انصرف عنهم، ولا تجالسهم، ولا تستمع لهم، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾: وعندها لا مانع من مجالستهم، والتحدث معهم، إذا غيروا الحديث، أو توقَّفوا عن الخوض.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وإما: الواو: عاطفة، إما: أصلها (إن+ما)، إن: شرطية، ما: للتوكيد.

وإذا حدث أنك نسيت أمر النهي، والمنع، ووجدت نفسك تجلس معهم؛ فمجرد ما تتذكر المنع، وعدم مخالطتهم اترك، وانصرف عنهم، إذنْ يمكن أن تنسىٰ، والنسيان من عمل الشيطان الذي يُزين ويشغل الإنسان فلا يتذكر، ولكن بعد الذكرىٰ لا تجلس مع القوم الظالمين.

﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: تذكر النهي.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين، أو الظالمين، والظالم: هو كلُّ مَن يخرج عن منهج الله تعالىٰ يُعد ظالماً لنفسه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۖ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

سورة الأنعام [الآيات ٦٩ - ٧٣]

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿عَلَى﴾: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: أيْ: رسول الله ﷺ، وأصحابه.

﴿يَتَّقُونَ﴾: أيْ: يطيعون أوامر الله، ويتجنبون محارمه.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿حِسَابِهِم﴾: أيْ: حساب الذين يخوضون في آيات الله، لستم مسؤولين عنهم في أيِّ شيء.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أيْ: قيامكم، وترككم لهم، هو استنكار، وعدم رضا؛ لما يخوضون فيه.

ولعلَّ هذا القيام، وتركهم يؤثر فيهم، ويكون لهم تذكرة، ويتعظون به، ويتوقفون عن الخوض في آيات الله، وينأون بأنفسهم عن الباطل، فيكون ذلك وقاية لهم من عذاب الله وسخطه، وإذا قارنا ذكرٌ مع ذكرىٰ التي تعني التذكر نجد ذكرٌ أقوىٰ من ذكرىٰ، ويأتي في سياق الدعوة والتبليغ؛ ارجع إلىٰ سورة يوسف آية (١٠٤) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعل: للتعليل، ولا بُدَّ من الأخذ بالأسباب الأخرىٰ؛ للتقوىٰ، بعد توقفهم عن الخوض، والتوبة؛ لعلَّهم يصبحوا من المتقين.

[٧٠] ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ﴾: أيْ: اتركهم، أو أعرض عنهم.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: اللعب: هو كل فعل لا يُلهي عن واجب ويسمىٰ اللعب لهواً إذا شغل الإنسان عن واجب اتخذوا دِينهم لعباً ولهواً بالسخرية، والاستهزاء، وعبادة الأصنام، وتحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام؛ لعباً ولهواً: ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من سورة الأنعام؛ للبيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥١) في سورة الأعراف نجد أن في هذه الآية قدم اللعب علىٰ اللهو، وفي آية الأعراف قدم اللهو علىٰ اللعب، وذلك لأن آية الأنعام جاءت في سياق الحياة الدنيا وسياق الخوض في آيات الله الذي يعتبر لعباً أكثر مما هو لهواً، وأما آية الأعراف جاءت في سياق الآخرة وقدم اللهو علىٰ اللعب؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف للمقارنة.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: وغرتهم: من الغرور، الخداع، الباطل، الفاني، أو الغفلة، أو إظهار ما هو خلاف الحقيقة، خدعتهم الحياة الدنيا، وألهتهم بمتاعها، الفاني، الزائل، حتىٰ ضيعوا آخرتهم.

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾: بالقرآن، وقد تعني بالعذاب، أو الحساب، وبعاقبة المخالفة لمنهج الله.

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: البسل: هو القهر، والمنع بالحبس، أو تسليمه إلىٰ الهلاك.

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أن: مصدرية؛ للتعليل، والتوكيد.

فالمعنىٰ: وذكر بالقرآن؛ لئلا تهلك نفس، أو تحبس في النار، بما: الباء: للإلصاق، والسببية؛ أيْ: بما كسبت من الذنوب والآثام. ولبيان معنىٰ كسبت ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان المفصل.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥١) من نفس السورة؛ للبيان.

ونفي العثور علىٰ الشفيع في الآخرة أشد من العثور علىٰ الولي في الدنيا؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الدنيا، وفي الدنيا قد يجد الظالم من ينصره، ويعينه، ويشفع له إلىٰ حد ما.

ولا أحد يستطيع الشفاعة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]؛ لأنه لا يعلم أنه مؤهل، أو غير مؤهل، وهل يسمح له؟ وإن سمح له هل تقبل منه شفاعته، أم لا؟

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾: العدل: هو الفدية، وعادة ما يكون بالمال. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (٣٦)؛ للبيان.

﴿وَإِن﴾: الواو: عاطفة. إن: شرطية؛ تدل علىٰ القلة، أو الندرة، إن تعدل كل عدل؛ أيْ: تقدَّم كل فداء، مهما كان، لن يؤخذ منها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾: أولئك: اسم إشارة، تحمل معنىٰ التحقير، أبسلوا: أيْ: هلكوا، أو حبسوا في الجحيم.

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾: الباء: السببية، وللإلصاق، بما كسبوا: بسبب كفرهم، وذنوبهم، أو بسبب ما كسبت جوارحهم من الآثام والمعاصي.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لهم: اللام: للاختصاص، شراب من حميم: ماء: حار، بالغ نهاية الحرارة.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾: بكفرهم، وعصيانهم، الباء: باء السببية، وما: مصدرية، أو اسم موصول، ولم يقل: بما كفروا، وإنما: يكفرون: بصيغة المضارع؛ الدالة علىٰ تجدد كفرهم، واستمراره؛ فهو لم يتوقف بعد.

[٧١] ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾: أيْ: نعبد من دون الله من غير الله أصناماً، أو آلهة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: ما: نافية، لا ينفعنا، ولا يضرنا، تكرار لا: النافية؛ تفيد زيادة التوكيد، لا ينفعنا وحده، ولا يضرنا وحده، أو معاً، والمنفعة قد تكون حسنة، أو قبيحة، والمتعة منفعة، والمضرة قد تكون حسنة، أو قبيحة.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا﴾: العقب: هو مؤخر القدم، ويقال نكص علىٰ عقبيه؛

أي: رجع إلىٰ المكان الذي جاء منه، ويعني هنا: نرجع إلىٰ الشـــرك، والضلال. وهذه الآية تمثل حال المرتد إلىٰ الكفر أو الشرك بعد أن أسلم، أو رجع إلىٰ الكفر بعد الإيمان.

﴿بَعْدَإِذْ﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: بعد إذ أنقذنا الله، وهدانا للإسلام، ودين الحق.

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾:

﴿كَٱلَّذِى﴾: الكاف: للتشبيه، الذي: اسم موصول.

أولاً: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: استهوته: علىٰ وزن استفعل، وتأتي للطلب؛ أيْ: جعلته الشياطين يتبع هواه، ويتبع خطوات الشياطين، ويتقبل ما تمليه عليه، والشياطين: هم كفرة الجن، أو شياطين الإنس الذين يفتنون المرء عن دينه.

ثانياً: وهوىٰ قد تعني: السقوط من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، أو تعني استهوته: أيقظت فيه هـــوىٰ النفس، وزينت له؛ فهو لا يهتدي إلـــىٰ طريق الحق، أو هوت به بعيـــداً؛ كأنما ألقته في الصحراء؛ ليصبح ضـــالاً، لا يهتدي، وهذه الآية تتعلق بأسطورة قديمة: هي أن العرب كانت تزعم أن مرض الجنون سببه الجن.

وبمـــا أن الجن تعيش في الصحارىٰ، والقفار، وهؤلاء الجن المردة الكفار لهـــم القدرة علىٰ التلون بألـــوان مختلفة، تذهب بالعقـــل، فيهيم علىٰ وجهه من سحر هذه الشياطين، وفي الصحراء؛ حتىٰ يهلك، ويصبح الإنسان هائماً حيراناً، لا يهتدي، ولا يعرف إلىٰ أين يذهب.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: بعد أن هجر دينه وأصحابه وفسد عقله فجن وهام في الأرض لا يدري أين يذهب، وماذا يفعل.

﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾: أيْ: مع كونه له أصحاب، والصاحب؛ أي: الرفيق، الملازم، والذي يحصل منه نفع، أما القرين: فهو الصاحب الذي يحصل منه ضرر.

يدعونه أن يؤمن، ويدعونه إلىٰ الهداية، أو ارجع إلىٰ الهدىٰ، فلا يستجيب لهم.

قل يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: أيْ: هداه، ودينه؛ الذي ارتضاه لعباده المؤمنين.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: الإسلام، ودين الحق.

وهذا ردع، وزجر؛ لمن دعا إلىٰ عبادة الأوثان، وكأنه قيل له: لا تفعل ذلك؛ لأن دِين الإسلام هو الهدىٰ.

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أن نسلم: أيْ: نخلص عبادتنا لرب العالمين: بالتوحيد، والإخلاص. اللام: لام التوكيد، ومثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، حيران: هو من يرتد عن دِينه.

[٧٢] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: الواو: عاطفة؛ أيْ: وأمرنا لنسلم لرب العالمين، وأن نقيم الصلاة، وأن نتقي ربنا.

﴿وَأَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: بأركانها، وشروطها، والمحافظة عليها، والدوام، والصلاة لأوقاتها.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾: التقوىٰ: هي أداء الأوامر، وتجنب النواهي؛ للوقاية من النار، ومن غضب الله تعالىٰ.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد، والحصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المذكر العاقل وأكثر تحديداً من (ما) و(مَن).

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، والقصر في الحشر.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: بعد البعث، والخروج من القبور، والحشر: هو السوق والجمع إلىٰ أرض المحشر.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾:

كيف ندعو من دون الله ما لا ينفعنا، ولا يضرنا؛ وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ تعني: بالشيء الثابت الذي لا يتغير، فالسموات، والأرض، والكواكب، والأفلاك علىٰ نظام ثابت لا تتغير قوانينه؛ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: تعني: لم يخلقها عبثاً، أو لهواً، بغير حكمة؛ أيْ: خلقهما بحكمة. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (١٩) لمزيد من البيان في معنىٰ: بالحق.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾:

ويوم يقول ليوم القيامة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾:

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: الصدق الكائن، لا محالة، قوله في كل شيء، أو أمر، وحكم، أو إيجاد، أو بدء، أو نهاية، أو قضاء: هو الحق.

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: وله الملك، تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، له وحده .

﴿ٱلْمُلْكُ﴾: ملك السموات والأرض، وما فيهن، والملك يعني: الحكم، وكذلك يعني الملك.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: نفخة الصعق، الموت، والفناء، فلا يبقىٰ إلا هو وحده سبحانه؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: عالم اسم فاعل: من علم؛ أي: الاتصاف بالعلم ما غاب، واستتر عنه العيون: من الكون، والخلق، والسر، والنجوىٰ، عالم الغيب، والأسرار، وعالم ما يُشاهد، ويُرىٰ بالمدركات العيون والآذان، وغيرها، يعلم السر، والعلن، ويعلم السر، وما أخفىٰ، الرقيب، المحيط بكل شيء علماً، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولنعلم أن كلمة عالم في كل القرآن جاءت مقترنة بعالم الغيب أو غالم الغيب والشهادة، وكلمة علام

في كل القرآن جاءت مقترنة بالغُيُوب؛ أي: علام الغيوب، وكلام صيغة مبالغة، وكلمة عليم تفيد المبالغة في العلم؛ أي: المحيط علمه بظواهر الأمور وبواطنها.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وشرعه، والحكيم مشتقة من الحكم، أو الحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العليم ببواطن الأمور، وخفايا الصدور.

❖ ❖ ❖

نصف الحزب ١٤

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

سورة الأنعام [الآيات ٧٤ - ٨١]

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾: وإذ: ظرف؛ بمعنىٰ: حين.

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: هناك من المفسرين من قال: إن آزر هو عمه، وهناك من قال: إن آزر أبوه، وقيل: إن اسم والد إبراهيم هو تارخ، وقيل: كان له اسمان، آزر، وتارخ.

والأدلة تشير إلىٰ أن آزر هو عم إبراهيم، وليس والده.

والقرآن يطلق علىٰ العم اسم الأب، وكذلك يطلق اسم الأب علىٰ الجد، والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٣].

فالجد والعم يطلق عليهم لقب الأب، ولأن العرب كانت تسمِّي العم أباً، والجد أباً.

ويعقوب أطلق علىٰ إسماعيل كلمة أباه، مع أنه عمه، وبهذا نفهم أن أبوة إسماعيل ليعقوب هي أبوّة عمومة، ويعقوب أبوه إسحاق، وإسحاق أخو إسماعيل.

إذنْ أطلق علىٰ آزر كلمة الأب، وأريد بها العم.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾: استفهام إنكاري؛ للتوبيخ؛ أيْ: أتجعلها آلهة لك تعبدها.

﴿أَصْنَامًا﴾: جمع صنم: وهو التمثال، أو الوثن والصنم: يطلق على ما يُعبد من دون الله وهو عبارة هيكل تمثال مصنوع من النحاس أو الفضة أو الذهب أو الخشب، والوثن: هو عبارة عن حجر لا صورة له. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنِّي﴾: للتأكيد.

﴿أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ضلال، واضح، مبين؛ لكل إنسان، وواضح بنفسه، لا يحتاج إلى دليل، أو برهان.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أيْ: كما أريناه البصيرة في الدِّين، وضلال أبيه وقومه، وبطلان عبادتهم للأصنام.

﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾: الرؤية: إدراك الشيء بالبصر ويُعد من اليقين نريه مظاهر قدرتنا؛ أيْ: ملكوت السموات والأرض.

﴿مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أيْ: بعض الملكوت، وليس كل الملكوت.

وكلمة ﴿مَلَكُوتَ﴾: وردت في القرآن أربع سور، وإضافة التاء للملك؛ تدل على المبالغة، فالمُلك هو ما تراه، وتحسه، وتشاهده أمامك.

أما ﴿مَلَكُوتَ﴾: فهو ما وراء هذا الملك، ملك الله الخاص، لم يعطه لأحد، أو يريه لأحد إلا إبراهيم .

والسموات والأرض، وما فيهما، فهو داخل في كلمة الملكوت.

والملكوت تشمل المجموعات الشمسية، والمجرات كلها، والكون كله، بأقماره، وشموسه، وكواكبه، ونجومه، وغيرها.

والرؤية هنا رؤيا بصرية، رأى إبراهيم ما لا تراه المراصد الفضائية، أو الفلكية.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾: اللام: للتعليل، من الموقنين جمع: موقن بالرؤية، وليس بالعلم فقط؛ أيْ: عين اليقين؛ أيْ: ليستدل من هذه الرؤية، ويصبح من الموقنين؛ الذين صفة اليقين ثابتة عندهم، لا تتبدل، ولا تتغير. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لبيان معنىٰ اليقين وأنواعه.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، لما ظرف بمعنىٰ حين يتضمن معنىٰ الشرط.

﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أيْ: أظلم، وستر، واشتد ظلامه، وأصبح كل واحد لا يرىٰ الآخر؛ بسبب الظلام.

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾: والكوكب: كالقمر، هو الذي يأخذ ضوءَه من مصدر آخر، مثل الشمس، فالكوكب ليس مضيئاً بذاته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾: والسؤال هنا: كيف يقول إبراهيم هذا القول الذي يدل في ظاهر الأمر علىٰ الشرك؟، ولكن الحقيقة وفي باطن الأمر: هو استفهام إنكاري وتهكم علىٰ قومه، وتقدير كلامه أهذا ربي أو هل هذا ربي؟.

فإبراهيم هو الذي حاج النمرود قبل القدوم إلىٰ الشام (سورة البقرة، آية ٢٥٨).

وإبراهيم الذي راغ إلىٰ الآلهة؛ فقال ألا تأكلون، ما لكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين (سورة الصافات، آية ٩١-٩٣).

فقوله تعالىٰ: ﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾: قال ذلك في مقام الحجاج والجدال مع هؤلاء الذين يعبدون النجوم، والكواكب؛ ليثبت لهم زيف وبطلان عبادتهم، وكانوا يسكنون قرية من قرىٰ بلاد الشام تسمَّىٰ حرَّان؛ التي هاجر إليها إبراهيم ، بعد أن ترك أباه وقومه في أرض العراق، بسبب شركهم وضلالتهم، وهذا قد يشبه قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت:٤٧]؛ فالله سبحانه يعلم أنه لا شركاء له.

قال ذلك إبراهيم؛ ليقيم الحُجَّة على هؤلاء القوم، تمهيداً للإنكار عليهم، وإثبات الوحدانية لله تعالى.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: أيْ: حين اختفى؛ أيْ: غاب.

قال إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾: أيْ: لا أحب أن يختفي ربي؛ لأن الرب الحقيقي لا يغيب أبداً؛ إذنْ هذا الكوكب ليس إلهاً، ولا يستحق أن يُعبد، وهذا من ألطف أساليب الدعوة إلى الله تعالى بدلاً من القول إني أكره ما تعبدون أو أن يسب ألهتهم.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، لما؛ أيْ: حين.

﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: البزوغ: هو أول الظهور.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾: على سبيل المحاجة والجدال.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب، واختفى عن العيون.

﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾: اللام: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والندرة.

﴿يَهْدِنِى﴾ (جاء بياء المتكلم) مقارنة بيهدين في سورة الكهف آية (٢٤) لأن هذه في سورة الأنعام هداية عامة، وظرف معين لأمناع من حوله للكف عن عبادة الأصنام.

﴿لَمْ﴾: نافية، يهديني ربي إلى الحق.

﴿لَأَكُونَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في كلمة (أكونن): كذلك لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: هـذا كلام مُوجَّه إلىٰ هؤلاء عبـدة الكواكب؛ لعلَّهم ينتبهون إلىٰ خطئهم، فهم القوم الضالُّون، وليس إبراهيم هو الضالُّ.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾: أيْ: أشرقت بنورها.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: ولم يقل: هذه ربي، أراد أن يُنزه الرب؛ بأن تلحق به علامة التأنيث، وكذلك الشمس ليست مؤنثاً حقيقاً، وإنما مؤنث مجازي.

﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: ممّا تقدَّم (القمر، أو الكوكب).

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾: أيْ: حين غابت، واختفت بعد غروبها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي﴾: إن: للتوكيد.

﴿بَرِيٓءٌ﴾: من البراءة، وهي قطع الموالاة، والتخلي، والابتعاد.

﴿مِّمَّا﴾: من + ما، من: ابتدائية، استغراقية، ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية.

﴿تُشْرِكُونَ﴾: بالله من الأصنام، والكواكب، والملائكة، وغيرها.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٢٦) من سورة الزخرف:

في سورة الأنعام، الآية (٧٨): ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

في سورة الزخرف، الآية (٢٦): ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

في سورة الزخرف: زاد النون في ﴿إِنَّنِي﴾، وبدل كلمة ﴿بَرِيٓءٌ﴾ بـ: ﴿بَرَآءٌ﴾؛ أيْ: كلاهما يفيد التوكيد؛ أيْ: يوغل في التوكيد، في آية الزخرف. أما آية الأنعام تمثـل بداية الدعوة، وآيـة الزخرف تمثل المرحلة المتأخِّرة فـي دعوة إبراهيم؛ لوحدانية الله ؛ لذلك كان التأكيد أبلغ.

وأما في سورة الممتحنة، آية (٤) فقال: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بُرَءَاءُ: جمع بريء، مثل شريف وشرفاء.

[٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: الوجه هنا يعني: الذات، إطلاق الجزء وإرادة به الكل، من قبيل المجاز المرسل.

﴿لِلَّذِي﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: شق وأوجد السموات والأرض؛ أيْ: أظهر للوجود السموات والأرض على مثال غير سابق.

واستعمل ﴿فَطَرَ﴾: وليس خلق؛ لأن كلمة ﴿فَطَرَ﴾: لا يشاركه فيها أحدٌ، فلا يقال لأيِّ أحدٍ غير الله : فطر السموات والأرض، أو فطر أيَّ شيء.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الضلال والشرك إلى الدِّين القيم (الحق). ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٥)؛ لمعرفة معنى الحنف.

﴿وَمَآ﴾: الواو: عاطفة. ما: النافية.

﴿أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بالله من شيء.

[٨٠] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾:

بعد أن برهن وبين إبراهيم لهؤلاء الذين يعبدون الكواكب والنجوم من دون الله أن عبادتهم باطلة، ولا تضر، ولا تنفع، وأقام عليهم الحُجَّة، لم يقتنع هؤلاء بما قاله إبراهيم، وبدلاً من الإذعان والصمت واتباعه؛ راحوا يجادلونه في عبادتهم لغير الله، وحاولوا أن يخوفوه بها، ومن انتقامها، لكن إبراهيم لم يخف، وثبت أمامهم.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: أيْ: في العبادة، والتوحيد، وعبادة الأصنام، وغيرها، والحجاج: هو أن يقول كل طرف حجته، والطرف الآخر يرد عليه؛ ليبطل حجته.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، ﴿هَدَىٰنِ﴾: إلىٰ توحيده وعبادته.

وحذف الياء من هدان، ولم يقل: هداني؛ لأن الهداية عند إبراهيم تمت منذ زمن طويل، ولم تحتاج إلىٰ زمن طويل، أو تمت بالقليل من العلم، أو الآيات.

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾:

﴿وَلَآ﴾: الواو: استئنافية. لا: النافية.

﴿أَخَافُ﴾: أخاف من الخوف.

الخوف: هو توقُّع أمرٍ مكروهٍ، أو شرٍّ مقبلٍ، لم يقع بعد ومشكوك في وقوعه، قد لا يكون لك القدرة علىٰ دفعه.

﴿مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦ﴾: ما: للعاقل، وغير العاقل، تشركون بالله: من أوثان، وأصنام وغيرها.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾: شيئاً من الضرر، أو الخوف، و﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة، أيَّ شيء مهما كان نوعه وشدته.

فإن أصابني شيءٌ من الضرر، أو الخوف، فهذه من مشيئة الله تعالىٰ.

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: أيْ: أحاط علمه سبحانه بكل شيء، علماً تاماً، بما تشركون وبحالي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا: الهمزة تفيد الاستفهام، والإنكار عليهم وتوبيخهم علىٰ عدم تذكُّرهم، والتعجب منه، وتحضُّهم علىٰ ذلك التذكر، وفيها معنىٰ الأمر.

﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: تستعمل للبحث الأطول الذي يحتاج إلىٰ طول تأمل ونظر وتبصر، بينما تذكرون تستعمل للحدث الأقصر الذي يحتاج إلىٰ زمن أقصر للتأمل والتبصر الذي فطركم، وفطر السموات والأرض، أفلا تتذكرون الميثاق الذي أخذه عليكم، ميثاق الذرِّ.

ولكن بدلاً من استعمال أفلا تذكرون، قال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بزيادة التاء؛ لأن قوم إبراهيم أبطلوا عقولهم، ويحتاجون إلىٰ هزّة عنيفة، وزمن أطول، وتذكر عميق؛ لكي يرجعوا عن عبادتهم الكواكب، والشمس، والقمر إلىٰ زمن أطول؛ للتذكر؛ حتىٰ يرجعوا إلىٰ صوابهم، وعبادتهم لله سبحانه.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَكَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال؛ يفيد النفي والاستبعاد؛ أيْ: يستبعد إبراهيم أن يخاف في المستقبل.

﴿أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: أيْ: كيف أخاف هذه الأصنام، علىٰ أيِّ حال؛ لأنها لا تضر، ولا تنفع، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، الذي بيده النفع، والضر، والأمن، والخوف، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: أيْ: حُجَّة ودليل.

والسلطان نوعان: سلطان قوة، وقهر، أو سلطان حُجَّة، وبرهان، أو آية، أو دليل.

انتبه إلىٰ قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: جاء بلفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ أيْ: هو أمر خاص بهم (بقوم إبراهيم)، وأهل زمانه، أما قوله:

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: من دون عليكم؛ فالخطاب هنا عام، وشامل لكل الناس، وليس محدوداً بجماعة معينة، أو قوم كما ورد في سورة آل عمران، الآية (١٥١)، وسورة الأعراف، الآية (٣٣).

﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَأَىُّ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أيْ: أداة استفهام.

﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الذين آمنوا، ووحدوا ربهم الذين لم يلبسوا إيمانهم بشرك؛ أيْ: بظلم، أم الذين ظلموا؟

﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾: أيْ: أحق بأن يأمن العذاب، عذاب ربه، أو بالأمن؛ أيْ: عدم الخوف.

انتبه إلىٰ الفرق بين الأمن في هذه الآية، والأمنة كقوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران:١٥٤].

الأمن: هو الطمأنينة، مع زوال الخوف، والسبب كاملاً؛ أيْ: سبب الخوف من دون بقاء أيِّ أثر لهما.

الأمنة: تعني الطمأنينة إلىٰ حد ما، فالخوف لا يزول تماماً، ولا يزال الشخص خائفاً غير مطمئن إلىٰ حدٍّ ما، فالأمن أفضل من الأمنة.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ولم يقل: إذا كنتم تعلمون؛ لأن: ﴿إِن﴾: شرطية، تفيد الاحتمال، أو الندرة بعكس (إذا) التي تفيد الحتمية والكثرة.

واحتمال كونهم يعلمون: هو احتمال نادر، أو قليل، ولذلك استعمل: إن.

﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من هو أحق بالأمن.

❖❖❖

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

سورة الأنعام [الآيات ٨٢ - ٩٠]

[٨٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأخلصوا في إيمانهم، وتوحيدهم.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوا إيمانهم بظلم؛ أيْ: بشرك؛ لقوله في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، غرضه التعظيم، أو علو مكانهم، لهم الأمن في الدنيا، وفي الآخرة. ارجع إلىٰ الآية (٨١) من نفس السورة؛ لبيان معنىٰ الأمن.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير منفصل، غرضه المبالغة، والتوكيد، علىٰ أنهم مهتدون؛ أيْ: أكثر الناس هداية.

والهداية هي الطريق الذي يوصل للغاية، وهي رضوان الله تعالىٰ.

و﴿مُّهْتَدُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل علىٰ صفة الهداية ثابتة لهم، ولا ينحرفون عنها.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: الواو: استئنافية، تلك: اسم إشارة، يشير إلىٰ الحُجَّة التي احتج بها إبراهيم ، علىٰ وحدانية الله، من غياب القمر والشمس.

﴿حُجَّتُنَآ﴾: الحُجَّة هي البرهان والدليل علىٰ ثبات أحد النقيضين أو

الخصمين، وهنا تعني: الحُجة الدالة: على التوحيد، ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أيْ: علمناها إبراهيم، فغلب بها قومه.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: بالهداية، والإرشاد، والعلم، والحكمة، والفهم، والمعرفة، وبالاصطفاء للرسالة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: قدَّم الحكمة على العلم، ﴿حَكِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الحكمة، كثير الحكمة؛ فهو أحكم الحاكمين، وواهب الحكمة لمن يشاء من عباده. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة في العلم، أحاط علمُه بكل شيء، بما يقوله خلقه، أو يفعلونه، وما قاله إبراهيم لقومه.

عليم بما يجري في كونه؛ من تغيرات، وأحداث، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ:٣].

ولنقارن هذه الآية، بآية أخرى في سورة يوسف، رقم (٦): ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قدَّم العلم على الحكمة؛ لأن آية يوسف جاءت في سياقه تعلم الأحاديث، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، فالعلم يحتاج إليه أولاً، والحكمة ثانياً، ولذلك قدَّم العلم على الحكمة.

أما آية سورة الأنعام (٨٣): فقد جاءت في سياق الحُجَّة والسلطان ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وإقامة الحُجَّة تحتاج إلى حكمة أولاً، وعلم ثانياً، ولذلك قدَّم حكيم على عليم؛ أيْ: حسب السياق.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: الهبة في اللغة: العطية الخالية من العوض، وشرعاً: تمليك في الحياة بلا عوض، ومن الله هي: عطاء تفضل، تعطى لمن يستحق أو لا يستحق، ولا تكون واجبة.

ولنعلم أنه لا يوجد أيُّ إنسان له حق عند الله؛ إلا ما جعله الله حقاً له، وكل شيء من الله هو هبة، والهبة قد تكون هبة في العطاء، أو هبة في المنع. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَوَهَبْنَا﴾: أيْ: لإبراهيم إسحاق، ويعقوب هو ابن إسحاق.

﴿إِسْحَٰقَ﴾: ابن إبراهيم ، أمه سارة، ويعقوب: هو ابن إسحاق ؛ أيْ: وهبنا لإبراهيم إسحاق أولاً، ويعقوب (ابن الابن) نافلة.

﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾: كلاً؛ أيْ: إسحاق، ويعقوب كلاً كان من أهل الهداية والنبوَّة.

وتقديم الواو على ﴿كُلًّا﴾: تدل على هداية غيرهم من الأنبياء والرسل؛ كقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أيْ: وعدهم الله الحسنى، ووعد غيرهم.

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾: أيْ: أن الهداية لم تبدأ بإسحاق ويعقوب، بل بنوح ، هذا من باب المدح والثناء، وليس من باب الحصر والتخصيص.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: الهاء: تعود على نوح، ولا يجوز أن تعود على إبراهيم؛ لأنه ذكر لوطاً؛ وهو ليس من ذرية إبراهيم؛ لأن لوطاً كان عمه إبراهيم ؛ أيْ: لوط ابن أخي إبراهيم.

داود (وابنه) سليمان، وأيوب ويوسف بن يعقوب، وموسىٰ (وأخاه) هارون.

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾: جمع لهم الملك مع النبوَّة وسليمان بن داود.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: الابتلاء، والصبر (العبد الصابر).

﴿وَيُوسُفَ﴾: الابتلاء، والصبر مع الحكم، ثم الملك، والسلطان في النهاية.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ﴾: وابنه يحيىٰ قُتلا.

﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم عليهما السلام رفعه الله سبحانه.

﴿وَإِلۡيَاسَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الصافات، آية (١٢٣-١٢٧).

﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لأنهم امتازوا بالفقر، والزهد في الدنيا، فوصفهم بالصالحين.

[٨٦] ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

إسماعيل: ابن إبراهيم، واليسع قيل كان بعد إلياس، واتبع منهج إلياس؛ يونس الذي التقمه الحوت، ولوطاً: ابن عم إبراهيم.

﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: فضلنا: ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥٣) لبيان معنىٰ الفضل والكيفية: من باب المدح والثناء، وليس من باب الحصر والتخصيص، لم يكونوا ملوكاً، ولا فقراء، واستعمال الواو في كلاً تشير إلىٰ ليسوا هم فقط المفضلين، بل هناك غيرهم.

﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أيْ: عالمي زمانهم، لا علىٰ الإطلاق؛ لأن محمداً ﷺ،

هو أفضل الأنبياء، ثم إبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوح عليهم السلام، وبذلك ذكر في هذه الآيات (١٨) نبياً، ورسولاً، من أصل (٢٥) من الأنبياء، والرسل المذكورين في القرآن.

[٨٧] ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: ابتدائية بعضية؛ أيْ: بعض ﴿ءَابَآئِهِمْ﴾، ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾.

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: أي: اصطفيناهم، واخترناهم للنبوَّة، وحمل الرسالة، واجتبيناهم؛ مشتقة من الاجتباء، من جبىٰ الماء في الحوض؛ أيْ: جمعه، فالاجتباء؛ اختيار الشخص وضمه إلىٰ أمثاله؛ أيْ: زمرة خاصة.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: هو الدِّين الحق، وهو الإسلام.

[٨٨] ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، إلىٰ ما تقدَّم ذكره من الهداية إلىٰ صراط مستقيم.

﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: الخاص، يهدي إليه من أحب من عباده؛ وهو الإيمان، والاستقامة، أو دِين الله؛ أي: الإسلام.

﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: هداية خاصة، وليست عامة.

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع؛ أيْ: هم لم يشركوا، ولذلك لم يحبط عملهم.

﴿أَشْرَكُوا۟﴾: جعلوا لله شركاء.

﴿لَحَبِطَ﴾: اللام: للتوكيد. حبط: بطل ثواب أعمالهم، وأصبحت أعمالهم هباءً منثوراً.

﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: يقولون، ويفعلون في الدنيا. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من البيان عن الحبط.

[٨٩] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۖ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اسم جنس؛ يشمل القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور.

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الفقه في الدِّين، والعلم، ومعرفة الأحكام، والفتاوىٰ.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: الرسالة.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾: قريش، أو كفار مكة.

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة، أو أمة محمد ﷺ، بها.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق، وتوكيد، وكلنا بها الأنبياء، والرسل المذكورين، أو المؤمنون من أمة محمد ﷺ، أو غيرهم من المؤمنين من الأمم الأخرىٰ.

﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا﴾: الباء: هنا للإلصاق.

﴿بِكَٰفِرِينَ﴾: الباء: هنا للتأكيد، تأكيد النفي، وأصلها: ليسوا بها كافرين.

[٩٠] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد؛ يفيد التعظيم، ويشير إلىٰ الأنبياء، والرسل

المذكوريـــن، وأتباعهم من الموحدين، المخلصين، وأولوا العلم من كل الأقوام السابقة، والأمم المختلفة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾: إلىٰ دِينه الإسلام.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: اقتـــد؛ أي: اتبع هداهم في الدعوة إلىٰ توحيد الله، وفيما لم يرد فيه نص.

والفاء تدل علىٰ التوكيد، والباء: للإلصاق، والملازمة.

﴿ٱقْتَدِهْ﴾: فعل أمر، وقيل: الهاء هاء الســكت؛ أي: لا تنطق الهاء إلا في الوقف، وإذا جاءت في الوصل لا ينطق بها، ولكن هناك من القراء من يثبتها وقفاً ووصلاً ومنهم من يثبتها وقفاً فقط.

وإذا قارنا آية سورة الأنعام، مع آية سورة الزمر (١٨)، نجد أن:

في ســورة الأنعام، الآية (٩٠): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اســم إشــارة، يشــير إلىٰ أقوام كُثُرٍ، وأنبياء مختلفين، ورسل وشرائع مختلفة، من إبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وغيرهم.

أما ســورة الزمــر، الآيــة (١٨): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشــارة؛ يشير فقط إلىٰ رســول الله ﷺ، والصحابة، والمؤمنيــن، وهم فئة واحدة، وقوم واحد، وليســت مجموعة من الرســل، أو الأقوام.

وقولـه : ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: آكَدُ، وأقوىٰ من هدىٰ الله؛ لوجود ضمير الفصل (هم) في هداهم.

و﴿هَدَىٰ ٱللَّهُ﴾ عددهم أكثر وأكبر من الذين: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقولـه تعالىٰ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: أي: اتبعهم رغم كثـرة عددهم، وشـرائعهم المختلفة، فكيف يقتدي بها رسـول الله ﷺ جميعاً؛ أيْ: في منهاج الدعوة، والتبليـغ، وتوحيد الله، والأخلاق الحميـدة؛ أيْ: فيما هو عام وليس خاصاً.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿لَّآ﴾: النافية؛ تنفي كل الأزمنة.

﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أيْ: علىٰ القرآن.

﴿أَجْرًا﴾: ولـم يقل: (من أجرٍ)، حـذف (من): التي تفيد الاسـتغراق، والتوكيد؛ لأن سياق هذه الآية في الاقتداء بالرسل السابقين، ولو كان السياق في الدعوة والتبليغ، كما في سورة يوسف، آية (١٠٤)؛ لاستخدم حرف من، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف نفي أشد نفياً من (ما).

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، ويعود علىٰ القرآن الكريم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: القرآن الكريم، موعظة، وتذكير للعالمين، الخلق كافة.

وما هو الفرق بين ذكرىٰ وذكر؟

كما في ورد في سورة الأنعام، الآية (٩٠): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

وفي سورة يوسف، الآية (١٠٤): ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ذِكْرٌ﴾: أقوىٰ من ﴿ذِكْرَىٰ﴾، ذكر فيه معنىٰ: الشرف، والرفعة، والاختلاف بين الآيتين يعود الاختلاف في السياق.

فقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾: جاءت في سياق قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

﴿ذِكْرٌ﴾: جاءت في سياق الدعوة والتبليغ، وتحتاج إلىٰ الجهد، والمشقة، والتضحية.

و﴿ذِكْرَىٰ﴾: جاءت في سياق ذكر الأنبياء، أو القرآن، أو تذكرة للناس؛ فقوله تعالىٰ: ذكرٌ ،أقوىٰ وآكَدُ، وأبلغ من ذكرىٰ.

❖ ❖ ❖

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ۖ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ
لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

سورة الأنعام [الآيات ٩١ - ٩٤]

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾:

سبب النزول: اختلف في سبب نزول هذه الآية، وفيمن نزلت، فمنهم من يرجِّح؛ كما ذكر ابن عباس : أنها نزلت في مشركي قريش، ومنهم من يرجح أنها نزلت في اليهود، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: وما: الواو: استئنافية. ما: النافية.

﴿قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: الضمير يعود على اليهود، أو على مشركي قريش.

أي: ما عرفوا قدر الله وحقه، وما عظموه حق عظمته.

﴿إِذْ قَالُوا۟﴾: ظرفية؛ تعني: حين قالوا للنبي ﷺ. ما: النافية.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾: حين أنكروا بعثة الرسل، والوحي إليهم.

﴿مِّن﴾: استغراقية، تستغرق أيَّ شيء.

﴿شَىْءٍ﴾: نكرة، لا كتاب، ولا وحي، ولا صحيفة، ولا أيِّ شيء، ومبالغة في الإنكار.

﴿عَلَىٰ بَشَرٍ﴾: رسول، أو نبي، أو أيِّ بشر.

قل يا محمد لليهود، أو مشركي قريش، من: للاستفهام، والتوبيخ ﴿أَنزَلَ﴾:

ولم يقل (نزل)؛ لأن التوراة أنزلت دفعة واحدة، و(نزل) تعني: منجماً على دفعات كثيرة، الكتاب الذي جاء به موسى هو التوراة؛ أيْ: من أنزل على موسى التوراة.

﴿نُورًا﴾: النور الكاشف للشبهات؛ والكاشف للحق من الباطل، ويبيِّن الأحكام للناس، والحلال من الحرام.

﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾: أيْ: مصدر هداية، أو سبب لهداية الناس؛ للوصول إلى الحق، والصراط المستقيم، والغاية. للناس: اللام: لام الاختصاص.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾: أيْ: تجعلون التوراة قراطيس؛ أيْ: تكتبونه في أوراق (قراطيس)، أوراق، أو دفاتر، والغاية من جعلها قراطيس؛ ليتمكنوا من إظهار ما يريدون إظهاره، وإخفاء ما يريدون إخفاءه، ولو جعلوه في كتاب؛ لكان متعذراً فعل ذلك.

﴿تُبْدُونَهَا﴾: تظهرونها لناس متى تشاؤون، أو كيف تشاؤون.

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: تخفون كثيراً من هذه القراطيس؛ التي فيها نعت محمد ﷺ مثلاً، وصفاته، وآية الرجم، وغيرها.

﴿كَثِيرًا﴾: للتوكيد.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿وَعُلِّمْتُم﴾: الخطاب إلى مشركي قريش، أو اليهود.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: على لسان محمد ﷺ، مما أوحى الله إليه في القرآن، وأخبركم به، وما جاء في التوراة، أو كان في التوراة، ولم تعلموه، ولا حتى آباؤكم، لم يعلموه؛ الذين كانوا أعلم منكم.

﴿أَنتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: لا: النافية المطلقة.

وأكَّد ذلك في آيات أخرىٰ؛ منها: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦].

قل الله: هذا جواب للسؤال؛ من أنزل الكتاب.

فإن أجابوك الله كان بها، وإلا فقل لهم: الله الذي أنزل الكتاب.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: ثم: للتوكيد.

﴿ذَرْهُمْ﴾: اتركهم، أو أعرض عنهم، أو دعهم.

﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾: في باطلهم، وجهلهم، وضلالهم يخوضون. ارجع إلىٰ الآية (٦٨) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: من اللعب: وهو العبث، وإضاعة الزمن، والاستهزاء، والخوض في آيات الله، أو حتىٰ يأتيهم اليقين، وفي الآية تحذير ووعيد للكافرين.

[٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

وهذه الآية رد علىٰ سؤالهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، وهذا القرآن أليس هو كتاب أنزل علىٰ محمد ﷺ؟!

﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: عاطفة، هذا: اسم إشارة للقريب؛ يفيد التعظيم.

﴿كِتَٰبٌ﴾: أي: القرآن العظيم.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَٰرَكٌ﴾: أنزلناه في ليلة القدر، أنزلناه دفعة واحدة.

﴿مُبَٰرَكٌ﴾: نعت؛ أيْ: صفة للقرآن، ومبارك؛ أيْ: كثير البركة، كثير الفوائد، والمنافع، بما فيه من الأحكام، والهدىٰ، والشفاء، والذكرىٰ، والموعظة، والرحمة.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الأخرىٰ، مثل: التوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها. ارجع إلىٰ الآية (٤٨) من سورة المائدة؛ للبيان.

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: الواو: عاطفة، اللام: لام التعليل، أو التأكيد؛ أيْ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَٰرَكٌ﴾، وكذلك ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: هي مكة؛ سُمِّيت أمَّ القرىٰ؛ لأنها أعظم القرىٰ شأناً؛ لوجود البيت الحرام فيها، فهي أم؛ أيْ: أصل كل القرىٰ، وهي قبلة المسلمين أجمعين، يؤمها المسلمون من كل مكان، وكذلك تعني: أقدم القرىٰ؛ فقد كانت أرض مكة أول وأقدم جزيرة ظهرت علىٰ اليابسة، وتشكلت من ثورة البراكين التي ألقت بحممها علىٰ الأرض التي كانت مغمورة بالماء، ثم تراكمت هذه الحمم تدريجياً، وامتدت من مكة إلىٰ غيرها من البقاع؛ لتشكل القارة الأم. ارجع إلىٰ سورة الشورىٰ، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من القرىٰ؛ أي: المدن كلها؛ تعني: الأرض كلها، كما قال ابن عباس : وتعني : كل مدينة وقرية في العالم؛ حيث أصبحت الكرة الأرضية اليوم؛ كأنها قرية واحدة؛ لسهولة الاتصالات.

﴿وَمَنْ﴾: استغراقية؛ أيْ: كل ما حولها من القرىٰ والمدن.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: به: يعود على القرآن، الكتاب المبارك.

أي: والذين يؤمنون بالقرآن؛ يؤمنون بالآخرة، وهذا يشير إلى أهمية الإيمان بالآخرة، وبالقرآن.

﴿وَهُمْ﴾: هم ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، وهم: أي: المؤمنون بالآخرة، وبالقرآن.

﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: واختار الصلاة؛ لأنها عماد الدِّين، وتشمل في معناها: الزكاة، والصيام، والحج، فهي تمثل كل العبادات.

﴿يُحَافِظُونَ﴾: يؤدونها في أوقاتها، ويحافظون على أركانها، وخشوعها، وأحكامها، ويحافظون؛ تفيد الاستمرار والتجدد.

[٩٣] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: اسم استفهام؛ فيه معنى الإنكار والتعجب.

وتعني: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً.

﴿أَظْلَمُ﴾: أسوأ، أو أقبح، والظلم تتفاوت درجاته بين صغائر الذنوب وكبائر الذنوب.

﴿مِمَّنِ﴾: أصلها: (مِنْ + مَنْ): أدغمت الأولى في الثانية؛ فأصبحت ممَّن.

ومن الأولى: ابتدائية، ومن الثانية: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: افترىٰ: اختلق علىٰ الله الكذب المتعمد.

﴿كَذِبًا﴾: ولم يقل: الكذب.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة؛ يشمل كل أنواع الكذب.

أما قولـه: الكذب المعروف بأل التعريف: فهو يخص مسـألة معينة؛ مثل قوله في سورة يونس (٦٨-٦٩): ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

الكذب هنا: محدد بقولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: باتخاذ الشـركاء، والأنداد، أو له ولد، أو بنت يشمل الكل؛ لأنه نكرة ولم يحدد.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: أي: ادعـىٰ النبوَّة باطلاً؛ مثل مسـيلمة الكذاب، والأسـود العنسـي كما روي عن ابن عباس، ولمعرفة معنىٰ الوحي. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾:

قيل: كما روي عن ابن عباس: هو عبد الله ابن أبي سـرح، كان أخاً لعثمان بن عفان من الرضاعة، وكان يكتب الوحي لرسـول الله ﷺ، كان إذا أملىٰ عليه رسول الله ﷺ أن اكتب سميعاً عليماً، كتب عليماً حكيماً، وكان يحاول الافتراء علىٰ الله، ولمـا نزلت آية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾، تعجَّب عبد الله بن سرح، فسارع بالقول : تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ:

اكتبها هكذا نزلت، ونزل في نفسه الغرور، فقال: لئن كان محمداً صادقاً؛ فلقد أوحي إليَّ مثل ما أوحي إليه.

وهذا تفسير ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ثم ارتدّ عن الإسلام، ثم عاد، ورجع إلىٰ الإسلام قبل فتح مكة، وجاء به عثمان يطلب له العفو من رسول الله ﷺ.

وقيل: غيره من البشر؛ الذين قال الله سبحانه في حقهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: رؤية قلبية، وبصرية.

ولو: هنا شرطية، وتحتاج إلىٰ جواب، والجواب محذوف؛ لرأيت أمراً عجباً.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين افتروا علىٰ الله كذباً، وقالوا أوحي إلينا، ولم يوح إليهم، أو سأنزل مثل ما أنزل الله، والظالمون: جمع ظالم، وهو كل من خرج عن منهج الله.

﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: سكرات الموت، وغمرات: جمع غمرة، وغمرات الموت؛ استعارة من غمر الماء؛ أيْ: أن تغمرهم سكرات الموت، وشدائده، كما تغمر مياه الفيضان المكان، أو الأرض. وهذا المشهد يدل علىٰ شدة الألم، أو الظالم المغمور بذنوبه فلا منجىٰ ولا ملجأ له، ولم يقل في غمرة الموت، بل غمرات للتهويل لما سيصيبهم قبل نزع أرواحهم.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾: باسطوا: من البسط وهو مد اليد بالسوء؛ أي: بالضرب والعذاب؛ أيْ: مدوا أيديهم؛ لقبض وإخراج أرواح الظالمين.

يقولون: أخرجوا أنفسكم؛ أيْ: تقول لهم الملائكة ذلك؛ توبيخاً لهم؛ أيْ: خلصوا أنفسكم من العذاب، وسكرات الموت؛ إن استطعتم.

ففي هذه الآية؛ لم يصرح بالشيء الذي بسطوا إليه الأيدي، ولكن أشار إلىٰ ذلك في آية أخرىٰ في سورة الأنفال، الآية (٥٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾.

والسؤال هنا هل ملائكة العذاب هم أنفسهم ملائكة قبض الأرواح أن هناك نوعين من الملائكة منهم للعذاب أولاً ومنهم لقبض الأرواح يحضرون بعد انتهاء العذاب؟

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: عذاب الذل، والهوان، العذاب المؤلم الذي يخالطه الذلة، والإهانة، وعلىٰ مرأىٰ من الناس الحاضرين موته أو أهل الميت.

﴿بِمَا﴾: الباء: السببية؛ أيْ: بسبب.

الذي ﴿كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: بادّعاء النبوَّة، أو الإيحاء، أو أن الله لم ينزل علىٰ بشر من شيء، وأن له ولد، وله شريك، وغيرها.

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: وكنتم في الدنيا تكرار كنتم: تفيد التوكيد، عن: للتعليل.

﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: التاء، والسين: للطلب؛ أيْ: ليس عندكم مؤهلات الكبر، ومع ذلك كنتم تستكبرون.

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾: جئتمونا يوم القيامة يوم البعث أو يوم القيامة الصغرىٰ (الموت)، أو عند سكرات الموت وهم ما زالوا علىٰ الأرض.

﴿فُرَادَىٰ﴾: قيل: جمع واختلف في مفرده قيل: فرد أو فريد أو فِرْدَان علىٰ وزن فعالي بضم الفاء مثل سُكارىٰ مفردها: سكران فرداً فرداً، والواحد تلو الآخر، من دون أهل، ولا ولي، ولا نصير، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٨) في سورة الكهف وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ هذه الآية جاءت في سياق يوم البعث أو عند الموت وتتحدث عن الكيفية: كيفية المجيء، وآية الأنعام تتحدث عن العدد، وآية الكهف أعم من آية الأنعام وآية الأنعام عن القيامة الصغرىٰ.

وبيَّن ذلك في آية أخرىٰ من سورة مريم، (٩٥): ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، بينما السوق إلىٰ الجنة: زمراً وزمراً، أو إلىٰ النار زمراً وزمراً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣].

مع الأهل، وممن يماثلهم في الحسنات والسيئات.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: من خوَّله الشيء؛ أيْ: ملكه الشيء؛ خوَّل يخوِّل؛

أي: صار ذا خول؛ أي: خـدم؛ أيْ: تركتم ما أعطيناكم: تفضلاً من ملك، ومال، وأهل، والخول: ما أعطاه الله من النِّعم.

والخول: تضم الخدم، والاتباع؛ أيْ: تركتم أولادكم، وأموالكم، وخدمكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾:

الذين زعمتم أنهم شركاء لله في عبادتكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ﴾: وما: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿مَعَكُمْ﴾: مع: ظرف مكان.

﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾: الأصنام، والآلهة، والأولياء، والذين عبدتموهم؛ ليقربوكم إلىٰ الله زلفىٰ؛ الذين زعمتم أنهم سيشفعون لكم، أو يستحقون عبادتكم.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾: فيكـم؛ أيْ: زعمتـم أنهم لي شـركاء في خلقي.

الزعم: هو القول غير المسـتند إلىٰ دليل، أو ادّعاء العلم، وأكثر ما يقع في الباطل، ولمقارنة كيف كتبت ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ في هذه الآية مع كيف كتبت ﴿شُرَكَآءُ﴾ في الآية (١٢) في سورة النساء. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٢) للبيان.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

﴿لَقَد﴾: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿تَّقَطَّعَ﴾: وسائل الاتصال، والصلة، والروابط، والمودة بينكم، والقربىٰ.

﴿بَيْنَكُمْ﴾: وبين الأصنام والأوثان، والآلهة والأولياء، وما عبدتم من دون الله.

والبين: هو ما يفصل، أو يصل بين شيئين، أو اثنين، فإذا كان واصلاً يمكن أن تقطعه، وإذا كان فاصلاً يمكن أن تصله.

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: وضل: تاه، وغاب اليوم عنكم، الشركاء، وما تبحثون عنهم؛ للشفاعة.

﴿مَّا﴾: اسم موصول؛ أي: الذين (الأصنام، والآلهة، وما عبدتم).

﴿كُنتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَزْعُمُونَ﴾: تقولون قولاً باطلاً، إنهم سيشفعون لكم، وينصروكم في الآخرة.

❖ ❖ ❖

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

سورة الأنعام [الآيات ٩٥ - ١٠١]

[٩٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله : أن عنده مفاتح الغيب، وأنه العليم، بما يجري في كونه، وهو الذي يتوفاكم، وهو القاهر، والمنجي، والقادر، وأنه الواحد الأحد، كما ورد في قصة إبراهيم ، وما سيحدث حين الموت والبعث، يذكر بعض الآيات، والأدلة علىٰ قدرته في الخلق والإيجاد، ويبدأ بمثال فلق الحب والنوىٰ، ثم ينتقل إلىٰ مثال آخر، هو فالق الإصباح فيقول:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل، يفيد التوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾: فالق: أي: شاقّ الحب والنوىٰ، ويعني ذلك: خالق الحب والنوىٰ، فينبت به الزرع علىٰ اختلاف أصنافه، من الحبوب والثمار علىٰ اختلاف أشكالها.

﴿ٱلْحَبِّ﴾: مثل القمح، والشعير، والأرز الذي ليس له نوىٰ.

﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾: له نواة؛ مثل: البلح، والخوخ، وقسم نجد له نواة، وداخل النواة شيء آخر، مثل: بذرة البطيخ.

﴿فَالِقُ﴾: صفة لذات الله ثابتة؛ أي: قبل أن يوجد الحب والنوىٰ؛ الذي يفلقه كان فالقاً، وبعد أن وجد الحب والنوىٰ؛ كذلك يفلقه.

وكذلك مخرج: صفة لذات الله، مثل: الرزق؛ أي: رزاق، قبل أن يوجد أيُّ مخلوق يرزقه، وبعد أن خلقه يرزقه.

إذنْ: مثل هذه الأسماء والصفات؛ تدل على الثبوت.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: قبل تفسير هذا الجزء من الآية؛ يجب أن نعلم: أن كل شيء خلقه الله فيه حياة؛ حتى الجمادات، مثل: الحجارة، والحديد، والمعادن؛ كلٌّ له حياته الخاصة به حتى تقوم الساعة، وكل شيء يسبح بحمد؛ لقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وما دام كل شيء هالك؛ فكلُّ شيء فيه حياة، فلا يعني أن الشيء إذا لم يتحرك أمامنا، ويحس ليس فيه حياة، كما كان يعتقد القدامى؛ فالله يخاطب الأكثرية من الناس بمقدار علمهم على كون الشيء حياً أو ميتاً، وليس علمه بالأشياء، أو علم القلة من العلماء.

فالله سبحانه حين يقول: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، الميت الذي لا حسَّ فيه، ولا حركة، فهو يخاطبنا، كما نفهم الأشياء، بشكل ظاهري.

وبمفهوم الإعجاز العلمي اليوم: لا يوجد شيء ميت، وإن كان لا حسَّ له ولا حركة، مشاهدة بالعين، وبمفهوم الإعجاز العلمي اليوم: نستطيع أن نفسر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: أي: يخرج الحي من الحي، ويخرج الميت (الحي) من الحي، فكل شيء فيه حياة. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٢٧)؛ لمزيد من البيان.

مثال: نجد في كثير من كتب التفسير؛ تفسير هذه الآية بأنه يخرج الحي (الدجاجة) من الميت (البيضة)، البيضة في نظر الكثير تعتبر شيئاً ميتاً، وهذا غير صحيح بمفهوم العلم الحديث.

وإذا نظرنا إلىٰ هذه الآية: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: نجد كلمة يخرج ومخرج؛ فكلمة ﴿يُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، والفعل يدل علىٰ التجدد، والتكرار، والاستمرار.

وكلمة ﴿وَمُخْرِجُ﴾: اسم (صفة): تدل علىٰ الثبوت، صفة ثابتة لذات الله ، فبذلك جمع صفات الكمال التي تشمل التجدد والثبات معاً.

انتبه إلىٰ قوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: جاء بالفعل ﴿يُخْرِجُ﴾: ثم قال : ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: فجاء بالاسم (مخرج).

جاء بالفعل ﴿يُخْرِجُ﴾: مع الحي؛ لأن من أبرز صفات الحي: الحركة والتجدد، وجاء بالاسم ﴿وَمُخْرِجُ﴾: مع الميت؛ لأن أبرز صفات الميت السكون، وعدم الحركة؛ لأن من صفات الاسم: الثبوت؛ فهو يماشي السكون وحده (الموت).

﴿فَأَنَّىٰ﴾: أنّىٰ: استفهام إنكاري، وفيها معنىٰ الذم التعجب؛ أيْ: لا مبرر لكم؛ لعدم إيمانكم، وعباداتكم إياه وحده، و(أنىٰ): تعني كيف، ومن أين لكم؟

﴿تُؤْفَكُونَ﴾: من أفكه عن الشيء: صرفه عنه وقلبه، باستخدام الكذب كوسيلة.

فكيف تصرفون عن الإيمان به، وعبادته إلىٰ عبادة غيره ، أو تصرفون عن خالقكم، إلىٰ غيره، فكيف حدث ذلك، أو من أين لكم هذا؟

[٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾:

﴿فَالِقُ﴾: شاق، أو شاقق: ظلمة الليل؛ ليخرج النور.

﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾: هو الضوء، أو النور؛ الذي نراه قبل شروق الشمس، هذا يسمَّىٰ الإصباح، ويعني: الصبح.

وجاء بالاسم؛ فالق: ليدل علىٰ أن ذلك صفة ثابتة؛ لذاته، منذ الأزل، قبل أن يخلق الليل والنهار، والشمس والقمر.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: الجعل: يكون مرحلة تالية للخلق.

﴿ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: يسكن فيه الناس عن الحركة؛ للراحة والهدوء، وهذا من رحمة الله بالإنسان؛ لكي يرتاح ويعود نشيطاً في الصباح، ويزاول عمله مرة أخرىٰ.

وفي آية أخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:٤٧].

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان:٤٧]، لباساً؛ أيْ: يستركم بظلامه، كما يستركم اللباس.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: حساباً؛ أيْ: لحساب الزمن بالساعة، والدقائق، والثواني، حساباً دقيقاً، لا يتغير، ولا يضطرب.

والشمس: تستعمل لحساب اليوم، والسنة.

والقمر: يستعمل لحساب الليلة، والشهر.

فدورة الأرض حول محورها (نفسها) دورة كاملة تحدد لنا اليوم.

ودورة القمر حول الأرض دورة كاملة تحدد لنا الشهر.

ودورة الأرض حول الشمس دورة كاملة تحدد لنا السنة.

وتختلف السنة القمرية عن السنة الشمسية بـ(١١) يوماً، وتوالي الليل

والنهار، وحركة الشمس والظل يحدد لنا الزمن، واليوم، والساعة. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١٢) وسورة يونس، آية (٥) وسورة إبراهيم، آية (٣٣) وسورة الرحمن آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

أما قوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]، بحسبان هنا تعني: مخلوقتين بحساب دقيق من حيث الدوران، والحجم، والبعد عن الكواكب الأخرىٰ والمجرات.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويشير إلىٰ الحساب، أو الحسبان، من تقدير.

﴿تَقْدِيرُ﴾: من قدرة، أو تقدير؛ أيْ: حساب.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: أي: القاهر، والغالب، والممتنع، والذي سخرهما: الشمس والقمر، وقهرهما.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: جمل اسمية؛ تدل علىٰ الثبوت.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: جاء بالصيغة الفعلية التي تدل علىٰ التجدُّد، والتكرار.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾: أيْ: سخر الليل والنهار، أو آية الليل والنهار إشارة إلىٰ كروية الأرض، فالقسم المواجه للشمس يضيء بفضل وجود الطبقة الغازية المحيطة بالأرض، والتي سُمكها (٢٠٠ كم)، هذه الطبقة الغازية التي إذا وقع عليها ألوان الطيف، أو حزمة الشمس المضيء أخرجت لنا نور الشمس الأبيض، وأما القسم من الأرض، أو النصف غير المقابل للشمس فيكون فيه الليل.

[٩٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر الحقيقي، والتوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل يأتي بعد الخلق، والجعل يعني: التصيير، وجعل؛ تعني: صير، واللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكم خاصة.

﴿ٱلنُّجُومَ﴾: جمع نجم، والنجم هو: كتلة مشتعلة تضيء ما حولها؛ كالشمس، ويقدِّر علماء الفلك: أن في مجرتنا سِكَّة التبَّانة نحو تريليون نجمٍ.

﴿لِتَهْتَدُوا۟﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد للهداية، ومعرفة الاتجاهات والسير، سواء كان في البر، أم في البحر.

﴿بِهَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: في الأماكن النائية، والمظلمة؛ حيث لا يعرف شمالها من جنوبها، وشرقها من غربها، كما هي الحال في الصحارىٰ والبحار.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾: بيَّنَّاها بأساليب متعدِّدة، الآيات الكونية، مثل: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنجوم، ارجع إلىٰ آية (٥٥) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يعلمون: كون الشمس والقمر حُسباناً وجعل الليل سكنا والشمس يدل علىٰ كروية الأرض؛ فهذه الأمور لا يعلمها حقيقة إلا نخبة من

العلمـــاء ولذلك قال تعالىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أيْ: فصَّلناها؛ كي يدركها، وينظر إليها الذين درسوا العلم الفلكي، والعلوم الكونية، ثم يستدلون بها علىٰ وحدانية الله، وقدرته العظيمة.

بعد ذكر الآيات الكونية ينتقل إلىٰ ذكر آيات الخلق.

[٩٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيـــد الحصر، والتوكيد؛ أيْ: هو وحده ﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول.

﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: الإنشـــاء: هو الإيجـــاد، والخلق، والإحداث؛ أيْ: أنشأكم خلقاً من بعد خلق.

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: أيْ: من نفس واحدة؛ أيْ: ذات واحدة، هي التي خلق منها آدم، وحواء، فالكل خلق من نفس واحدة. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١)؛ للبيان.

﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: فمستقر: الفاء: عاطفة؛ أيْ: أودع الله كل ذرية آدم في صلب آدم، فآدم هو المستقر، وحواء هي المستودع، أو بالعكس؛ أيْ: مستقر في أصلاب الرجال (الآباء)، ومســـتودع في أرحام الإناث (الأزواج)، أو مستقر في الأرض، علىٰ ظاهر الأرض، ومستودع في القبور؛ باطن الأرض. مستقر لها حين تكون حية، ومستودع لها بعد الموت.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: أيْ: لـم نـأتِ بها مجملة، ارجع إلىٰ الآية السـابقة (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه لغةً: هـو الفهم، اصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشـرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسـنة والإجماع والقياس وغيرها، ويعني: الفهم الناجم عن التأمل، والنظر، والفهم مرحلة تسبق مرحلة العلم؛ فهذه الآيات تحتاج إلىٰ: فهم وتدبر وتفكر لذلك قال تعالىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، ولا يفقهـه الكل يفقهون قدرة وعظمة الخالق، وأنـه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويطـاع بينما الآيات في الآية (٩٧) تحتـاج أو ينتفع بها قوم يعلمون (فئة خاصة من العلماء بعلم الفلك والنجوم)، وإما الآيات في الآية (٩٩) ينتفع بها أو خاصة بالقوم المؤمنين. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: وهـو: ضمير منفصـل؛ يفيد الحصـر والتوكيد؛ أيْ: هو وحده الذي أنزل.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أيْ: أنزل من السحب ماءً؛ أي: المطر، والسحاب يسمَّىٰ السـماء؛ لأن تعريف السماء: هو كل ما يعلو الإنسان يسمَّىٰ سماء، وهذا الإنزال نتيجة دورة الماء حول الأرض، يبدأ ببخار الماء، تحمله الرياح، تشكل السحب المنبسطة، ثم الركامية؛ التي تنزل المطر بعد تلقيحها برياح تحمل هباءات الغبار.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: السياق كان يقتضي أن يقول: فأخرج، ولكن جاء بصيغة الجمع: فأخرجنا؛ للتعظيم، أو لأنه سبحانه لا ينسىٰ من حرث الأرض، وبذرها، وسقاها، وهيأها، وحصدها.

وهذه الأعمال كلها: من الأخذ بالأسباب؛ للوصول إلىٰ الغاية والهدف، فلا بُدَّ للإنسان من القيام بها، ومن فضله أن أشرك الإنسان بعملية الإخراج.

﴿بِهِۦ﴾: الضمير يعود علىٰ الماء؛ أيْ: أخرجنا بالماء.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: فكل نبات لا بُدَّ له من الماء؛ ليخرج وينبت، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠].

والنبات لا ساق له.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: فأخرجنا من النبات.

﴿خَضِرًا﴾: لا تعني اللون الأخضر، كما يظن الكثير من الناس، فلو أراد بها اللون الأخضر لقال: فأخرجنا منه نبات أخضر، وخُضر، وإنما تعني: مادة اليخضور التي أعطاها الله القدرة علىٰ امتصاص الطاقة من أشعة الشمس، ثم تمتص الماء من الأرض، فتحلِّله بالطاقة إلىٰ ذرتين من الهيدروجين، وذرة من الأوكسجين، وتحتفظ بذرتي الهيدروجين، وتطلِق الأوكسجين إلىٰ الجو؛ ليتنفَّسه الإنسان، والحيوان، وتأخذ ثاني أوكسيد الكربون من الجو، وتحلِّله بطاقة الشمس إلىٰ كربون، وذرتي أوكسجين؛ تطلِق ذرتي الأوكسجين إلىٰ الجو؛ ليتنفَّسها الإنسان والحيوان، وتحتفظ بذرة الكربون، ثم تربط بين ذرتي الهيدروجين والكربون، وتشكل السلاسل الغذائية من المواد السكرية، والدهنية، والسللوز، وغيرها، فمادة اليخضور: هي المادة التي يصنع لنا ربنا منها الثمرات.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: كما في سنابل القمح والشعير.

﴿مُتَرَاكِبًا﴾: مرصوص، بعضه على بعض.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾:

﴿مِن طَلْعِهَا﴾: هو الثمرة الأولى للنخلة، قبل أن تنشق، ويخرج منها القنوان.

﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾: مفردها: قنو، أو العرجون الذي يحمل المشاريخ التي تحمل البلح (التمر)، كعنقود العنب.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة، يمكن قطفها باليد مباشرة، وهناك قنوان بعيدة، لا يمكن أن تصل إليها اليد أو محاطة بالشوك صعب الوصول إليها.

وفي سورة (ق) الآية (١٠): ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: واختار من بين الثمار: الزيتون والرمان.

فالزيتون: الذي يستخرج منه زيت الزيتون؛ لكونه يحتوي على نسبة عالية من الحموض الدهنية غير المشبعة التي تقي من تصلب الشرايين، وأمراض القلب، وارتفاع الضغط، ومقاومة السرطانات، وأمراض المفاصل، ومقاومة ضعف الذاكرة... وغيرها.

وأما الرمان: فثمرته تحتوي على تركيز عالٍ مضادة للأكسدة، وهو يستعمل في علاج قرحات المعدة، ومقاومة السرطانات، وأمراض ضعف الذاكرة.

ما هو الفرق بين مشتبهاً ومتشابهاً؟

مشتبهاً: التشابه بأوجه كثيرة: (طول، وعرض، ولون، وطعم، وحجم)، أو على الأقل وجهان، أو أمران.

فلوجود هذه الأوجه من التشابه يلتبس الأمر على الإنسان.

وأما متشـــابه: فالتشـــابه بوجه واحد فقط، أو معنىٰ واحـــد، إما الطول، أو العرض، أو اللون، أو الطعم، فقط.

فالتشـــابه: ينقسم إلىٰ نوعين: تشـــابه في أمر، أو وجه من الوجوه، ويسمَّىٰ ذلك متشابه.

أو تشابه في أكثر من وجه (وجهين أو أكثر)؛ يسمَّىٰ مُشتبهاً.

وأما غير المتشابه: فليس فيه أيُّ أمر، أو وجه من التشابه.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: بأكثـــر من أمرين، أو جهين علىٰ الأقل بعدة أوجه، أو أمور.

﴿مُشْتَبِهًا﴾: في ورقه، وأغصانه، ولكن يختلف في ثمره، هذا زيتون، وهذا رمـــان، ونلاحظ قدم الحب علـــىٰ أربعة أنواع من الأشـــجار: النخيل، والعنب، والزيتون، والرمان؛ لأن الزرع هو: الغذاء العام، وقدم التمر علىٰ الفواكه والعنب حسب الأهم.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾: أكثر نضجاً، والينع: النضج، انظـــروا إلىٰ ثمره إذا أثمر، وإلىٰ نضجه، مرحلة التطور، ثم مرحلة النضج، وهي الينع.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾: بتدبـــر، وتأمل، وقدرة الله ســـبحانه، وعظمته علىٰ الخلق، ولم يذكر الأكل هنا في الآية.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فِى ذَٰلِكُمْ﴾: ذا: اسم إشـــارة، لم يقل: ذلك؛ لأن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: آكَدُ من ذلك، و﴿ذَٰلِكُمْ﴾: للأكثر، والجمع، والتوكيد.

﴿لَّآيَٰتٍ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد، جمع آية، فيها آيات كثيرة خاصة بالقوم المؤمنين.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام لام الاختصاص؛ أيْ: هذه الآيات، هي دلائل علىٰ وحدانية الخالق، وقدرته، وعظمته؛ تفيد أو يقر بها المؤمنون فهي من نوع النعم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٩٩) مع الآية (١٤١) من سورة الأنعام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

الآية (١٤١): تذكر متشابهاً، وغير متشابه؛ أيْ: متشابه بوجه من الوجوه، أو أمر من الأمور فقط.

وغير متشابه؛ أيْ: بلا أيِّ وجه، أو أمر من التشابه.

في هذه الآية: يذكر الأكل، فيقول: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، فالآية (٩٩): جاءت في قدرة الله وعظمته لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ السياق والتدبر، والإيمان، والعقيدة، والوحدانية، والآية (١٤١): جاءت في سياق الأكل، وعدم الإسراف، والانتفاع بها، وبما أن الإيمان والعقيدة أهم من الأكل والشرب، ولذلك كل آية لها غاية وهدف يختلف عن الآخر، فالآية (٩٩) هدفها التدبر والإيمان والآية (١٤١) هدفها عدم الإسراف ودفع الزكاة.

[١٠٠] ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾:

﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾: الواو: استئنافية، جعلوا: من الجعل، من أفعال القلوب؛ أيْ: تعني: التصيير، والتحويل.

وجعلوا: يعود على المشركين؛ فهم: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾: الجن، وهم الشياطين كفرة الجن.

فالشياطين (كفرة الجن)، زينوا للمشركين عبادة الأوثان، والأصنام، فأطاعوا الشياطين؛ فعبدوا الأصنام، والأوثان، وعظموها؛ كما عظموا الله.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أيْ: هؤلاء المشركون، يعلمون أن الله خلقهم، وخلق الجن، وخلق الملائكة، ومع ذلك عبدوهم، وجعلوهم شركاء لله، فكيف يكون المخلوق شريكاً للخالق؟

وهناك من العلماء من يظن أن في هذه الآية تقديماً، أو تأخيراً، له فائدة في التوسُّع في المعنى.

فلو قال: وجعلوا الجن شركاء لله؛ لنقص المعنى.

إذنْ: لماذا التأخير والتقديم؟ هنا يفيد التوسُّع في المعنى.

فالآية تعني: إنكار أن يكون لله شريك: من الجن، أو غير الجن.

ولو قال: جعلوا الجن شركاء لله؛ تعني: أنكر الجن أن يكونوا شركاء لله، وأما غير الجن، فلا يستبعد ويستنكر أن يكونوا شركاء لله، وقد يظن أنه يجوز، أو مباح، ولذلك جاءت بهذه الصيغة؛ لتحمل المعنيين معاً.

﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾:

﴿وَخَرَقُوا﴾: من الخرق: الذي يعني الشق والقطع أو الخرق: هو عمل فجوة في شيء طبيعي سليم؛ أي: سبحانه لم يلد ولم يولد اختلقوا له بشيئين وبنات وكان من المفروض عليهم أن يعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو أشركوا به لبث الفساد من غير تعقل وتدبر وفهم وقد تعني: اختلقوا؛ أي: الكذب، ومن دون علم؛ أي: افتروا الكذب، واختلقوه، وأخرق؛ تعني: أحمق، يختلق الأشياء.

﴿لَهُ بَنِينَ﴾: المسيح ابن مريم، أو العزير عليهما السلام.

﴿وَبَنَاتٍ﴾: أي: الملائكة كما افترى مشركو العرب، كانوا يقولون: الملائكة بنات الله سبحانه.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيه لله عن الشرك، والنقص، وعما يصفونه به ، مما لا يليق بكماله ؛ من الولد، والبنت، والند، والمثيل. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

وتنزيه ثابت قبل أن يوجد من ينزهه، أو يسبحه .

﴿وَتَعَالَى﴾: عن الشريك، والولد، والند، والنظير، تعالى على كل شيء؛ بقدرته، علو الذات، والقدرة، والقهر، علو الكبرياء، والعظمة، والجلال الأعلى؛ الذي لا يعلوه أحد.

﴿عَمَّا﴾: عن: حرف جر، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَصِفُونَ﴾: من الشريك، والولد، وغيره.

[١٠١] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: خالق السموات والأرض، على غير مثال سابق.

والإبداع: هو إنشاء الشيء ابتداءً، وعلى غير مثال سابق.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: أنّى للاستفهام، وأنى: تعني كيف، ومن أين، ومتى، وللتعجب، واستعمال (أنى): للدلالة على التوسع في المعنى؛ أيْ: كيف كان له ولد، ومن أين، ومتى كان ذلك؟

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: أيْ: زوجة، (لم): تفيد نفي المستمر؛ الذي لم ينقطع، ولن ينقطع.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: الخلق يعني: التقدير، والإيجاد.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاختصاص.

﴿شَىْءٍ﴾: أيِّ شيء (نكرة)، مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله، ولونه.

﴿عَلِيمٌ﴾: أحاط علمه بجميع خلقه، ويعلم ما يقولون، ويفعلون، وما يسرون، وما يعلنون، وما يشركون ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ:٣].

❖❖❖

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٠٢ - ١١٠]

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة؛ يفيد الجمع؛ لأنه سبقها قوله خالق كل شيء، والتوكيد، والتعظيم مقارنة بقوله ذلك.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: جمع للألوهية، وللربوبية معاً.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية؛ أيْ: لا إله إلا هو؛ حصراً، وقصراً، لا معبود إلّا إياه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: الشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً، ويعني أقل القليل، وشيء نكرة؛ تشمل كل شيء، مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه. ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السورة؛ لبيان معنىٰ الخلق.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدل علىٰ التوكيد.

﴿وَكِيلٌ﴾: أيْ: هو الوكيل علىٰ كل شيء؛ أي: الكافي المتولي، والقائم، والمدبر لكل شيء، والمعين عليه، سواء اختار المخلوق، أم لم يختر.

الله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: أي: الله وكيل عليك، وليس وكيلاً لك؛ لأن الوكيل لك: ينفذ أوامرك، وقيل: فلان وكيل لفلان.

أي: ينفذ ما يريده، أما الحق ؛ فإنه وكيل علىٰ كل شيء؛ أيْ: أعلم بما

يناسب كل إنسان، فيستجيب له، أو لا يستجيب له حسب ما تقتضيه إرادته، ومشيئته وحكمته تعالىٰ.

وفي هذه الآية: نجده قدَّم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ علىٰ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

بينما في سورة غافر، آية (٦٢) قدَّم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ علىٰ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وذلك لأن آية الأنعام جاءت في سياق التوحيد، ونفي الشرك، والصاحبة، والولد، فقدَّم كلمة التوحيد لا إله إلا هو، بينما في آية سورة غافر؛ فقد جاءت في سياق الخلق، وتعداد النِّعم؛ كقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٦٢]، ولذلك قدَّم خالق علىٰ لا إله إلا هو.

[١٠٣] ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾:

﴿لَّا﴾: النافية.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: أيْ: لا تحيط به الأبصار أيَّ إحاطة؛ لأن إذا أحاطت به الأبصار؛ صار مقدوراً عليه.

وهناك فرق بين الرؤية والإدراك؛ الإدراك: أقوىٰ من الرؤية؛ فقد ترىٰ شيئاً ما، ولكن لا تدركه؛ أيْ: تحيط به علماً، ورؤيةً كاملة.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: سواء أكانت العيون، أم العقول، لن يدركه عقل، أو بصر أبداً، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

أما رؤية الله في الآخرة: فهي حق، ولكن ليست رؤية إدراك، بل رؤية عن بعد، والله أعلم كيف تكون.

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾: يدرك سبحانه أبصار خلقه، وعقولهم؛ لأنه يحيط بخلقه إحاطة تامة.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾: اللطيف: يعلم بمخفيات الأمور، ودقائق الأشياء، والوصول إليها بدقة ولطف.

واللطيف: من لطف، والشيء حين يدق ويصغر؛ يقال له: لطف؛ أيْ: كلما دقّ؛ أيْ: لطف، فهو يعلم كل شيء؛ مهما دق وصغر في الحجم، أو الاختفاء، واللطيف تعني كذلك: حسن المعشر، يرفق بعباده.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العليم ببواطن الأمور، وذات الصدور، وكل الجوانب.

وأما الرؤية التي أخبر الله عنها عباده، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]؛ رؤية لا يعلم حقيقتها إلا الله وحده.

[١٠٤] ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: بصائر: جمع بصيرة، والبصائر: البينات، تشمل آيات القرآن، والأصح: الحجج، والمعجزات، والبراهين التي تهدي إلىٰ الحق. ارجع إلىٰ سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد في معنىٰ بصائر.

وقيل: البصيرة: هي النور الذي يبصر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر فيه العين، وهي البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، من: شرطية.

﴿أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾: أيْ: نفع نفسه من اهتدىٰ بهذه البصائر؛ أي: الآيات، فلنفسه أفاد نفسه.

﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾: ضرّ نفسه؛ أيْ: من أعرض عن الحق، وضلَّ؛ فإنما يضل علىٰ نفسه؛ أيْ: عاقبة ضلاله، ووبال أمره يعود عليه وحده.

كقوله: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الإسراء:١٥]؛ لأن الله سبحانه غني عن خلقه، وعن طاعتهم.

﴿وَمَآ أَنَا۠﴾: الواو: عاطفة، وما: النافية، أنا: تعود علىٰ رسول الله ﷺ.

﴿بِحَفِيظٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، حفيظ؛ أحصي لكم أعمالكم، وأجازيكم عليها، أو رقيب عليكم، أو قادر على أن أحرسكم، أو أحفظكم من المهالك، ومكائد الشيطان، ومصارع السوء، أو أحميكم من الوقوع في الذنوب.

[١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

أي: كما بيَّنَّا في الآيات السابقة؛ أيْ: صرفناها؛ كذلك نصرف الآيات الأخرى، ونبيِّنها بأساليب مختلفة، وهكذا يتبيَّن لكم الحق.

﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾: اللام: لام التعليل، أو التوكيد، ليقولوا: الذين كفروا، أو المشركون، إذا سمعوا هذا البيان والتصريف: أنك درست على أهل الكتاب اليهود، وتعلمت منهم، وتعني: كثرة القراءة، أو تعلمت على بشر، أو قرأت، أو تعلمت من غيرك، أو دارست غيرك، ولم يوح إليك، وأصل درست: من درس الكتاب إذا أكثر من قراءته، أو من درس الحنطة يدرسها مرات عديدة؛ أي: داسها لكي يفصل القشر عن الحب.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: اللام: لام التوكيد، نبيِّنه: فعل مضارع؛ يعني: القرآن الكريم: نوضحه.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص، هذا التصريف يفيد الذين يعلمون، أهل العلم، فيتبعون أحسن ما أنزل إليهم، من ربهم، أما الجاهلون، فلا ينتفعون به، ولا يريدون سماعه.

[١٠٦] ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي: القرآن، واعمل به، واستمر على رسالتك به، فإن ما أوحي إليك: هو الحق؛ لأنه لا إله إلّا هو. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أيْ: لا تعتد بأقوالهم الباطلة، ولا تبال بها، مثل

قولهم: درست، أو تعلمت، أو قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، ولمعرفة معنىٰ أوحي إليك؛ ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿مَآ أَشْرَكُوا۟﴾: أيْ: جعلهم مؤمنين، أو أنزل عليهم آية، اضطرتهم إلىٰ الإيمان قهراً، ولكن الله ترك لهم الخيار.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: وما: الواو عاطفة، ما: نافية.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: أيْ: رقيباً عليهم، أو تحفظ أعمالهم، وأقوالهم، أو تحفظ لهم حياتهم، موكل إليك رزقهم، وحسابهم. ارجع إلىٰ الآية السابقة (١٠٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: وما تكرارها يفيد توكيد النفي.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والوكيل؛ أيْ: موكل بتدبير شؤونهم، أو قيِّم علىٰ شؤونهم، أو نفوض إليك أمرهم؛ كي ترغمهم علىٰ الإيمان.

إذنْ: ما أنت عليهم بحفيظ، ولا بوكيل، ولا كليهما، وما عليك إلا البلاغ المبين.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟﴾: أيْ: ولا تسبوا، لا: الناهية، لا تسبوا الذين يعبدون، أو يدعون من دون الله، أو تسبوا آلهتهم؛ فيكون ذلك سبباً لهم لسب الله سبحانه، والسب: يشمل الكلام القبيح، أو الشتم، والذم، والهجاء، والعيب.

﴿عَدْوًۢا﴾: أيْ: ظلماً، ظلماً بجهل، أو تسرعاً، والعَدْو: الاعتداء، والتجاوز، وعدا؛ أيْ: ظلم.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جهلاً منهم؛ بما لله سبحانه: من حق، وتقديس، وقدر.

وفي هذه الآية: يتبيَّن الأدب القرآني في عدم السب؛ لأنه قد يكون سبباً في بُعدهم عن الإسلام أكثر فأكثر، ويكون وراء ذلك مفسدة، وهذا يعلمنا اللطف في منهج الدعوة؛ لأن الوسيلة هي أن تستميل القلوب للإسلام.

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما زينا لهؤلاء القوم، حب آلهتهم، والانتصار لها، والدفاع عنها، وعدم الرضا بسبِّها.

﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الأمم عملهم: من خير أو شر، أو الإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، والمزين هنا هو الشيطان، أو الله سبحانه. انظر إلىٰ الملحق.

وتعريف الأمة: جماعة من الناس، تجمعهم عقيدة واحدة، أو دِين واحد، أو مبادئ وأسس اجتماعية غير ربانية.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِم﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، حصراً إلىٰ الله مرجعهم.

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا بإخراج صحائف أعمالهم التي تشمل الأقوال والأفعال.

والسؤال في هذه الآية؛ من هو المزيِّن؟

التزيين يأتي من الله سبحانه، أو من الشيطان، أو أحياناً يكون فعل التزيين مبنياً للمجهول، فالله : هو المزين للأعمال الحسنة، أعمال البر، والتقوىٰ، والخير، والإحسان التي تزيد في هداية المؤمن، وتقواه، وأما الشيطان وأتباعه:

فهو المزين لأعمال السوء، أعمال الشرك، أو الضلال، والغواية، والمعصية، والعدوان، والشر، والظلم.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

سبب النزول: كما جاء في الطبري: كلَّم رسول الله قريشاً، فقالوا: يا محمد! تخبرنا أن موسىٰ كان معه عصًا يضرب بها الحجر، وأن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ، وأن ثمود لهم الناقة، فائْتنا من الآيات حتىٰ نصدقك؛ فقال رسول الله ﷺ: أيُّ شيء تحبون أن آتيكم به؟

قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال فإن فعلت؛ تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً؛ فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنَّهم؛ أيْ: عذاب الاستئصال، وإن شئت فاتركهم حتىٰ يتوب تائبُهم، فقال ﷺ: أتركهم حتىٰ يتوب تائبُهم؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أيْ: مشركو قريش.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: باء الإلصاق.

ومن خصائص القرآن: أنه يستعمل القسم في سياق الصادقين في أيمانهم، والقسم؛ حتىٰ ولو كانوا غير مؤمنين، أو يوهمون الناس: بأنهم صادقون، ويستعمل الحلف: (ليحلفن) في سياق المنافقين، والكاذبين في أيمانهم؛ أي: ظاهرهم الإخلاص والبر في القسم وباطنهم غير ذلك. ارجع إلىٰ سورة التوبة، آية (٥٦)؛ لمزيد من البيان والفرق بين القسم والحلف.

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أيْ: أقسموا بالله، أبلغ الأيمان، وأغلظها، وأجهدوا أنفسهم في صيغة القسم؛ لكي تصدقوهم.

﴿لَئِن﴾: اللام: للتوكيد، وإن: شرطية، تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: معجزة، كما طلبوا؛ كتحويل جبل الصفا إلىٰ ذهب، أو كما سألوا: أن تفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً.

﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿بِهَا﴾: ليؤمنـنَّ بها؛ أيْ: بالآية (بالمعجزة)، ولم يقولوا: ليؤمننَّ بك؛ مما يدل علىٰ نيتهم السيئة.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر والتوكيد.

﴿ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: المعجـزات بيد الله، عند الله، وليسـت عندي؛ فهو القادر علىٰ أن ينزل آية، أو آيات.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: للاسـتفهام، والنفـي، والسـؤال مُوجَّـه إلـىٰ المؤمنيـن، ورسول الله ﷺ؛ الذين كانوا يطمعون في إسلام هؤلاء الكفار.

﴿يُشْعِرُكُمْ﴾: الإشعار: يعني: الإعلام، أشعره أعلمه.

﴿أَنَّهَآ﴾: أن: للتوكيـد؛ أيْ: مـا يعلمكم أو يدريكـم ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: أنزلها الله سـبحانه عليهم ولم يؤمنوا؛ فالله سبحانه وحده يعلم الغيـب، وأنتم لا تعلمون؛ فهـو يعلم أنهم لا يؤمنون؛ حتىٰ ولـو نزل عليهم ما طلبوه، ولذلك لن ينزل عليهم ما طلبوه.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَنُقَلِّبُ﴾: من التقليب: هو التحول من حالة إلىٰ حالة أخرىٰ، فتصبح لا تعي، ولا تفهم.

﴿أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: الأفئدة: جمع فؤاد، والفؤاد؛ قيل: هو القلب؛ أيْ: قلوبهم. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٤٦)؛ للبيان العلمي، وارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٧٩).

﴿وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾: جمع بصر، فلا تبصر، ولا ترىٰ؛ ما ينفعها، أو البصيرة: منطقة البصيرة في الدماغ.

أيْ: لو أنزلنا عليهم آية كما سألوا، وكما تتمنون أنتم أيها المؤمنون؛ طمعاً في إسلامهم، فنحن قادرون علىٰ أن نقلب أفئدتهم، وأبصارهم عن الإيمان، فلا يؤمنوا بالله، ولا بالقرآن، ولا بمحمد ﷺ؛ أيْ: قادرون أن نحول بينهم، وبين الهدىٰ، فلا يؤمنوا، كما لم يؤمنوا سابقاً قبل نزول الآية؛ أيْ: أول مرة، أو نقلب أفئدتهم، وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية حين أنزلنا عليهم الآيات أول مرة، الكاف: للتشبيه.

﴿لَمْ﴾: نافية، به تعود إلىٰ القرآن، أو محمد ﷺ، أو بالآيات.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أيْ: نتركهم، أو ندعهم.

﴿فِى﴾: ظرفية، تدل علىٰ كونهم منغمسين في الضلال، والكفر من قبل، ومن بعد ما سألوا، ومع ذلك فهم يزدادون كفراً، وضلالاً.

﴿طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: الطغيان: مجاوزة الحد في الضلال، والكفر، والظلم، والعصيان، ومنع غيرهم من الدخول في الإسلام.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من العمه، والعمه هنا يكون في البصيرة، يقابل العمىٰ؛ الذي يكون في البصر، أو العين، فهم الذين اختاروا العمه، عمىٰ البصيرة، والحيرة، والتردُّد.

❖ ❖ ❖

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

سورة الأنعام [الآيات ١١١ - ١١٨]

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه جماعة من كفار مكة وزعمائها؛ فقالوا له: أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحقاً ما تقول أم باطلاً؟ أو ائتنا بالله، والملائكة قبيلاً؛ فنزلت الآية.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: ولو: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿أَنَّنَا﴾: بدل أنا؛ للتوكيد، والتعظيم.

ولو استجبنا لمطالب هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ بها.

و﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: ورأوهم بأعينهم، وسمعوا شهادتهم لك بالرسالة والنبوَّة.

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: الذين يعرفونهم بعد إحياء الله لهم من جديد.

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾: حشرنا: جمعنا؛ أيْ: أحضرنا لهم الآيات، والحجج، يُزاحم بعضها بعضاً، كما يطلبونها.

﴿قُبُلًا﴾: مواجهة، ومعاينة، ومقابلة؛ أيْ: وضعنا أمام أعينهم كل آية أو كل ما طلبوه من الآيات من القُبل الذي هو أمامك، والدبر: هو الذي خلفك.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: شيء: نكرة، تضم كل شيء طلبوه من الآيات، والدلائل.

﴿مَا﴾: نافية.

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: أي: لن يصدقوك، ويؤمنوا بما جئت بإرادتهم، ورغبتهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أن يهديهم إذا اختاروا الإيمان لأنفسهم (الإيمان الاختياري)، أو يجبرهم على الإيمان قسراً، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١٢) التالية من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: نجد أن اسم الجلالة الله جاء في سياق الإيمان ونفي الشركاء، واسم الرب جاء في سياق الحفظ لرعاية.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: يجهلون: أن الهداية بيد الله وحده، وليست بأيديهم، كما زعموا إذا رأوا آية؛ ليؤمنن، وإذا لم يروا آية: لا يؤمنون؛ فالله سبحانه قادر على أن يريهم آية، أو أكثر، ولا يؤمنون.

أو هو سبحانه قادر على أن يجعلهم يؤمنون من دون رؤية أيِّ آية، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء.

وهناك القلة الذين لم يصفهم بالجهل؛ لأنهم سوف يؤمنون حين يرون الآيات، أو غيرها، ولكن بمشيئة الله. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لمزيد في معنى يجهلون، وسورة الفرقان آية (٦٣).

[١١٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: استئنافية، كذلك؛ أيْ: كما جعلنا لك عدواً، أو أعداءً يخالفونك، ويعادونك؛ جعلنا للأنبياء من قبلك عدواً، أو أعداءً.

والسؤال هنا: كيف نفهم هذه الآية بأن يجعل الله لكل نبي عدواً، شياطين الإنس والجن؟ وفي سورة الفرقان، الآية (٣١) قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وكذلك قوله في سورة غافر، الآية (٥١): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، والجعل هنا لا يعني أن الله جعلهم بطبيعتهم أعداء، أو الله سبحانه فرض عليهم، أو ألزمهم، أو صيرهم، بأن يكونوا أعداء.

ولكن الله أودع فيهم، وأعطاهم العقل، وحرية الاختيار، فاختاروا هم أنفسهم أن يكونوا أعداء، ومجرمين للأنبياء والرسل، وهناك بشر أمثالهم؛ اختاروا أن ينصروا الرسل، ويؤمنوا بهم، ويصدقوهم، بدلاً من أن يكونوا أعداء، وإذا سألت: لماذا تركهم يختارون أن يكونوا أعداء، وكان باستطاعته منعهم؟ لأن له القدرة المطلقة.

الجواب: لكان منعهم، سيكون قسراً وقهراً، والله لا يريد أن يقهر عاقلاً؛ فقد قال تعالىٰ في سورة البقرة، آية (٢٥٦): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فلا يحدث شيء في الكون إلا بحكمة؛ فهو أحكم الحاكمين، قد يتداخل سبحانه حين يشاء، وكيف يشاء؛ لينصر رسولاً، أو نبياً، أو مظلوماً.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾:

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، ويعني: يوحي بعضهم إلىٰ بعض، شيطان من الإنس يوحي إلىٰ إنسي، أو شيطان من الجن يوحي إلىٰ الإنس.

والوحي هنا يعني: الوسوسة، والتزيين، والإغراء؛ أيْ: يزيِّنون لهم فعل الأعمال القبيحة، والمعاصي، والفواحش، والمنكر، والقتل. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنىٰ الوحي.

﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: الزخرف: هو أصله الذهب، والزخرف: يطلق كذلك علىٰ الزينة، وزخرف القول غروراً: هو الباطل والخداع.

زخرف القول: الكلام المزيَّن، والأوهام، والذي يحمل الأماني الباطلة.

﴿غُرُورًا﴾: خداعاً، وباطلاً. ارجع إلىٰ سورة فاطر، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: أيْ: ما فعلوا الإيحاء بزخرف القول غروراً، والتزيين، والوسوسة بالباطل، والخداع، وإنما كان ذلك للابتلاء والفتنة، وربط المشيئة بالربوبية، ولم يربطها بالألوهية، كما ربطها بالألوهية في الآية السابقة.

وربط المشيئة بالألوهية في سياق آيات التوحيد، والعبادة، والإيمان، وربط المشيئة بالربوبية في سياق المعاصي، والوسوسة، والإغراء.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: إضافة الرب إلىٰ الضمير العائد إلىٰ النبي ﷺ؛

لتشـــريف مقامه ﷺ؛ ارجع إلىٰ الآية الســـابقة (١١٢) للمقارنة بين قوله تعالىٰ: (ولو شاء ربك)، وقوله تعالىٰ: (ولو شاء الله).

﴿فَذَرْهُمْ﴾: أيْ: اتركهم، ودعهمْ؛ تعود علىٰ كفار مكة.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمَّد، المختلق.

أي: اتركهم يا محمد ﷺ، و(ما): اســـم موصول، أو مصدرية؛ يفترون من أساليب التزيين، والوسوسة، والكذب، والباطل.

[١١٣] ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾:

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: الإصغـــاء: هنا يعني الميـــل؛ أي: تميل إليهـــم قلوبهم إلىٰ الاستماع إلىٰ زخرف القول وتميل إلىٰ الاستماع إليه؛ أي: تحب الاستماع إليه.

أما السمع: فأن تسمع إلىٰ من يتكلم، وأنت لا تريد، أو ليس هناك رغبة ولا نية في السماع إليه.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: الهاء: تعود علىٰ زخرف القول غروراً.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: أيْ: تميل إلىٰ الســـماع إليه؛ أيْ: زخرف القول غروراً، قلوب الكفرة الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿أَفْـِٔدَةُ﴾: قيل: هـــي القلوب، أو العقول؛ أيْ: منطقـــة الإدراك بالعقل. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٧٩)؛ للبيان، والحج، آية (٤٦).

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: أيْ: يقبلون بالباطل، والتزيين، والذنوب، والعمل به، واللام؛ لام الاختصاص، والتوكيد.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: من القرف، والاقتراف، وأصل القرف: اقتلاع قشرة الشجرة، أو اللحاء من الشجرة، والجلدة عن الجرح.

إذنْ ليقترفوا: ليكتسبوا ما هم مكتسبون من الإثم، والمعاصي، والذنوب.

إذنْ هناك ثلاث مراحل:

المرحلة الأولىٰ: الإصغاء، والإدراك.

المرحلة الثانية: القبول.

المرحلة الثالثة: التطبيق، وارتكاب الإثم، والذنب.

وتتم المرحلة الأولىٰ: بالسمع، والبصر، والمرحلة الثانية: بالفؤاد، والمرحلة الثالثة: بالنزغ، وارتكاب الإثم، والذنب.

[١١٤] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الماوردي: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً؛ إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارىٰ؛ ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك؛ فنزلت هذه الآية:

﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: اطلب، أو التمس.

﴿حَكَمًا﴾: قاضياً، أو حكماً بمعنىٰ: الحاكم المتخصص؛ أي: أخص من الحاكم والذي لا ينقض حكمه، وهو الحكم العدل بيني وبينكم، ومن أسمائه الحسنىٰ الحكم وليس الحاكم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول.

﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أنزل: القرآن العظيم. إليكم: خاصة لهدايتكم.

﴿مُفَصَّلًا﴾: المفصل المبين؛ أي: الذي بان فيه الحق من الباطل، والحلال من الحرام، فلا داعي لغير الله حكماً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أيْ: علماء اليهود والنصارىٰ.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾: أي: القرآن.

﴿أَنَّهُۥ﴾: للتوكيد، منزل من ربك بالحق، يعلمون: أن القرآن منزل عليك من ربك، بالحق: الباء: للإلصاق؛ إذ أشارت كتبهم إلىٰ ذلك.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون هنا: لزيادة النفي: لا تكوننَّ من الممترين؛ الخطاب لرسول الله ﷺ، والمقصود به أمته عليه الصلاة والسلام.

﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: أي: الشاكين، والمتردِّدين، وحاشا للنبي ﷺ أن يكون من هؤلاء، ولكن الخطاب مُوجَّه إلىٰ الذين آتيناهم الكتاب، والمشركين من عامة الناس، مع أن بعض أهل الكتاب أمثال عبد الله بن سلام يعلمون: أن القرآن منزل عليك من عند ربك بالحق.

والامتراء: هو الجدال بالباطل، بعد ظهور الحق: أنه منزل عليك من ربك بالحق؛ أيْ: لا تجادلوهم في هذا الأمر بعد أن تبيَّن الحق.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ﴾: تعني: كل كلمة في القرآن، وصلت إليك، كما أنزلت.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: يعني: القرآن: وهو كلام الله، وكلام الله يطلق عليه كلمة من باب المجاز.

﴿صِدْقًا﴾: في أخباره، وفي وعده، ووعيده، وغيبه.

﴿وَعَدْلًا﴾: عدلاً في أحكامه، وفيما قضىٰ، وقدر، وأمر، ونهىٰ، صدقاً، وعدلاً في آن واحد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا مغير لكلماته: بتحريف، و تبديل، أو نقص، أو زيادة.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد، والسميع والعليم: صفتان من صفات الذات العليم.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لكل ما يقال في الملأ الأعلىٰ، وفي الأرض، ومن سر وعلن، وقريب وبعيد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: المحيط علمه بكل شيء، وبجميع مخلوقات، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣].

والعليم: صيغة مبالغة كثير العلم، عالم، عليم، علّامة.

[١١٦] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية، وتفيد القلة، أو الندرة؛ إنك تستطيع أن تطع أكثر من في الأرض.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لم تبيِّـن هذه الآية من هم أكثر من في الأرض، والخطاب مُوجَّه إلىٰ أفراد أمة رسول الله ﷺ، فالرسول حاشا أن يطيع الضالين، والمكذبين.

ولكن بيَّنته آيات أخرىٰ؛ كقولـه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، إذنْ أكثر من في الأرض من غير المؤمنين بالله؛ أي: الكفار.

﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: سبيل الله: هو دِينه الإسلام.

كيف يضلّون عن سـبيل الله؟ لأنهم يتبعون أهواءهـم، أو الظن؛ لكونهم يقلِّدون آباءَهم.

والظنُّ: هو التردد الراجح؛ أي: الشك إذا رجحت إحدىٰ كفتيه بالإثبات.

﴿وَإِنْ﴾: نافية أقوىٰ أدوات النفي.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخـرص: هو الظن، والتخمين؛ أي: الحزر، ثم تجوز به إلىٰ الكذب؛ أيْ: يكذبون.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون، يقولون بالظن.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التكرار، والتجدد، فهم مستمرون علىٰ الخرص؛ القول بالظن والكذب.

وقولـه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: هـو توكيد لما قبلـه؛ أي: الظن، والظن،

والخرص: من أنواع الكذب المذكورة في القرآن، ومنها: الإفك، والبهتان، والاختلاق، والافتراء.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغة مبالغة؛ تدل على كثرة العلم على وزن أفعل.

﴿مَن يَضِلُّ﴾: من اسم موصول، أو استفهامية، وهي للعاقل المفرد، والجمع.

﴿يَضِلُّ﴾: جاء بفعل مضارع؛ ليدل على التجدد، والحدوث، ولم يقل: من ضل على سبيله، كما ورد في كثير من الآيات؛ لمعرفة معنى الضلال: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨).

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: عن دِينه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: وهو أعلم بالمهتدين السالكين سبيل الاستقامة، والصراط المستقيم، وتكرار: وهو أعلم يفيد التوكيد.

وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وباقي الآيات ذكرت: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، في سورة النحل، والنجم، والقلم.

فما هو الفرق بين الآيتين؟

ضل: فعل ماض، وانتهى؛ أيْ: خرج ذلك الإنسان عن الدِّين، والمنهج،

أيام، أو أسابيع، أو أشهر، أو سنين، ثم في النهاية عاد؛ أيْ: ضل في الماضي وعاد، أو ضل ولم يُعد من ضلاله.

أما قوله تعالىٰ: ﴿مَن يَضِلُّ﴾: فيدل علىٰ التجدد والتكرار في المستقبل، ولم يتوقف، ومن المفسرين من قال: جيء بكلمة ﴿يَضِلُّ﴾ بدلاً من ضل؛ لأنها جاءت في سياق الآيات التي سبقتها، والتي جاءت بصيغة المضارع، مثل ﴿يُضِلُّوكَ﴾، ﴿وَإِن تُطِعْ﴾.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس : أن الله تعالىٰ لما حرم الميتة؛ أتىٰ أناس إلىٰ النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؛ يريدون الميتة؛ فنزلت هذه الآية، وجاءت في سياق: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: اسم الله؛ أي: القول بسم الله، والله أكبر.

ذكر اسم الله عليه: باللسان، أو القلب عند ذبحه، أو صيده.

﴿فَكُلُوا﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة؛ أيْ: لا تتبعوا أهواء المضلين الذين يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، تبعاً لأهوائهم، أو ما وجدوا عليه آباءهم، وليس لما أنزل الله .

﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: فكلوا إن كنتم مصدقين بآيات الله التي أنزلها إليكم، وأحكامه من الأوامر، والنواهي التي وردت في القرآن والسنة.

❖ ❖ ❖

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى
ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

سورة الأنعام [الآيات ١١٩ - ١٢٤]

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: أداة استفهام.

﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: ألا: أداة حضٍّ، وتعجب، وإنكار؛ حضٌّ للأكل، وتعجُّب لعدم الأكل، يحمل معنىٰ الأمر، أو: أيُّ سبب يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، مثل باسم الله، والله أكبر.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: الذي ورد في آية سورة الأنعام (١٤٥)، قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾...إلخ.

أو سورة المائدة، الآية (٣)، أو غيرها من الآيات.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ارجع إلىٰ آية المائدة (٣)؛ للبيان، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: أيْ: يفتون بغير علم، يحرمون، ويحللون بما لم يشرع به الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، حسب ما تميل أنفسهم إلىٰ الباطل، أو بعيد عن الحق، مثل تحريم البحيرة، والوصيلة، والسائبة، والحام.

﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾: جمع هوىٰ، والهوىٰ: هو ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي باطلاً، أو بعيداً عن الحق، ولا دليل له في الشرع، ويغلب عليه الذم، ويختص بالأداء، والاعتقادات.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بما شرعه الله، ورسوله ﷺ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إن: للتوكيد، ﴿رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: هو للتوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغة مبالغة؛ من علم، عليم، أعلم.

﴿بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: ولم يقل إن ربك هو أعلم بالضالين، وإنما سماهم بالمعتدين؛ المعتدين علىٰ أنفسهم وعلىٰ غيرهم وأنهم ضلوا وضلوا غيرهم؛ المعتدين: الذين يضلون بأهوائهم، ولكن الله أعلم منهم بكثير، يعلم مدىٰ ودرجة ضلالهم، وكم ضلوا من الناس ومصيرهم.

والمعتدين، المتجاوزين الحلال إلىٰ الحرام، والحق إلىٰ الباطل، أو حدود الله.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾:

﴿وَذَرُوا۟﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَذَرُوا۟﴾: اتركوا فعل المعاصي، مهما كان نوعها، الظاهر، والباطن منها.

﴿ٱلْإِثْمِ﴾: وهو القبيح، والإثم: الظاهر هو ما حرمه الله شرعاً، وما حرمه رسوله ﷺ، مثل: أفعال الجوارح؛ كالزِّنىٰ، ثم القول به أمام الناس، وشرب الخمر، ثم الإعلان به، وشربه علناً، والسرقة، وأكل ما حرم الله من الميتة، والدم، والخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وأما باطن الإثم: فهي آثام القلوب: كالحسد، وكتمان الشهادة، والغيبة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَكْسِبُونَ﴾: ولم يقل: يكتسبون؛ لأن ممارستهم للمعاصي، والآثام أصبحت أمراً سهلاً عادياً، لا تحتاج إلى جهد، ولو احتاجت إلى جهد أو مشقة لقال: يكتسبون.

﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾: أيْ: بما كانوا يكتسبون، الباء: للإلصاق، إذا ماتوا، ولم يتوبوا. يقترفون: ارجع إلى الآية (١١٣) من نفس السورة؛ للبيان.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مثل الميتة، وما ذبح، أو أُهل به لغير الله، أو أهل لغير الله به، وما ذبح عن النصب، أما ما ذبحه المسلم، ولم يسمِّ عليه عمداً، أو سهواً؛ فقد اختلف الفقهاء في حكم ذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾: وإنه: للتوكيد، لفسق: اللام: لام التوكيد.

﴿لَفِسْقٌ﴾: أي: الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه: هو فسق؛ أيْ: خروج عن طاعة الله، والدِّين.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: شياطين الإنس (كفرة الإنس)، والجن المردة، أو الكفرة من الجن.

﴿لَيُوحُونَ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

والإيحاء: هنا يعني: الوسوسة، والإغراء، والتزيين، أو الوقوع في الشبه، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: إلى أتباعهم: من الإنس.

﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، الجدال: في الأكل، أو عدم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، بالوسوسة، والتزيين، وإصدار الحكم، والأمر والنهي، مثال: كيف لا تأكلون ما قتل الله من الميتة، وتأكلون ما قتلتم أنتم من الصيد.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

أطعتموهم في استحلال ما حرم عليكم، أو تحريم ما أحل الله لكم، أو أطعتموهم فيما أمروكم به، أو نهوكم عنه.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد، والكاف: للخطاب.

﴿لَمُشْرِكُونَ﴾: اللام: للتوكيد، مشركون مثلهم، ومشركون: جملة اسمية؛ تعني: ثبات صفة الشرك عندكم.

[١٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَوَمَن﴾: الهمزة للاستفهام، وتحمل معنى النفي، والإنكار، والتعجب.

﴿كَانَ مَيْتًا﴾: كان كافراً، أو ميتاً بالكفر، فالكافر يشبه الميت، والمؤمن يشبه الحي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٤٩) لمعرفة الفرق بين مَيْتاً ومَيِّتاً.

﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾: الفاء: عاطفة، أحييناه بالإيمان والإسلام؛ أيْ: أصبح حياً.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: نوراً يمشي: هو نور الإيمان، والقرآن، والهدىٰ.

﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: علىٰ بصيرة، ولم يقل: يمشي به بين الأشياء، وإنما اختار الناس؛ لأن الأعمىٰ قد يستطيع أن يمشي بين الأشياء بحذر، وحيطة، ولكن المشي بين الناس مستحيل؛ لأنه سيصطدم بهذا، أو ذاك؛ فيشعر بالذنب، ويتوقف عن المشي ويبتعد عنه الناس، ولا يعني فقط المشي، وإنما عيشته، وسمعته، وسلوكه.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾: الكاف: للتشبيه، من: بمعنىٰ: الذي.

﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: في: ظرفية، الظلمات: الكفر، والضلال، والشرك، والمعاصي، والفسق؛ أيْ: كمن يمشي في ظلمات الجهل، والليل، والظلام، والتيه.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: ليس: أداة نفي، وهو مستمر، ومستقيم عليها.

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

أي: كما زُين للمؤمنين إيمانهم، زُين للكافرين ما كانوا يعملون: من المعاصي، والكفر، والأقوال، والأفعال.

وزُيِّن: حُسِّن؛ أيْ: رأىٰ المؤمنون إيمانهم حسناً، وجميلاً، ورأىٰ الكافرون كفرهم شيئاً جميلاً، والمزيِّن: لهم هو: الشيطان، وأهواؤهم، والمزيِّن للمؤمنين: هو الله . ارجع إلىٰ الآية السابقة (١٠٨)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ زيَّن.

[١٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

أي: وكما جعلنا في قريتك مكة، أكابر: جمع كبير وهم رؤساء أو زعماء

القوم أو سادتهم من المجرمين، ودعاة الكفر، وشياطين الإنس والجن؛ كذلك جعلنا في كل قرية من قرىٰ الرسل من قبلك رؤساء من المجرمين، أمثال هؤلاء؛ ليمكروا فيها.

﴿لِيَمْكُرُوا﴾: اللام: لام الاختصاص (التعليل).

والمكر: هو عمل يقوم به الماكر؛ ليحقق شيئاً عن طريق ملتوٍ؛ لأنه ضعيف، لا يستطيع المواجهة.

والمكر يتضمن: الحيلة، والخديعة، والغدر، والخلاف؛ ليصرف الناس عن الحق، والإيمان، والطاعة إلىٰ الكفر، والشرك، والصد عن سبيل الله، والباطل.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾: وما: نافية، إلّا: أداة حصر، وقصر، أيْ: وبال مكرهم، عائد عليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إن وبال المكر السيِّئ عائد عليهم؛ أيْ: يحيق ويحل، ويحيط بأهله. ارجع إلىٰ سورة الرعد، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرفية زمانية؛ تدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: جاء هؤلاء أكابر المجرمين، من أهل مكة، آية؛ أيْ: دليل، أو حُجَّة علىٰ صدق النبي ﷺ، لم يستجيبوا لها، ولم ينتفعوا بها.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن: نافية لكل الأزمنة، في المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف لانتهاء الغاية.

﴿نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: من المعجزات، أو الآيات، أو تنزل علينا الملائكة، أو يوحي إلينا ربنا، ثم يجيب الله سبحانه عليهم:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: أيْ: أعلم من يختار لرسالته: من نبي، أو رسول، ومن هو أحق بحمل الرسالة، وكفء لها، وليس كما قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾:

﴿سَيُصِيبُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أيْ: أكابر المجرمين والرؤساء؛ من كفار مكة، والمشركين، والعاصين. ارجع إلى الآية (٥٥) من نفس السورة لبيان معنى أجرموا.

﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: ذل، وهوان وخضوع في الدنيا؛ مثل: الأسر، والقتل، والمرض، والأوبئة، والمصائب... وغيرها، والصغار قد يكون ناشئ عن عوامل داخلية نفسية تؤدي إلى شعور الفرد بالهوان والذل.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾: في الآخرة عذاب النار.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾: أيْ: بسبب، أو بديل ما كانوا يمكرون بالناس: بالقيام بالحيل، والخداع، والغدر؛ لصدهم عن الإيمان، وصرفهم عنه، وإبقائهم في حالة الكفر، والشرك.

❖ ❖ ❖

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا
يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ
أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا
بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ
رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ
يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا
وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

سورة الأنعام [الآيات ١٢٥ - ١٣٠]

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَن﴾: الفاء: استئنافية، ومن: شرطية.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾: فقد يسأل سائل: إذا كانت الهداية، أو الضلالة من إرادة الله، فما ذنب الذي يُضله الله؟! وما معنىٰ يشرح صدره للإسلام، أو يجعل صدره ضيِّقاً حَرَجاً؟

للردِّ علىٰ هذا السؤال؛ لا بُدَّ من العلم اليقيني: أن الله سبحانه زود كل عبد بالعقل؛ أي: الفهم، ومقومات الإدراك، والإحساس، وبين له طريق الهداية، وطريق الضلال بواسطة رسله، وأنبيائه، وكتبه، وآياته، وغيرها من الوسائل، وترك له حرية الاختيار للسير، إما علىٰ طريق الهداية، والحق، والصراط المستقيم، والنجاة، أو السير علىٰ طريق الضلال، والباطل، والهلاك.

فمن اختار طريق الهداية، وسار عليها؛ أيْ: آمن، واتبع أوامر الله ، واجتنب نواهيه، ثم طلب المزيد من الهداية، والعون من الله أعانه الله، ووفقه للوصول إلىٰ غايته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧].

ومعنىٰ: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾؛ يعني: أن العبد يُقبل علىٰ دِينه، وعلىٰ

طاعة الله، وعبادته بعشق، وحب، وجد، بنفس مطمئنة، ويؤدِّي الفرائض، والتكاليف بخشوع، وكمال، ويكثر من النوافل، والذكر، وتلاوة القرآن، ويستقيم على ذلك، ويرتقي في سلم التقوى، والإحسان، وإسلام الوجه حتى يلقى ربه.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: ومن اختار طريق الضلال، والباطل، والهلاك، ورفض الإيمان بالرسل، والكتب، وما أنزل الله، ولم يتب، وسار في ضلاله، وغيه؛ تركه الله سبحانه وشأنه، ووفقه إلى غايته ومبتغاه، فهذا العبد سيجد صدره ضيِّقاً غير واسع وضيقاً يدل على ضيق ثابت وليس ضائقاً (الذي يدل على أنه ضيق عارض غير دائم) حَرَجاً، لا يتَّسع لسماع موعظة، أو آية، أو حديث، بل ويعطل سمعه وبصره عن كلِّ ما ينفعه، ويتَّبع هواه وخطوات الشيطان، ويخلد إلى الأرض؛ حتى يلقى ربَّه.

وشبَّه الله هذا العبد الذي يشعر بضيق في صدره، ويعرض عن سبيل الله بالذي يصعد إلى المرتفعات العالية، الأمر الذي يؤدِّي به إلى الشعور بضيق الصدر، وصعوبة في التنفس، والشعور بالهلاك من نقص الأوكسجين، وانخفاض الضغط الجوي، وتراكم مادة ثاني أوكسيد الكربون في دمه؛ بالتالي إلى زيادة عدد أنفاسه، ونبضات قلبه، وربما يفقد وعيه، وتكون نهايته.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ٱلرِّجْسَ﴾: أصل الرجس: هو كل ما يستقذر؛ حساً، أو شرعاً، أو عقلاً؛ مثل: الخمر، والميتة، والخنزير، أو النتن، والخبيث من الأقوال، والاعتقادات، وأما الرجز: فهو العذاب الشديد، ففعل هذه المحرمات والمنكرات يؤدي إلى الرجز؛ أي: العذاب، فالرجس: أعم وأشمل من الرجز؛ أي: الرجس يعني كل

ما مستقذر، ويعني: العذاب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان، فالرجس قد يعني العذاب. ارجع إلىٰ سورة المدثر آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾:

أي: كما يجعل صدر الذي أراد الضلال، وعدم الإيمان ضيِّقاً حَرَجاً، كذلك يجعل الله العذاب علىٰ الذين لا يؤمنون (أي: الكافرين).

[١٢٦] ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: استئنافية، والهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة.

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: دِين الإسلام، الصراط المستقيم الذي يوصلك إلىٰ غايتك بأقصر مسافة، وأسهل وسيلة، صراط ربك، نسبه إليه تشريفاً.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾: بيَّنَّاها، بأشكال متعددة، ومواضيع مختلفة.

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: قد فصلنا الآيات لقوم وليس لواحد، أو اثنين؛ لأنه إذا فصلها لواحد أو اثنين قد ينسون ويغفلون ما فصل لهم.

وأما حين يكون هناك قوم، أو عدد كبير؛ فإن هذا التكافل، والتذكير يعصم المؤمن، من الخطأ والنسيان.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أيْ: إذا نسوا ما فصل لهم يذكرونه، ويستعيدون تذكره بوقت قصير، ولم يقل: لقوم يتذكرون؛ إذ (يتذكرون): تحتاج إلىٰ وقت طويل.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، ولهم تعود إلىٰ قوم يذكرون.

﴿دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: الجنة، ومن أسمائها: دار السلام، ولم يقل: دار الله، بل أتىٰ بوصف، أو اسم آخر: هو السلام؛ اسم من أسماء الله الحسنىٰ، ونسب إليه سبحانه الدار، فسماها دار السلام؛ أيْ: دار الأمن، والاطمئنان، والسلامة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: هو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.

﴿وَلِيُّهُم﴾: المتولِّي أمرهم، المعين، والكافي، كافيهم لكل ما يحتاجونه.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو الإلصاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا؛ من الأعمال الحسنة التي تضم: الأقوال، والأفعال الطيبة الحسنة.

[١٢٨] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: ويوم القيامة يحشرهم في أرض المحشر، والحشر هو السوق والجمع.

﴿جَمِيعًا﴾: الجن، والإنس؛ أي: الثقلان، وغيرهم.

وانتبه إلىٰ كلمة ﴿وَيَوْمَ﴾: التي جاءت منصوبة بالفتحة؛ أيْ: منصوبة

بمحذوف تقديره: واذكر يوم يحشرهم جميعاً، أو يوم يحشرهم يقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: يا: أداة نداء، المعشر: تعني: الجماعة المختلطة، اختلاط تعايش، ومعاشرة، والمعشر: قد تطلق على أصحاب حرفة معينة، يا معشر العلماء، يا معشر التجار.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: هنا معشر الجن: هم الشياطين، وغيرهم من الجن.

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾: أيْ: أخذتم الكثير من الإنس؛ لكي يصبحوا أتباعاً لكم، وأولياء، استكثر: أخذ الكثرة.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: أيْ: أتباع الجن من الإنس.

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: أي: انتفع بعضنا ببعض، والاستمتاع: هو النفع، والخدمة الذي تصاحبه اللذة.

أي: انتفع الإنس بالشياطين من الجن؛ إذ دلوهم على الشهوات، والمعاصي، وتلذذوا بها، أو لعبوا دور الكهنة، والعرافين، وانتفع الجن بالإنس؛ إذ جعلوهم أتباعاً لهم وأولياء، وهو استمتاع مخالف لمنهج الله تعالى.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾:

أي: استمر استمتاع بعضنا ببعض؛ حتى جاء أجلنا (الموت)؛ فإنهم يعتذرون إلى ربهم.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: والمثوى؛ يعني: مكان إقامتكم الدائمة، والإقامة

القســـرية الجبرية؛ كالسجن في مكان ضيق، مطبق عليهم، لا يستطيعون الحركة، أو القيام بأي شيء.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: قـــد يعني: قســـم من هؤلاء من أصحـــاب النار، بعد أن يعذبوا فيها زمناً حسب ذنوبهم وآثامهم، يخرجون منها بعد تطهيرهم من ذنوبهم؛ كهؤلاء الذين في قلوبهم شيء من الإيمان، والتوحيد، ولا إله إلا الله من الإنس، ولم يغفر اللهُ لهم، فلا بُدَّ لهم من الدخول في النار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: بتدبير شؤون خلقه، وحكيم في قضائه، وحكمه، لا يفعل شيئاً إلا بحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالكفار، وأعمالهم، وبعباده عامة، وبمن يستحق هذا العذاب، ونراه هنا قدَّم ﴿حَكِيمٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾؛ لأن السياق في الجزاء، والعمل؛ فقدَّم ﴿حَكِيمٌ﴾ فـــي الجزاء، لا يظلم أحـــداً مثقال ذرة، ولو كان الســـياق في العلم، والمعرفة؛ لقدَّم العليم على الحكيم، كما ســـنرى في سورة يوسف آية (٦، ٨٣، ١٠٠).

[١٢٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما ولينا شـــياطين الجن، عصاة الإنس، بعضهم بعضاً، كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً.

وهذه سنة من سنن الله في أهل الظلم.

أي: يجعل بعضهم أولياء بعض بالمودة، والنصرة؛ ليزدادوا ظلماً، وإثماً، ثم يبعث الله لكل ظالم من هو أشد ظلماً منه، أو قوة، فيقتص الواحد منهم من الآخر، بأنواع مختلفة من العقاب.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو السببية، ظالم ينتقم من ظالم، أو يؤدب ظالماً بظالم.

﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الآثام، والذنوب في الدنيا، واستعمل فعل (كسب) بدلاً من (اكتسب). ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٣٠] ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾:

أي: يوم يحشرهم يناديهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ.

﴿يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: أيْ: من جنسكم، وليس من الملائكة.

قيل في تفسير هذه الآية: الجن لهم رسل، والإنس لهم رسل، أو أن الجن ليس لهم رسل، ورسلهم كانوا من الإنس، أو أن الجن كانوا يأخذون تعاليمهم من الإنس؛ لأنهم قادرون على الاستماع لكل ما يقوله الإنس بالخفاء.

والرسول محمد ﷺ بعث للإنس والجن معاً.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾: ولم يقل: يتلون عليكم آياتي، كما جاء في

الآية (٧١) من سورة الزمر: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾، فما هو الفرق بين يقصون ويتلون؟

قص: أعم من تلا، ﴿يَقُصُّونَ﴾: تشمل الأنبياء والرسل، ﴿يَقُصُّونَ﴾: يبلغونكم الرسالة من دون كتاب معين.

﴿يَقُصُّونَ﴾: من كتاب، أو من غير كتاب، غير مقيدة، ويقصون تعني: بدقة وتفصيل، وقص أعم من تلا.

أما يتلُون: فالتلاوة مقيدة من كتاب، أو صحيفة.

وعدد الذين يقصون أكثر من عدد الذين يتلون، يتلون هم فقط من أُنزل عليهم الكتب والصحف. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٧١) لمزيد من البيان.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾: يقصون من قص، وقص؛ مأخوذة من قصّ الأثر؛ أيْ: تتبع آثار القدم، من دون أيِّ انحراف؛ أيْ: بدقة وتفصيل.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾: ولم يقل: ينذروكم، وإنما أضاف لها النون؛ للتوكيد، الإنذار: هو إعلام تحذير، أو تخويف.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: يخبرونكم عن هذا اليوم، يوم القيامة والبعث، ويحذرونكم للاستعداد له.

﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: قالوا: إجابة للسؤال ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.

﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا﴾: أيْ: أقررنا، بأن الرسل قد بلغونا، وأنذرونا، ولم يقولوا: شهدنا لأنفسنا؛ لأن الشهادة للنفس تعني: شهادة خير ومنفعة.

وإنما قالوا: شهدنا علىٰ أنفسنا؛ تعني: شهادة ضد أنفسنا؛ أيْ: شهادة سوء.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾: من القائل هنا؟ مبني للمجهول، لا يهم وقيل: الملائكة؛ أيْ: خدعتهم الحياة الدنيا بزخارفها، وزينتها، ومتاعها، وشهواتها؛ ففرطوا فيها، ولم يستجيبوا للرسل، ولا لما أنذروا به.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ﴾: كانوا كافرين في الدنيا، وهذه تعتبر شهادة ثانية بعد الشهادة الأولىٰ، أو توكيد للأولىٰ. وهي جملة اسمية تفيد الثبوت، ثبوت الكفر في أنفسهم.

❖ ❖ ❖

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۙ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٣١ - ١٣٧]

[١٣١] ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلىٰ إرسال الرسل، حتىٰ لا يكون لأحد حُجَّة بعد الرسل.

﴿أَن﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: الباء: للإلصاق، ولم: النافية.

﴿بِظُلْمٍ﴾: أيْ: لم يأتهم رسول، ولا نبي، ولا إنذار، ولا كتاب، ولا تحذير عمّا جاء به الرسل والأنبياء.

﴿غَٰفِلُونَ﴾: عن الإيمان لا يعرفون ما الإيمان ولا الكتاب، صفة ثابتة لهم؛ أيْ: لم يُنذروا قط، والغفلة ملازمة لهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بالصيغة الاسمية؛ التي تدلُّ علىٰ أمر ثابت، ولا يتغيَّر، هو كون الله سبحانه لن يهلك القرىٰ بظلم، وأهلها غافلون، وكذلك لن يهلك القرىٰ بظلم وأهلها مصلحون، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، كما ورد في الآية (١١٧) من سورة هود ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾، كما ورد في الآية (٥٩) من سورة القصص، ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من

البيان في معنىٰ غافلون. ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٥٩) للمقارنة بين الآيات الثلاث.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِكُلٍّ﴾: أيْ: لكلٍّ من الجن والإنس.

﴿دَرَجَٰتٌ﴾: منازل في الآخرة متفاوتة في الجنة، أو في النار، درجات الجنة؛ قيل: (١٠٠ درجة)، ودركات النار قيل: (٧دركات). فالمؤمن كلما ازداد عمله من الصالحات صعد درجة من درجات الجنة، والكافر أو الظالم كلما ازداد ظلماً لنفسه أو للآخرين نزل دركة من دركات النار.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾: بحسب أعمالهم في الدنيا، التفاوت في الدرجات ينشأ بكثرة العمل، والكم، والكيف، والإخلاص، والتوحيد، واتباع القرآن، والسنة.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿رَبُّكَ﴾: من الربوبية، وتعني: الخلق، والتدبير والرزق.

﴿بِغَٰفِلٍ﴾: الباء: للإلصاق، غافل: لا يغفل عن عمل أيِّ عبد، ظاهراً، أو باطناً: من قول، أو فعل، ولا تخفىٰ عليه خافية في الملأ الأعلىٰ، أو في الأرض. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: يملون: تضم الأقوال، والأفعال في الدنيا.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن عباده، ولا يحتاج إليهم، ولا لعبادتهم، ولا يضره

كفرهم، ومع كل ذلك هو: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: ولم يقل الغني الرحيم، وإنما قال ذو الرحمة: من كمال الغنىٰ، وذو: تعني: صاحب رحمة، وكلمة (ذو): أشرف، وأبلغ من كلمة صاحب. وذو رحمة تعني: كثير الرحمة، وذو رحمة؛ لأنه يمهل ولم يذهب بهؤلاء الكافرين.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم﴾: إن: شرطية.

﴿يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة، ويستأصلكم بالعذاب.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم﴾: ويستخلف بعد إهلاككم من هو أفضل منكم.

﴿مَّا يَشَآءُ﴾: من خلقه، ممّن هو أطوع منكم.

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: الإنشاء: الإحداث حالاً بعد حال، أو الإيجاد من غير الاحتذاء علىٰ مثال سابق؛ قيل: هم أهل سفينة نوح ، أو ذريات أخرىٰ علىٰ مدىٰ العصور.

ما هو الفرق بين الاستخلاف والاستبدال؛ كما في سورة هود، الآية (٥٧): ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، وسورة التوبة، الآية (٣٩): ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الاستخلاف: يأتي بجيل، تلو الجيل، من دون انقطاع.

الاستبدال: يأتي بجيل بعد جيل، ولو مرت قرون طويلة، ولا يعني تلو الآخر؛ أيْ: هناك انقطاع في الزمن بين الجيل المُهلك، والجيل الجديد.

والاستخلاف: أفضل من الاستبدال، فالاستبدال: يحصل لأقوام أعرضوا عن تطبيق الشريعة، ودين الله، أما الاستخلاف: فيحصل لأقوام لم يعرضوا، ولكنهم قصروا، أو لم ينالوا رضا الله التام.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾:

أي: أخبرهم يا محمد:

﴿إِنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿مَا﴾: بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، ونلاحظ أنه فصل بين إنَّ وما، وإذا قارنا (إنَّ) (ما) في هذه الآية مع الآية (٥) في سورة الذاريات وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: نجد آية الأنعام جاءت كتحذير في الدنيا وفيها فصل (إنَّ) عن (ما)، ونجدَّ آية الذاريات وصل (إنَّ) مع (ما) وجاءت في سياق القسم بأمور في الدنيا تخص الآخرة فوصل بين (إنَّ وما)؛ أي: فك الإدغام عندما تحدث عن الدنيا، وجاء بالإدغام عندما تحدث عن الدنيا والآخرة.

﴿تُوعَدُونَ﴾: لم يقل: وعِدتُم، أو وعدَكُم، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على التجدد، والاستمرار، والوعد غالباً ما يكون في الخير، والوعيد في الشر.

﴿لَآتٍ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَآتٍ﴾: أي: البعث، والحساب، والجزاء الأخروي.

﴿وَمَا﴾: ما: النافية.

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: من أعجز، تقول العرب: أعجزني فلان؛ أيْ: هرب فلم أستطيع اللحاق به؛ أيْ: هرب، وفلت من العقاب، أو العذاب.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: أيْ: فائتين من عذاب الله، والله قادر غير عاجز عن اللحاق بكم، ولن تستطيعوا الفرار من عذابه.

[١٣٥] ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهم:

﴿يَٰقَوْمِ﴾: يا قوم: نداء ممزوج بشيء من المحبة، والعطف، والمودة، والقوم: هم الجماعة، وعادة ما يطلق على الرجال، وهنا القوم: قومه الذين لم يصدقوا نبوَّته.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة؛ تعني: مكان، ومكانة مثل منزل، ومنزلة، والمنزلة: الدرجة الاجتماعية، أو الطريقة، والمكان: هو الحيز، الذي يأخذه جسم الإنسان إن كان واقفاً، أو جالساً على الأرض، أو الموضع، اعملوا قدر استطاعتكم من التمكن، اعملوا ما بوسعكم، أو استمروا على حالكم التي أنتم عليها من الكفر، والعداوة، أو الطريقة التي أنتم عليها.

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: وأنا سأعمل ما بوسعي على الثبات على هذا الدِّين، وتبليغه.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتأكيد، وسوف: حرف استقبال يدل على التراخي في الزمن، الزمن البعيد.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: علم اليقين.

﴿مَن﴾: ابتدائية، وقد تعني: الواحد، أو الاثنين، أو الجمع.

﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: أي: الجنة، أو الحسنى.

انتبه في القرآن إذا أنث العاقبة، كما ورد في هذه الآية، فالعاقبة؛ تعني: الجنة، وإذا لم يؤنث العاقبة ؛ أيْ: جاءت بصيغة مذكر، فقال مثلاً: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: فالعاقبة؛ تعني: العذاب، والهلاك.

وقوله : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: فيه تهديد، ووعيد؛ لما يقومون به من كفر، وعدوان، ومن الملاحظ في القرآن الكريم حين يستعمل كلمة: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: يأتي دائماً بفاء التعقيب، فيقول: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وحين لا يستعمل قل؛ يأتي بكلمة سوف من دون الفاء، وكذلك نجد أنه حين يأتي بالفاء في (فسوف) فيها توكيد وإنذار شديد أكثر من (سوف) كما نرى في سورة هود؛ ارجع إلى سورة هود آية (٩٣)، وسورة الزمر آية (٣٩) للمقارنة ولمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُۥ﴾: يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿يُفْلِحُ﴾: من الفلاح؛ يعني: الفوز بالجنة، والنصرة، والسعادة، أو حسن العاقبة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون، أو المشركون الذين أصبحت صفة الظلم ثابتة لهم، والظالم لنفسه: هو كل من يخرج عن منهج الله تعالى يعتبر ظالماً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا﴾: الجعل: هو التصيير، والتحويل، هذا الجعل غايته التقرب من الله، والآلهة معاً، وهذا التقرب إلىٰ الآلهة: هو عين الشرك الذي حرمه الله؛ أيْ: جعل كفار قريش لله ﴿مِمَّا﴾ من البعضية؛ أي: الذي ذرأ الله من الحرث والأنعام؛ أيْ: جعل كفار قريش لله من بعض الذي ذرأ الله تعالىٰ خلق، والذرء: هو الخلق الذي يتكاثر بذاته؛ أيْ: من بعض الحرث (الزرع)، والأنعام: هي الإبل، والغنم، والماعز، والبقر.

﴿نَصِيبًا﴾: قسماً، أو حظاً.

﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: هذا نصيباً، أو حظاً لله بزعمهم؛ أيْ: باعتقادهم الباطل الذي لا يستند إلىٰ أيِّ دليل، وهذا نصيباً لآلهتهم؛ أيْ: أصنامهم التي يعبدونها، لتُنفق علىٰ خدمتها، وسدنتها.

ولم يكتفوا بذلك، بل ذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك بأن حاولوا الاحتيال، بالأخذ من حصة الله، وإعطائها لأوثانهم، وآلهتهم إذا ما حدث نقص في الحصاد، أو الثمر، أو نتاج الأنعام، ويبقون علىٰ حصة الأوثان، والآلهة ثابتة كاملة، ولا يمسوها بنقص، ويبررون ذلك بأن الله غني عن حصته، وأما آلهتهم فهي بحاجة إلىٰ من يخدمها، ويقوم علىٰ سدانتها، فحصة الآلهة لا يمكن أن يعطوا بعضها إلىٰ الله ، وأما حصة أو نصيب الله تعالىٰ فيمكن أن يعطوه لشركائهم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء: فعل ذم، يعني: بئس ما يحكمون، وبئس ما تهوىٰ أنفسهم، أو ما يشتهون. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (١٠٣-١٠٤).

[١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: كما زين للمشركين القسمة غير العادلة بين الله سبحانه، والآلهة؛ التي يعبدونها، رغم أن الله وحده هو الذي ذرأها، زين لكثير من مشركي قريش قتل أولادهم، ووأد بناتهم؛ مخافة الفقر، أو عار الزِّنىٰ، أو السبي، أو التقليد الأعمىٰ.

والذي قام بالتزيين: هم شركاؤهم من شياطين الإنس والجن.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: من الردىٰ؛ أي: الهلاك؛ أيْ: يهلكونهم.

﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ليبلسوا: اللام: للتعليل.

﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾: أصل اللبس: هو الستر بالثوب، ومن اللباس: يلبس الحق بالباطل؛ أيْ: يستره.

ومعنىٰ: ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دِينهم، وكانوا علىٰ دِين إسماعيل، دِين الحنيفية، فرجعوا عنه، وليخلطوا عليهم الحق والباطل، فيزينوا لهم الباطل، ويتركوا الحق؛ حتىٰ يصلوا إلىٰ درجة اللبس، وهو الخلط، ثم تأتي مرحلة الشرك، بعد اللبس.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة. لو: شرطية.

﴿شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾: أيْ: لو شاء الله لقسرهم، وأجبرهم على ترك ذلك، ومنعهم، ولكن لم يشأ، وتركهم في ضلالهم وكذبهم المفترى؛ أي: المختلق العمد، وهذا تهديد، ووعيد لهم، وابتلاء وفتنة لهم، واختار اسم الجلالة (الله) (ولم يقل ربك)؛ لأن الآيات في سياق العبادة والتوحيد وتقليد الآباء.

﴿فَذَرْهُمْ﴾: أيْ: اتركهم يا محمد ﷺ ودعهم.

﴿وَمَا﴾: أي: الذي يفترون، فذرهم على كذبهم المتعمد المختلق في الخلق، والجعل.

﴿يَفْتَرُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد، وتكرار افترائهم، وأنه مستمر، ولم يتوقف، والافتراء: هو نوع من الكذب المتعمد.

❖ ❖ ❖

وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ
سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ
قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ
حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

سورة الأنعام [الآيات ١٣٨ - ١٤٢]

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

تمادىٰ مشركو قريش في شركهم، ولم يكتفوا بما زعموه في الآيات السابقة، بل قالوا: ﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: أيْ: محرمة، إلا علىٰ الآلهة؛ أيْ: خاصة بالأصنام والأوثان، لا تذبح، ولا تستخدم، ولا يؤخذ لبنها؛ لكونها مخصصة لضيوف الآلهة، الرجال منهم، دون النساء، والعاملين عليها.

﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: مثل: الحام، والبحيرة، والسائبة.

حرمت ظهورها: أي: الركوب عليها، أو حمل الأثقال، أو المتاع علىٰ ظهورها.

﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند ذبحها؛ لأنها قربان للآلهة؛ إذ لا يقولون: الله أكبر، أو بسم الله عند ذبحها.

﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: لا يذكرون اسم الله عليها؛ افتراء عليه ؛ أيْ: علىٰ الله باختلاقهم الكذب: أن الله قد أوصاهم بفعل ذلك، أو وجدوا آباءهم كذلك يفعلون، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق.

﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: السين: للاستقبال، والقرب في الزمن؛ أيْ: سينالون عقابهم قريباً.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، بسبب كذبهم علىٰ الله، وبأنه أوصاهم بذلك، وحلَّل لهم ما يفعلونه من الحرام، أو الباطل.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ﴾: أي: الأجنة، والأنعام يقصدون بها: السائبة، والبحيرة، والوصيلة.

﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾: أيْ: ما خلص حياً؛ أيْ: ولد حياً من الأجنة؛ فهو حلال للرجال، ومحرَّم علىٰ أزواجنا؛ أي: النساء، الذكور: جمع كثرة، والذكران: جمع قلة.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾: وإن ولد ميتاً؛ فيشترك فيه الرجال والنساء في أكل لحومها، وكل ذلك؛ نوع من جهالاتهم، وكذبهم، وضلالهم.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أيْ: سينالون جزاء كذبهم، بالتحليل، والتحريم، حسب أهوائهم عن قريب.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، وأقواله، وتدبير شؤون خلقه، وكونه، وما شرعه.

و﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفترون، ويفعلون من خير وشر، وحلال وحرام، ولا تخفىٰ عليه خافية في السماء، ولا في الأرض.

قدَّم ﴿حَكِيمٌ﴾ علىٰ ﴿عَلِيمٌ﴾: لأن السياق في الجزاء، سيجزيهم وصفهم، والجزاء يتطلب حكمة، ولذلك قدَّم ذلك.

[١٤٠] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾:

﴿ قَدْ ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، خسر الذين قتلوا أولادهم: خسروا الدنيا والآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾: سواء الإناث، أو الذكور؛ بالوأد، أو أيِّ وسيلة.

ومثل الإجهاض في زمننا الحاضر، فلا تظننَّ أن قتل الأولاد انتهىٰ زمنه.

﴿سَفَهَۢا﴾: أيْ: طيشاً، وقصوراً عقلياً، أو الخفة في العقل، خوفاً من الفقر؛ لأن الفقر قد يكون فقراً مؤقتاً، وأمراً موهوماً، والقتل أعظم من الفقر، وبذلك لا يحل لأحد الاعتقاد، أو القول، أو العمل من دون علم شرعي.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: حرموا علىٰ أنفسهم الطيبات، والمنافع من الحرث، والأنعام: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، سواء أكانت أطعمة، أم أشربة، أم أولادها.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد، المختلق.

وافتراء الكذب علىٰ الله حينما قالوا: الله حرَّم هذا، وهو لم يحرِّم شيئاً، أو أحلَّ الله شيئاً، وهو لم يحلِّله.

فهذا الافتراء عليه من أعظم الذنوب والكبائر.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿ضَلُّواْ﴾: عن طريق الحق، والهدىٰ، وقد ضلوا عن تعاليم الدِّين، والشريعة، وذهبوا إلىٰ طريق الضلال والشرك.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

من الذين هداهم الله، أو يستحقون الهداية.

و﴿مُهْتَدِينَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أيْ: ما كانوا مهتدين دائماً وأبداً.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: تعني: قد ضلوا، جاءت لتؤكد عدم اهتدائهم.

من ذلك يتبيَّن لنا: أن الله سبحانه قد حكم الله على هؤلاء الذين يقتلون أولادهم بسبع أمور:

١ - الخسران، خسروا أنفسهم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾.

٢ - السفه: ﴿سَفَهًا﴾.

٣ - الجهل: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٤ - ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾.

٥ - ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾.

٦ - الضلال: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾.

٧ - عدم الهداية: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

وأكَّد على خسارتهم بحرف قد، وأكَّد كذلك على ضلالهم.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.

﴿وَهُوَ﴾: اسم موصول.

﴿أَنشَأَ﴾: خلق، وأوجد بالتدريج، والإنشاء فيها معنىٰ التطور، والنمو، والإبداع.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين، وحدائق كثيفة بالأشجار المثمرة.

﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: أيْ: تقوم علىٰ دعائم خشبية، يصنعها الإنسان، والأصل: أن تكون منبسطة علىٰ الأرض، فنأتي بالقوائم الخشبية؛ لكي تعلو عليها هذه الأغصان.

﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: مشتقة من العرش؛ الذي يدل علىٰ العلو، أو العرش: هو السرير المرتفع عن الأرض.

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: وهو ما قام علىٰ ساق، وغني عن التعريش، وبناء الدعائم الخشبية؛ مثل: شجر النخل والأعناب.

﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: وأنشأ النخل، والزرع.

﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: أيْ: ثمره مختلف في الطعم، والشكل، والجودة؛ أي: التمر، والزرع يشمل: الحب، والقمح، والشعير، والذرة.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾: في الشجر والورق، ومختلف في الثمر. ارجع إلىٰ الآية (٩٩) من سورة الأنعام؛ للبيان.

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: الهاء في ثمره: تعود علىٰ الله سبحانه، وتعود علىٰ ثمر النخل، والزرع، والزيتون، والرمان.

وقوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: تعني: إذا اقترب نضجه؛ أيْ: قبل أن ينضج يسمح لكم بأكله، وكذلك مفهوم يؤكل بعد نضجه.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: وهذا يدل على الترخيص للمالك، بالأكل منه، قبل أداء حقِّه.

﴿حَقَّهُۥ﴾: حق الله تعالى، زكاته، أو الصدقة على المساكين، والفقراء.

﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: يوم قطفه، وجنيه؛ أيْ: جذاذه، أو بعد الانتهاء من تحضيره، ووزنه، وبيعه.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: في الأكل، أو التصدق، وهنا؛ يعني: عدم ترك شيءٍ للأهل من المال، أو الطعام، والثمر؛ أي: الإسراف في الصدقة.

والإسراف يعني: صرف المال زيادة على ما ينبغي، أو تجاوز الحد في صرف المال، أو غير المال.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد، وتعود على الله سبحانه.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: لا النافية.

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: الذين أصبح الإسراف صفة ثابتة ملازمة لهم. ارجع إلى الآية (٩٩) من نفس السورة لمقارنة الآيتين (٩٩، و١٤١)، وإلى سورة الإسراء، آية (٢٦-٣٠).

[١٤٢] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

وأنشأ لكم أيها الناس.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وهي الإبل، والغنم، والبقر، والماعز، من: البعضية الابتدائية؛ أيْ: لكل نوع من الأنعام ميزاته من ناحية الركوب، والأكل، أو الاستفادة منها، وهذه الأنعام بأنواعها هي من آيات الله الدالة الشاهدة على طلاقة قدرته، وإبداعه في خلقه.

﴿حَمُولَةً﴾: أيْ: ما يحمل على ظهورها مثل: الإبل، والبقر، ومنها: من لا يحمل عليها: كالغنم، والماعز، وصغار الإبل، والبقر.

﴿وَفَرْشًا﴾: أيْ: منها ما يستفاد من أوبارها، وأشعارها، وأصوافها، وجلودها، تستعمل لصناعة الفرش، وما تجلسون عليه من الحصر، والسجاد، أو تفترشونه مثل: الفراش؛ أيْ: تنامون عليه.

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: تكرار وتوكيد للأكل ممّا ذكره سابقاً؛ من رزق الله، كلوا واشكروا الله المنعم على ما رزقكم.

﴿مِمَّا﴾: (من + ما)؛ أيْ: من بعض، ما: اسم موصول؛ تعني: الذي رزقكم الله.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله لكم، وبالإسراف، وبعدم ذكر اسم الله عليه، وبعدم شكر الله المنعم، والإشراك به، وغيرها، وخطوات جمع خطوة، والخطوة: المسافة بين القدمين؛ أيْ: وساوس الشيطان وما يأمر به من الفحشاء والمنكر.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد، والهاء: تعود على الشيطان.

﴿لَكُمْ﴾: خاصَّة يا بني آدم.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: عدوٌّ ظاهر العداوة، عداوته ظاهرة لكل فرد، ولا تحتاج إلى شرح وبيان.

❖ ❖ ❖

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ
أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ
فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا
ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٤٣ - ١٤٦]

[١٤٣] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

وقد أنشأ الله لكم من الأنعام ثمانية أزواج.

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾: من: ابتدائية.

﴿ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: أيْ: من الغنم، اثنين: الذكر والأنثى؛ أي: الكبش والنعجة ذوات الأصواف.

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾: اثنين (زوجين): التيس والعنزة، السخلة، والجدي، ذوات أشعار.

﴿قُلْ﴾: أيْ: اسألهم يا محمد ﷺ.

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: من الضأن (الكبش)، والمعز (الجدي، أو التيس)، حرم الله عليكم، أم حرم عليكم الأنثيين من الضأن والمعز؛ أي: النعجة والسخلة، والعنزة.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: من الأجنة وذكر ما في الأرحام للمبالغة في الرد على إنكارهم؛ أيْ: إذا كنتم تزعمون أن الله حرم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام نبئوني بعلم: أخبروني بخبر موثَّق، كيف حرَّم الله هذه الأنعام، ومن أين جاء التحريم، ومتى صدر، ومن بلغه إليكم، أين الدليل؟

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية، إن: تفيد الاحتمال، والشك؛ أيْ: تكونوا صادقين.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

وأنشأ لكم من الإبل اثنين (الذكر والأنثى): الجمل والناقة، ومن البقر اثنين (الثور والبقرة).

﴿قُلْ﴾: أيْ: اسألهم يا محمد ﷺ: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: نفس التفسير السابق.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: شهداء؛ أيْ: حضور؛ ففي الآية السابقة؛ طلب منهم: البرهان، والدليل على التحريم.

وفي هذه الآية؛ كأنه يقول لهم: إذا عجزتم عن إحضار الدليل، والبيِّنة على التحريم، هل كنتم حاضرين حينما وصَّى الله سبحانه أحداً منكم بهذا، أو كنتم حين وصَّى الله أنبيائه، أو وصَّاكم الله بهذا، بل أنتم كاذبون، أو تفترون الكذب على الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية، من: شرطية.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، مبالغة في الظلم؛ أيْ: لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً.

﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمَّد، المختلق.

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كذباً: نكرة؛ تشمل كل أنواع الكذب المفترىٰ، والخرص، والإفك، والكثير، والقليل، المتعمَّد، أو غير المتعمَّد.

﴿لِّيُضِلَّ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: ليضل الناس عن اتباع الحلال وتجنب الحرام.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: دليل من الله، أو بغير حُجَّة، وبرهان، أو من دون علم شرعي.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين شرعوا ما لم يشرع الله تعالىٰ، ولا رسوله به، افتروا علىٰ الله الكذب.

وقد يسأل سائل: هو أضل الناس بغير علم، ولم تكن نية إضلال الناس بعلم؟

نقول له: إذا هو أضل الناس بغير علم؛ أي: هو أضل الناس بأهوائه، فهذا يعتبر افتراء علىٰ الله .

[١٤٥] ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

تشير هذه الآية إلىٰ أن التحريم، أو التحليل يكون بالوحي، أو يثبت بالوحي فقط، والوحي: هو القرآن، والرسول ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، ولمعرفة معنىٰ أوحي إلي؛ ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

و﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: لا أجد من المحرمات التي ذكرتموها شيئاً محرماً في القرآن؛ إلا ثلاثة أشياء علىٰ أيٍّ آكل، هي: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير.

وكذلك ما ذكر في سورة المائدة، الآية (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾:

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: إن: للتوكيد؛ أيْ: هذه المحرمات: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير.

﴿رِجْسٌ﴾: لحمها قذر، وقبيح، ومحرم؛ أيْ: أكلها عمل قذر قبيح محرم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾: خروجاً عن الدِّين، وعن طاعة الله .

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: أيْ: ذبح، ولم يذكر اسم الله عليها، وإنما ذكر اسم الأصنام عليها، والإهلال: رفع الصوت باسم المذبوح له.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: أيْ: ألجئ بحكم الضرر؛ المخمصة، واستنفد كل الأسباب، وخاف على نفسه الهلاك؛ فله أن يأكل، لكن على شرط:

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أيْ: لا يأكل فوق حاجته.

﴿وَلَا عَادٍ﴾: أيْ: لا يأكل من هذه المحرمات وعنده أطعمة أخرى، قد تسد رمقه.

﴿وَلَا﴾: تفيد التوكيد، توكيد النفي.

وفي الآية (٣) من سورة المائدة أضاف: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: أيْ: مائل، أو راغب لارتكاب الإثم.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وتفيد التوكيد.

﴿رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفور: كثير الغفران، صيغة مبالغة؛ أيْ: يغفر الذنوب جميعاً إلّا الشرك به، يغفر لمن اضطر لأكل المحرم، غير باغٍ، ولا عاد.

﴿رَّحِيمٌ﴾: أباح الأكل من المحرمات في حالة الاضطرار، وهذه صفة ثابتة لذاته، رحيم: بعباده المؤمنين.

وتكرار لا: ﴿وَلَا عَادٍ﴾: لنفي كلٍّ منهما على حدة، وكلاهما معاً، لا يجوز له أن يكون باغياً، ولا يجوز له أن يكون عادياً، ولا كليهما معاً. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣) في سورة المائدة، والآية (١١٥) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: نجد أن آية الأنعام جاءت في سياق الشرك، وقول الرسول ﷺ قل لا

أجد في ما أوحي إلي، وآية المائدة والنحل في سياق قول الله تعالىٰ أو مخاطبة الله تعالىٰ للناس في (الأطعمة) فيما أحل وحرم الله عليهم، وفيما أُهل لغير الله بـ(الشرك).

[١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾:

ويذكر الله تعالىٰ لنا في هذه الآية: بتحريم خاص؛ حرّمه علىٰ الذين هادوا؛ بسبب ظلمهم، وعدم الأخذ بما أنزل الله إليهم في التوراة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: تقديم (علىٰ): لتفيد الحصر، والقصر.

﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: تهدوا، هم أتباع بني إسرائيل؛ الذين جاؤوا بعد موسىٰ ، ودخلوا في اليهودية.

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾: بسبب ظلمهم، وصدهم عن سبيل الله كثيراً، وأخذهم الربا، وقد نهو عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وغيرها.

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: أيْ: كلّ ذي مخلب، وناب أيضاً.

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: من الشحم؛ فهو مباح.

﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: الأمعاء، الشحم المختلط بالأمعاء.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: أو الشحم المختلط بعظم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، يشير إلىٰ التحريم بعدم أكل الشحوم.

﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: الباء: للإبدال، أو السببية، بسبب بغيهم؛ أيْ: ظلمهم، وقتلهم الأنبياء بغير حق، واتخاذهم العجل، وأكلهم الربا؛ وقد نُهُوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والاصطياد يوم السبت.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: وإنا: للتعظيم. لصادقون: اللام: لام التوكيد

صادقون: فيما وعدناه للعصاة الظالمين، وما وعدناه للمطيعين.

وصادقون: جملة اسمية؛ تفيد الثبوت.

❖ ❖ ❖

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٥

سورة الأنعام [الآيات ١٤٧ - ١٥١]

[١٤٧] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة؛ أيْ: من النادر أن يكذبوك؛ لأنهم يعلمون أنك الصادق الأمين.

﴿كَذَّبُوكَ﴾: أي: المشركون، أو اليهود، في مسألة التحريم، والتحليل، وزعموا أن الله ذو رحمة واسعة.

﴿فَقُل﴾: الفاء: جواب الشرط، قل لهم يا محمد ﷺ: نعم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾.

ولكن لأهل الطاعة، والمؤمنين، ولأنه لا يعجل لكم بالعقوبة؛ لعلكم تتوبون، ولا يعني تأجيل بأسه؛ أيْ: عذابه عنكم أنكم ناجون من العذاب، أو أنه غفر لكم.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أيْ: لا أحد يستطيع منع عذابه، أو دفعه، إذا حلَّ، أو نزل بالقوم المجرمين، الكافرين، والمشركين، العاصين، والذين إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون.

وفي هذه الآية قال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: بصيغة الماضي؛ لأن

التكذيب لأمر محدد، وهو مسألة التحريم، ولم يقل: (يكذبوك). ارجع إلىٰ الآية (٣٣) من سورة الأنعام؛ للبيان، والآية (١٨٤) من سورة آل عمران؛ للمقارنة.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

﴿سَيَقُولُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: من قريش، وغيرهم.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: لو: شرطية.

﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾: الشرك: هنا جاء في سياق الأطعمة، وما هو بزعمهم لله، وما هو لشركائهم.

أي: في سياق التحليل والتحريم: في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام؛ فهم يدعون، أو يزعمون: أن شركهم في الأطعمة، والتحليل، والتحريم؛ لو كان باطلاً، أو هم علىٰ غير حق؛ لأُرسل إلىٰ آبائهم، أو إليهم رسلاً يخبرونهم أو يأمرونهم بترك الشرك، أو التحريم؛ فرد الله عليهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أيْ: بمثل كذبهم هذا؛ كذب الذين من قبلهم، وقالوا لرسلهم هذا القول نفسَه.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٣٥) في سورة النحل وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ ففي آية الأنعام قال: ما أشركنا، وفي آية النحل: ما عبدنا؛ فآية الأنعام جاءت في سياق

المحرمات من الأطعمة والحدث، وآية النحل جاءت في سياق الرد على الشرك وعبادة غير الله سبحانه، وآية الأنعام ولا آباؤنا، وآية النحل ولا آباؤنا: زاد نحن تدل على شدة التوكيد في النحل؛ لأن السياق في العبادة والتوحيد وهي أهم من الأطعمة، وفي الأنعام قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لأن السياق في الأنعام في الكذب، والسياق في النحل الشرك وعبادة غير الله.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: عذابنا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، هل: للاستفهام؛ يحمل معنى: الإنكار، والإلزام.

﴿عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: أيْ: هل عندكم من كتاب، أو دليل يدل أن الله حرَّم عليكم ما تزعمون من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، أو هو راض عنكم، أن تشركوا به.

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾: أيْ: تظهرونه لنا؛ عبر عنه بالإخراج؛ لأن سبب إظهاره سيكون حُجة عليكم.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: إن: حرف نفي، أشدُّ نفياً من ما.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: الظن: هو التردد الراجح، وهو رجحان ظرف الإثبات على النفي، دون بلوغ درجة العلم، أو الإثبات، ويعني: الشك.

﴿وَإِنْ﴾: لزيادة توكيد النفي.

﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَخْرُصُونَ﴾: الخرص: هو الحزر، والتخمين، واستعمل موضع الكذب؛ لأن الخرص لا يستند على علم، أو دليل؛ فهو نوع من أنواع الكذب، مثل: الإفك، والبهتان، والاختلاق.

[١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: للاختصاص؛ أي: عند الله وحده سبحانه الحُجة: الدليل، والحُجة: أخص من الدليل، وتستعمل الحجة في سياق الدعوى، والحجة البالغة التامَّة؛ أيْ: إذا لم يكن معكم دليل وبرهان أن الله حرَّم ذلك؛ فعند الله الحُجَّة البالغة؛ أي: والدليل التام، البالغة: مؤنث البالغ: اسم فاعل من فعل بلغ، والتاء: للمبالغة.

﴿فَلَوْ﴾: الفاء: للتوكيد، لو: شرطية.

﴿شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد آخر، وأحياناً يسبقها كلمة كلكم.

الفرق بين شاء، وأراد: المشيئة: المرحلة السابقة للإرادة؛ أيْ: لو شاء الله تعالى؛ لأكرهكم، وأجبركم على الهداية، ولكن لم يشأ، وترك لكم حرية الاختيار، بين سلوك طريق الهداية والإيمان، أو طريق الضلال، والانحراف.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين: إذا كنتم لا تملكون العلم؛ فتخرجوه لنا، وليس لديكم دليل، ولا برهان على التحريم؛ فربما عندكم شهداء يشهدون لكم أن الله حرم هذا، أو ذاك؛ مما تخرصون.

إذنْ فأحضروا هؤلاء الشهداء.

﴿هَلُمَّ﴾: تستعمل للجماعة، والمفرد، والمثنى، سواء كان ذكراً، أم أنثى، وتعني: أحضر، أو ائت، أحضروا أيَّ شهداء حتى وإن كانوا شهداء الزور.

﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك، والاحتمال على أن يشهدوا بمثل هذه الشهادة.

﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: لأن الله لم يشهدهم، أو يخبرهم أنه حرم ذلك، فلا تشهد معهم.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، فهم كاذبون إن شهدوا، ويخاطب الله رسوله ﷺ، وبالتالي أمته، ويحذرهم من اتباع أهواء الذين كذبوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: وتكرار لا؛ يفيد التوكيد، وفصل الشهادة معهم عن اتباع أهوائهم؛ أيْ: لا تفعل هذه، ولا تلك، ولا كليهما.

﴿أَهْوَآءَ﴾: جمع هوى، والهوى: ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي، باطلاً، أو بعيداً عن الحق، والهوى؛ يغلب عليه الذم، ويختص بالأداء، والاعتقادات.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: آيات القرآن، أو المعجزات، أو الآيات الكونية، والأدلة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: والذين لا يؤمنون بالآخرة، لا يصدقون بالبعث، والجزاء، والحساب، والجنة، والنار.

﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: وهم ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الأنعام؛ لبيان المعنىٰ.

[١٥١] ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ؛ لهؤلاء المشركين: حسبكم هذا الخرص.

﴿تَعَالَوْا۟﴾: أقبلوا عليَّ، أو ائتوا إليَّ، وتعالوا فيها معنىٰ ترفعوا عن الكذب، والظن.

﴿أَتْلُ﴾: اقرأ عليكم ما حرم ربكم عليكم بدلاً من خَرصِكم، وتشبه الوصايا العشر التي وصَّاها الله تعالىٰ لموسىٰ .

١ - ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: ألّا مركبة من: أن ولا: النافية، أن لا تشركوا: أو لا تشركوا؛ تعني: العرض والتحضيض، و﴿شَيْـًٔا﴾: هو أقل الشيء، وشيئاً: نكرة؛ أيْ: مهما كان نوع الشرك.

٢ - ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: الإحسان إلىٰ الوالدين؛ إحسان مطلق، ولا يكفي عدم الإساءة إليهما؛ لأن الإساءة إلىٰ الوالدين محرَّم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٣٦) لمزيد من البيان، وارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٢)، وعدم الإحسان يدخل فيه عدم الإساءة إليهما.

٣ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: ولا تقتلوا أولادكم: ذكوراً، أو إناثاً؛ بالوأد أو غيره من وسائل القتل؛ كالإجهاض مثلاً.

﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: من الفقر، وقيل: الفقر بعد الغنىٰ، أو الإسراف، والتبذير الذي حدث زمن الغي، وأدَّىٰ إلىٰ الإملاق؛ أي: الفقر.

ولنقارن هذه الآية من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ مع الآية (٣٨) من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

في آية سورة الأنعام؛ قال: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: تعني: الآباء، هم فقراء الآن في حالة فقر، فيقدمون علىٰ قتل أولادهم من الفقر الواقع بهم بسبب الأولاد الذكور أو الإناث.

ولذلك؛ سارع ربُّ العالمين، وطمأنهم، وقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: قدَّم رزق الآباء علىٰ رزق الأولاد.

في آية الإسراء قال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: تعني: الآباء ليسوا فقراء الآن، ولكنهم يخشون الفقر في المستقبل، فيُقدِمون علىٰ قتل أولادهم؛ خشية الفقر؛ خوفاً من

الفقر الذي قد يحدث، ولذلك سارع ربُّ العالمين، وطمأنهم، وقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: فقدَّم رزق الأولاد على رزق الآباء.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: جمع فاحشة، وتطلق عادة على الزِّنى، أو اللواطة، والقذف، وعبادة الأصنام، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾: أيْ: لا تفعلوا؛ أي: المقدمات التي قد تؤدِّي إلى ارتكاب الفواحش، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾: أشدُّ وآكَدُ من قوله: ولا تفعلوا الفواحش.

وقيل في تعريف الفاحشة: هي كل ما عظُم جرمه، وإثمه من الأقوال، والأفعال.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: ما ارتكب في العلن، وعلى مرأى ومسمع الناس، أو ما بطن: ما ارتكب سرّاً، وفي الخفاء؛ حتى لا يراه الناس، أو يسمعوا به.

﴿تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: حصراً.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالقصاص، والردة، وزنى المحصن، إذا توافرت الشروط والشهود.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ذلكم: بدلاً من ذلك؛ لأن (ذلكم): تستعمل للأمور المتعددة والمهمة التي يُراد التوكيد عليها، مثل: الإشراك بالله،

والوالدين إحساناً، وقتل الأولاد، وقتل الأنفس؛ إلا بالحق، أو الفواحش، وذلكم بدلاً من ذلك التي تستعمل للأمر المفرد، والعادي، غير المهم.

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: من الوصية، والوصية: أن تعهد إلىٰ شخص بعمل خير، أو ترك شر، والوصية: تدل علىٰ محبة الموصي للموصىٰ له.

وقال: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: ولم يقل: وصَّاكم بها؛ لأن أوامر الله ونواهيه كأنها تمثل أمراً واحداً، فلا نأخذ بعضها، ونترك بعضها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لا يعقل أن تشركوا بالله، وتعقوا الوالدين، وتقربوا الفواحش، وتقتلوا أولادكم، أو تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق؛ أيْ: هذه التكاليف التي يقرها العقل، ولا يعقل أن تقوموا بها.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعلَّ: للتعليل، لعلَّ هذه الوصايا تحملكم علىٰ الكف، وعدم ارتكاب تلك المحرمات، وإذا قارنا هذه الآية بالآيات التالية (١٥٢) (١٥٣) وهي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: نجد يمكن القول لعلكم تعقلون جاءت في سياق أشد الأحكام (الكبائر) التي تحتاج إلىٰ العقل ليكبحها ويمنعها؛ (ولعلكم تذكرون): في سياق الأحكام التي ينساها، وتحتاج إلىٰ تذكرة دائمة للقيام بها، (ولعلكم تتقون): في سياق الاستقامة علىٰ التقوىٰ.

❖ ❖ ❖

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٥٢ - ١٥٧]

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: ولا تقربوا: أبلغ في النهي عن الأخذ، ولم يقل لا تأخذوا مال اليتيم؛ فمن لم يقرب لا يرىٰ، ولا يطمع، أو تسول له نفسه؛ إلا: استثناء بالتي هي أحسن؛ أي: بما فيه صلاحه الذي يتضمن حفظ ماله، وتنميته، ومصلحته، ومصلحتكم، وعدم الأخذ من مال اليتيم إلا لضرورة، أو حاجة، وعدم تبذيره، أو إضاعته حتىٰ يبلغ أشده.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، معناها: انتهاء الغاية.

﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: قيل: أشده تعني: صار قادراً علىٰ إنجاب طفل، (ما بين ١٥-١٨ سنة)، وهو سن الرشد، عندها ادفعوا إليه ماله. ارجع إلىٰ الآية (٢)، والآية (٦) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: أيْ: أتموا الكيل إذا كلتم للناس، والكيل، أو المكيال: يستعمل لما يكال حجماً.

والميزان: يستعمل لما يكال كثافة، أو وزناً، ويستعمل الكيلوغرامَ وأجزاءَه، والغرامَ، وأجزاءَه.

وتختلف الموازين بحسب الأشياء؛ فالذهب، والمواد الكيميائية؛ لها معايير، وموازين دقيقة جداً، وحساسة.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل؛ أيْ: تحروا العدل، وقيل: القسط: هو تطبيق أمر العدل وتنفيذه.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أيْ: عليكم أن تبذلوا أشد وسعكم، وطاقتكم؛ لتحقيق القسط؛ أيْ: إقامة العدل، وتنفيذه، وإذا فعلتم ذلك، وحدث خطأ غير متعمد، أو نقص، أو زيادة: لا يؤاخذكم الله به.

ومن المهم جداً: أن تعلم لماذا وردت هذه الآية: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ لأن الوزن بالقسط صعب تحقيقه أحياناً، فالوزن حين يكون بالميليغرام، أو النوانوغرام؛ من الصعب جداً التأكد منها.

فالله يعلم أن ذلك متعذِّر؛ فيغفر ذلك إذا لم يكن الخطأ متعمَّداً، وتوعَّد الله سبحانه هؤلاء الذين يتعمَّدون التلاعب بالمكيال، والميزان؛ بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين:١-٥].

والفرق بين قوله في هذه الآية: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾، وقوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: في آية الأنعام ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ تعني: في المستقبل إذا كلتم، أو وزنتم، فأوفوا الكيل، والميزان بالقسط.

في آية سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾؛ تعني:

الآن، وأنتم تكيلون، أو تزنون؛ أوفوا الكيل، والميزان في حال كيلكم، أو وزنكم، وإياكم والتأخير؛ حتىٰ لا يقول أحد: سأوفيه حقه لاحقاً، إذا كلتم: للتوكيد، إذا: شرطية، ظرفية.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ تتضمن معنىٰ الشرط.

﴿قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾: أيْ: إذا حكمتم، أو شهدتم في أمر ما؛ أيْ: دعيتم للشهادة بعد أن شهدتهم ما حدث؛ فاعدلوا؛ أيْ: قولوا: الحق، وأعطوا كل ذي حق حقه، وتحرُّوا العدل.

واحذروا الهوىٰ واعدلوا، والعدل: هو القول الحق، وفعل الحق، فالعدل لا يقتصر علىٰ القول، بل يشمل الفعل أيضاً.

وهناك عدل في الأمور المادية الحسية، والأمور المعنوية، (والميل القلبي)، فاعدلوا.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ذا القربىٰ؛ كالأب، أو الأخ، أو قرابة، فتميلوا بالهوىٰ، فتحكموا عليهم أولهم من دون عدل، وخص ذا القربىٰ؛ لأنه من أصعب الأمور أن تحكم علىٰ أبيك، أو أخيك، أو قرابتك.

ولكن هذا هو الإسلام، يأمرك بذلك.

وهذا الأمر جاء في آية أخرىٰ، وهي الآية (١٣٥) من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾: العهد: يضم العقود، والمواثيق، والوعود، ويضم التكليف، والوصية، والأمر، والنهي، ومن قوله: ﴿عَهِدْنَآ﴾، و﴿وَصَّيْنَا﴾.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾: الباء: تفيد الإلصاق، والتوكيد بالوفاء.

وقدَّم الجار والمجرور؛ للاهتمام.

﴿أَوْفُواْ﴾: أتموا، ونفذوا العهد.

ما هو الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل:٩١].

ففي آية سورة الأنعام: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾: العهد هنا ما عهده الله إلىٰ عباده من ميثاق، أو عهد؛ كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾.

ويضم العهد هنا: عقود البيع، والشراء، والزواج.

وأضاف العهد إليه سبحانه؛ أهميةً، وتفخيماً.

وقدَّم الجار والمجرور؛ للعناية، والاهتمام، والحصر، والقصر، والتوكيد.

أما في آية سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾: فهذا العهد: هو الذي يعقده الشخص باختياره؛ أي: النذر الذي هو عهد يلزمه الإنسان علىٰ نفسه باختياره؛ لقوله: ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: ذلكم: ارجع إلىٰ الآية (١٥١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل: تفيد التعليل أو الترجي أو الإشفاق؛ لأن هذه

الأمور الأربعة: من عدم أكل مال اليتيم، والوفاء بالكيل، والميزان بالقسط، وقول العدل، والوفاء بالعهد أمور قابلة للنسيان، فذكرها لكم المرة بعد الأخرىٰ لعلكم لا تنسوها؛ أيْ: تذكروها.

أو كأنهم يبدو أنهم نسوا أنهم كانوا يعملون تلك الأعمال في السابق؛ فهو يذكرهم بها مرة أخرىٰ.

فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ولم يقل: لعلكم تتذكرون؛ لأنهم لا يحتاجون إلىٰ زمن طويل، لتذكر القيام بتلك الأعمال، وكأنها حاضرة لديهم. ارجع إلىٰ الآية (١٥١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه. ذا: اسم إشارة للقريب، يشير إلىٰ كون الصراط المستقيم قريباً.

﴿صِرَاطِي﴾: أيْ: دِين الإسلام.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا اعوجاج فيه، والصراط المستقيم؛ يعني: الطريق المعبد المستقيم الذي يوصلك إلىٰ غايتك بأقرب مسافة، أو أقصر زمن، ومن دون مشقة، أو عوائق.

ونسبه الله إليه؛ فقال: ﴿صِرَاطِي﴾: تشريفاً لهذا الدِّين؛ فهو دِين الله .

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: أي: الطرق الضالة المنحرفة، كما قال ﷺ: «وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: أيْ: فتضلكم عن دِينه.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥١) من نفس السورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل. تتقون: بامتثال أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه. ارجع إلى الآية (١٥١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: هذه شغلت عقول المفسرين؛ فمنهم من قال: (ثم): للترتيب، ترتيب الأخبار، فبعد ذكر الوصايا التي جاءت في الألواح، ثم آتينا موسى الكتاب (التوراة) تماماً على الذي أحسن؛ حيث الألواح نزلت قبل نزول التوراة.

ومنهم من قال: (ثم): حرف عطف على ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، والتقدير عندها يكون: تعالوا أتلُ ما حرَّم ربكم عليكم، ثم أتلُ عليكم، ما آتى اللهُ موسى .

ومنهم من قال: (ثم): للترقِّي في الأخبار؛ حيث كان إيتاء موسى الكتاب قبل مجيء رسول الله ﷺ، وتلاوته؛ لما أنزل عليه ربه ، ثم لتباين الصفات،

وتعني: أعظم مما تلوته عليكم، هو ما آتينا موسىٰ الكتاب، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك (أي: القرآن).

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراة.

﴿تَمَامًا﴾: تاماً كاملاً؛ أيْ: دفعة واحدة.

﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: الذي أحسن، قيل: هو موسىٰ ، أحسن في الطاعة، والتبليغ، والعبادة.

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: لكل شيء تحتاج إليه بنو إسرائيل من الأحكام، والشرائع، والعبادات، والمعاملات.

﴿وَهُدًى﴾: مصدر للهدىٰ، يهدي للحق، أو سبب للهدىٰ، يهدي إلىٰ الوصول إلىٰ الغاية، وهي رضوان الله تعالىٰ، وسعادة الدارين.

﴿وَرَحْمَةً﴾: نعمة لمن عمل به، وامتثل أوامره، وتجنب نواهيه، والرحمة تعني: وقاية لكم من الضرر، وجلب ما يسرُّ.

﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لعلَّهم: لعلَّ: للتعليل، لعلَّ بني إسرائيل.

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لعلَّهم يؤمنون بالبعث، والجزاء، ولقاء ربهم، وما يترتَّب عليه من الاستعداد.

قيل: كانوا قليلاً ما يؤمنون بالآخرة.

[١٥٥] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: استئنافية، هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ للقريب.

﴿كِتَٰبٌ﴾: أي: القرآن.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير الخير، والبركة، والنفع الدنيوي، والأخروي.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: الفاء: للتأكيد، اتبعوه؛ أي: العمل بما فيه، والأخذ بما جاء به؛ من الشرائع، والأحكام، والعبادات، والعقائد، والإيمان به كاملاً، وعدم الأخذ ببعضه، والكفر ببعضه.

﴿وَاتَّقُوا﴾: امتثلوا لأوامره، وتجنبوا نواهيه، واتقوا مخالفة ما جاء به، واتقوا تحريفه، أو تبديله، كما فعل الآخرون بالتوراة والإنجيل.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعلَّ؛ للتعليل، ترحمون باتباع هذا القرآن، والأخذ بالأسباب الأخرى المطلوبة لنيل الرحمة، كالجنة، ورضوان الله ، مثل: الدعاء، والتضرع، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٠) في سورة الأنبياء وهي قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: نجد أن آية الأنبياء جاءت على الأصل تقديم الصفة مبارك على أنزلناه، أما في آية الأنعام قدمت أنزلناه أولاً؛ لأن الآية جاءت رداً على زعم اليهود أن الله ما أنزل على البشر من شيء فقدم الإنزال للاهتمام والرد عليهم مباشر.

[١٥٦] ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ للتعليل، ومنهم من قال: ﴿أَن﴾: تعني: لئلا تقولوا.

﴿تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي: التوراة والإنجيل. أنزل: تعني: دفعة واحدة.

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: اليهود، والنصارىٰ، ومن: تفيد القرب في الزمان؛ أيْ: منذ زمن غير بعيد.

﴿وَإِن﴾: الواو: عاطفة، إن: المخففة: تفيد التوكيد.

﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: الدراسة؛ تعني: القراءة، والتعلم، وعلم ما فيهما.

﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: اللام: لام التوكيد، غافلين؛ أيْ: لم يصل إلينا علم ما في التوراة، والإنجيل؛ أيْ: لا نعلم ما فيها؛ أيْ: لئلا يكون لكم حُجَّة أن تقولوا: لم ينزل علينا أيُّ كتاب، مثل: التوراة، والإنجيل، ولم ندرس ما في التوراة والإنجيل؛ لأنهما ليستا بلغتنا، فأنزل الله القرآن العظيم بلغتكم، ولتنقطع حجتكم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان عن غافلين.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿تَقُولُوٓاْ لَوۡ أَنَّآ﴾: لو حرف شرط وتمنٍّ، أنا: ضمير الشأن.

﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾: لو أنزلنا علينا القرآن جملة واحدة.

﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾: قد يعني: القرآن، أو التوراة.

كما أنزل علىٰ الطائفتين من قبلنا؛ أي: اليهود، والنصارىٰ.

﴿لَكُنَّآ﴾: اللام: تفيد الاختصاص، والتوكيد.

﴿أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ﴾: أهدىٰ من اليهود، والنصارىٰ.

﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: بيِّنة: هي القرآن، والقرآن: هو المعجزة الخالدة الباقية علىٰ مدىٰ العصور؛ فهو منزل من ربكم، وقال: ﴿جَآءَكُم بَيِّنَةٞ﴾، ولم يقل: (جاءتكم بيِّنة)؛ فالتأنيث؛ يعني: أن البيِّنة هي معجزة، من المعجزات التي أنزلت علىٰ أقوام، وزالت وانطمرت، ولم يبق لها أيُّ أثر يذكر، وتذكير البيِّنة كما في هذه الآية: يدل علىٰ أهمية وقوة هذه البيِّنة.

﴿وَهُدٗى﴾: مصدر للهدىٰ، أو سبب للهدىٰ، والوصول إلىٰ الغاية.

﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: مصدر رحمة، لمن عمل به، وأخذ به، وأطاع أوامره، وتجنَّب نواهيه، تجلب لكم الخير، وتدفع عنكم الضرر، ووقاية لكم من الوقوع في المعاصي.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾:

﴿فَمَنۡ﴾: الفاء: استئنافية، من: شرطية.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، مبالغة في الظلم؛ أيْ: لا أحد أظلم منه.

﴿كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: بآيات القرآن العظيم، والباء: للإلصاق.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: الصدف: النفور الشديد عن آيات الله، ولم يؤمن بها، وأصل الصدف: هو ترك المكان، والذهاب إلى الجانب البعيد؛ حتى لا يسمع شيئاً مما يقال.

﴿سَنَجْزِى﴾: السين؛ للاستقبال القريب.

﴿ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾: ينفروا عن آيات ربهم بشدة، أو يصرفون الناس عن الإيمان، والقرآن.

﴿عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: سوء العذاب؛ أيْ: أشده.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السببية، أو البدلية.

﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا۟﴾: في الدنيا.

﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون عن آيات الله، ولا يطيقون سماعها، أو الالتفات إليها، أو يكذبونها، أو يستهزئون بها.

❖ ❖ ❖

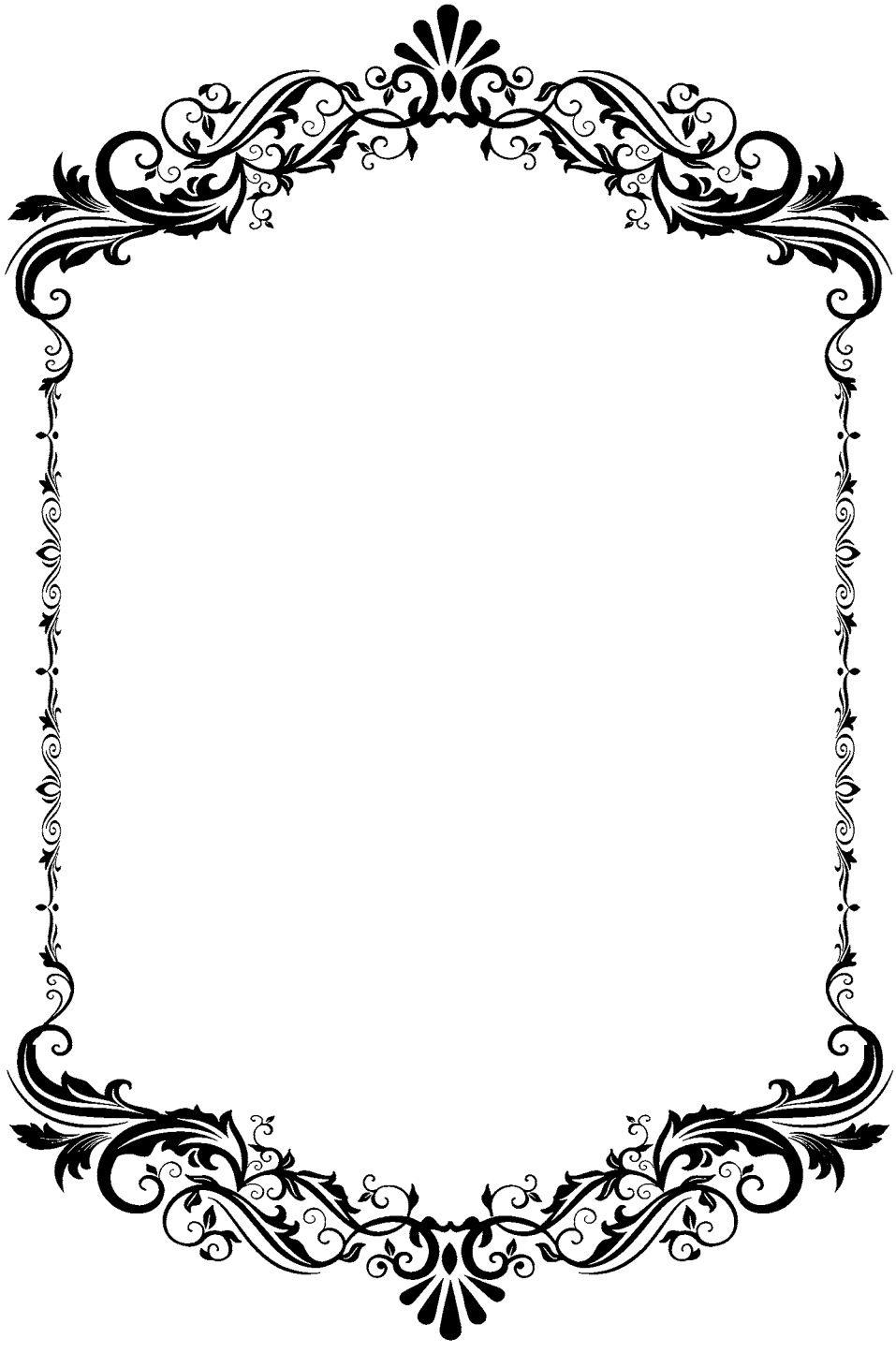

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثالث

السورة ورقمها	الصفحة
سورة النساء [الآيات ١١٤ - ١٢١]	٦
سورة النساء [الآيات ١٢٢ - ١٢٧]	١٥
سورة النساء [الآيات ١٢٨ - ١٣٤]	٢٥
سورة النساء [الآيات ١٣٥ - ١٤٠]	٣٧
سورة النساء [الآيات ١٤١ - ١٤٧]	٤٩
سورة النساء [الآيات ١٤٨ - ١٥٤]	٦١
سورة النساء [الآيات ١٥٥ - ١٦٢]	٧٣
سورة النساء [الآيات ١٦٣ - ١٧٠]	٨٥
سورة النساء [الآيات ١٧١ - ١٧٥]	٩٥
سورة النساء [الآية ١٧٦]	١٠٧
سورة المائدة [الآيات ١ - ٢]	١١١
سورة المائدة [الآيات ٣ - ٥]	١١٩
سورة المائدة [الآيات ٦ - ٩]	١٣١
سورة المائدة [الآيات ١٠ - ١٣]	١٤١
سورة المائدة [الآيات ١٤ - ١٧]	١٥١
سورة المائدة [الآيات ١٨ - ٢٣]	١٥٩
سورة المائدة [الآيات ٢٤ - ٣١]	١٦٧
سورة المائدة [الآيات ٣٢ - ٣٦]	١٧٧

السورة ورقمها	الصفحة
سورة المائدة [الآيات ٣٧ - ٤١]	١٨٥
سورة المائدة [الآيات ٤٢ - ٤٥]	١٩٥
سورة المائدة [الآيات ٤٦ - ٥٠]	٢٠٥
سورة المائدة [الآيات ٥١ - ٥٧]	٢١٥
سورة المائدة [الآيات ٥٨ - ٦٤]	٢٢٥
سورة المائدة [الآيات ٦٥ - ٧٠]	٢٣٧
سورة المائدة [الآيات ٧١ - ٧٦]	٢٤٥
سورة المائدة [الآيات ٧٧ - ٨٢]	٢٥٣
سورة المائدة [الآيات ٨٣ - ٨٩]	٢٦١
سورة المائدة [الآيات ٩٠ - ٩٥]	٢٧١
سورة المائدة [الآيات ٩٦ - ١٠٣]	٢٨٥
سورة المائدة [الآيات ١٠٤ - ١٠٨]	٢٩٥
سورة المائدة [الآيات ١٠٩ - ١١٣]	٣٠٣
سورة المائدة [الآيات ١١٤ - ١٢٠]	٣١١
سورة الأنعام [الآيات ١ - ٨]	٣١٩
سورة الأنعام [الآيات ٩ - ١٨]	٣٣١
سورة الأنعام [الآيات ١٩ - ٢٧]	٣٤١
سورة الأنعام [الآيات ٢٨ - ٣٥]	٣٥٣
سورة الأنعام [الآيات ٣٦ - ٤٤]	٣٦٧
سورة الأنعام [الآيات ٤٥ - ٥٢]	٣٧٩
سورة الأنعام [الآيات ٥٣ - ٥٩]	٣٩١

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأنعام [الآيات ٦٠ - ٦٨]	٤٠١
سورة الأنعام [الآيات ٦٩ - ٧٣]	٤١١
سورة الأنعام [الآيات ٧٤ - ٨١]	٤٢١
سورة الأنعام [الآيات ٨٢ - ٩٠]	٤٣١
سورة الأنعام [الآيات ٩١ - ٩٤]	٤٤١
سورة الأنعام [الآيات ٩٥ - ١٠١]	٤٥٣
سورة الأنعام [الآيات ١٠٢ - ١١٠]	٤٦٩
سورة الأنعام [الآيات ١١١ - ١١٨]	٤٧٩
سورة الأنعام [الآيات ١١٩ - ١٢٤]	٤٩١
سورة الأنعام [الآيات ١٢٥ - ١٣٠]	٤٩٩
سورة الأنعام [الآيات ١٣١ - ١٣٧]	٥٠٩
سورة الأنعام [الآيات ١٣٨ - ١٤٢]	٥١٩
سورة الأنعام [الآيات ١٤٣ - ١٤٦]	٥٢٧
سورة الأنعام [الآيات ١٤٧ - ١٥١]	٥٣٥
سورة الأنعام [الآيات ١٥٢ - ١٥٧]	٥٤٥
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثالث	٥٥٧

❖ ❖ ❖